136.7
M21A

JAFET LIB.
13 JUL 1992

JAFET LIB.
8 DEC 1972

11 DEC 1972

26 DEC 1972

JAFET LIB.
05 MAR 1996
Circulation Dept.

JAFET LIB.
02 FEB 1996
Circulation Dept.

136.7
M21A
c.1

محمود مهدي

أطفالنا أصحياء

مقالات محتارة لكبار الكتاب والمربين تبحث في نفسية الاطفال
وطريقة تهذيبهم ، وتنقد الاساليب الفاسدة التي
لا يصح الاعتماد عليها في التربية

قدم له الدكتور
كامل عياد
68791

المطبعة الهاشمية بدمشق

BIBLIOTECA NACIONAL
DE CUBA
HABANA

بسم الله الرحمن الرحيم

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا »

قرآن كريم

مقدمة جامع الكتاب

أضع بين يدي القارئ الدوافع التي حفزتني إلى إخراج هذا الكتاب، ولعلي لا أعدو الحق عندما أقول إن أهم الأسباب التي حركتني إلى العمل، وحفزتني إلى الاهتمام بالطفل أبي الرجل وعماد المستقبل، هي الوظيفة التي خصني الله بتمثيل دورها، فإني كمعلم عهد إليه بتثقيف النشء وتجهيزه بالمعارف، وتهيئته ليكون عضواً نافعاً في المجتمع، رأيتني مسوقاً دواماً إلى كل ما يتعلق بعالم التربية والتعليم، لا يهمني في الغالب سواها لتحقيق الفكرة المسيطرة عليّ في خدمة الأمة عن طريق تربية «الطفل» لأنني لمست خطورتها الشديدة وخواص فائدتها في الأمة بل لأنني صرت إلى الاعتقاد الجازم أن مستقبلنا بجميع نواحيه وقف على «الطفل»، ولا غرابة فهو الأساس في تكوين المجتمع الصالح، والحياة الراقية، والسعادة المنشودة، وكل نهضة لا تقوم على تأمين حياة الطفل وتنظيمها تكون صورية. ومصيرها الفشل.

ذلك هو السبب الأول في عملي، وهو شخصي كما ترى، تتبعه أسباب أخرى عامة تبدأ في أن الطفل عندنا، مهما تلطفنا في القول، أداة مهملة منذ تكونه، إلى آخر نموه، فالأم تجهل نفسية ابنها لا تعرف شيئاً عن طرق تنشئته وتنظيم حياته، والأب لا يتنازل عن قليل من أنانيته للقيام بما فرض عليه نحو طفله من تأدية حقوقه كاملة غير منقوصة. وبالجملة تجدنا لا نعبأ بالطفل ولا نعيره الاهتمام اللازم، وربما فاقت عناية القروي بماشيته على العناية

بالطفل ، فإذا مرض الحيوان عولج للحال مخافة انقطاع الفائدة ، وحقوق طعامه وراحته مرعية على الغالب . وذلك بعكس الطفل الذي يهمل إذا مرض ويرذل إذا لعب ، ويكبت إذا ما تكلم أو استوضح ما يجهل حتى اضمحلت شخصيته وأصبح آلة مسخرة لأهواء غيره . ولا شك أن للجهل أثراً قوياً في كل ما تقدم بل هو علة العلل ، يتبعه البؤس الذي يصرف الفكر عن كل عناية إلا عناية القوت الضروري ، زد على ذلك فقدان معاهد التربية بالمعنى الصحيح ، ومن بينها حدائق الأطفال بصورة خاصة ، ثم ندورة الأكفاء والمختصين بفن تربية الطفل ، كل هذه الأسباب جعلت الطفل في حال مهينة ، واستدعت أن يشب عضواً ناقصاً مشلولاً فكوّن هو وأمثاله مجتمعاً مريضاً طالما كان السر في تأخر الشرق ، وفي ذله واستعباده .

وخلاصة الكلام ، إن الطفل أبو الرجل ، وهذا الأب مهمل في الأسرة التي لا تقيم له وزناً ، ومهمل في المدرسة التي تحطم شخصيته ، وتحشو دماغه بمعلومات مفككة لاطائل تحتها ، غريبة عنه يتناولها مرغماً ، وهو مقاد إلى الانحلال من قبل هاتين القوتين : قوة البيت وقوة المدرسة ، ومن قبل قوة أخرى يجهلها الكثيرون ، وهي قوة البيئة الفاسدة التي تغرس فيه الفوضى الأخلاقية التي لا حد لها . نحن نعتقد أن الطفل كتلة من العجين يسهل علينا وضعها في القالب الذي نريد ، غير عابئين بالقوانين التي ينمو جسمه وقلبه ودماغه بموجبها . وقد أدى هذا الأمر إلى أسوإ النتائج . ولا عجب بعد أن وأدنا الطفل بأيدينا أن نخسر العظمة والإبداع .

نظرت بعد هذا إلى الطفل في البلاد الراقية ، فإذا هو موضع العناية

والرعاية . والجهود منصرفة إليه من الحكومات والمفكرين والمشرعين والجمعيات والصحف والمربين ، ونظرت أيضاً فإذا العالم يتطلب للطفل الكمال ، بينما نحن ما نزال في حاجة إلى البديهيات في أمره . وكان أيضاً أننا في دور إنشائي لوضع أسس المستقبل العتيد ، والحاجة ماسة في مثل هذا الدور إلى توجيه أفكار الرأي العام إلى ناحية التربية والتعليم ، فاجتمع لديّ ما جعلني أسرع في إتمام إصدار هذا الكتاب الذي توفرت عندي عوامل إخراجه .

ولقد جريت في وضعه على جمع أفكار شتى في منتخبات هي الخلاصة والزبدة مما قيل في الطفل من أساطين التربية وكبار المفكرين ، وحملة مشعل الثقافة ، فجاءت صفحات هذا الكتاب معرفاً عاماً لألوان كاملة في فن واحد يشتمل على أعم القواعد في معرفة نفسية الطفل وطرق تربيته فيما هو ضروري للآباء والمعلمين .

وإذا أفاد هذا الكتاب وأحدث الأثر الذي جمع من أجله ، فيعود الفضل في ذلك إلى حضرات الكتاب أصحاب المقالات المنشورة الذين أتقدم إليهم بالشكر باسمي واسم القراء .

وقد زينت هذا الجزء بمجموعة من الصور القيمة التي توحي إلى الناظر أفكاراً وآراء جيدة قيمة ، فيدرك مبلغ اهتمام الشعوب المتمدنة بأطفالها حتى العميان منهم .

وفي الختام لا يسعني إلا التنويه بفضل « المكتبة الهاشمية » التي ساعدتني على إخراج هذا الكتاب ، راجياً منه تعالى حسن التوفيق في إخراج أجزاء اخرى تبحث في الأم والأب والمعلم والمدرسة ليكون عملي الذي بدأت به أتم وأعم ، ولأكون قد نهضت ببعض واجبي نحو النشء العربي الذي وقفت على خدمته حياتي .

محمود مهدي

حاجتنا الى دراسة الطفل

لا يشك أحد منا بأن مستقبل الأمة العربية وإمكان نهوضها وسيرها في طريق الاستقلال والحضارة والتقدم إنما كل ذلك يتوقف على تربية الجيل الناشئ بصورة صالحة تساعد على تنمية مواهبه العقلية والسمو بميوله وعواطفه وتقوية إرادته وشخصيته .

ولكن كيف تستطيع الأمهات والآباء والمعلمون تربية الأطفال كما ينبغي دون أن يعرفوا ماهو الطفل معرفة حقيقية تامة ؟

إنه رغم الصرخة الداوية التي انطلقت من أعماق روح روسو قبل ١٧٧ سنة ، التي دعا فيها إلى إنقاذ الطفل من القيود القديمة وبناء قواعد التربية على دراسة الطفل وأخذ يلائم قواه وميوله ، إنه برغم ذلك مازال أكثر الناس ، وحتى قسم كبير من رجال التعليم أنفسهم ، يجهلون هذا الكائن العجيب الذي نسميه الطفل ، ونفرح به ونعقد عليه الآمال ، وهذه المربية الطليانية المشهورة مادام (مونتسوري) تقول بأن روح الطفل ليست معروفة بعد من قبل الراشدين ، وأنه لايزال يظهر لهم كأنه لغز . وهي ترى بأنه من واجب التربية الحديثة أن تسعى قبل كل شيء إلى اكتشاف الطفل .

وفي الحقيقة فإن التربية الحديثة لها كل الحق في أن تأخذ على المربين القدماء أنهم لم يشعروا بالضرورة إلى معرفة الطفل ولم يدركوا الصعوبات التي تقف حجر عثرة في سبيل هذه المعرفة . فكان كل عملهم يقتصر على تطبيق

ما يعرفونه عن نفسية الراشدين على الأطفال بصورة مصغرة لأنهم إنما كانوا يعتبرون الطفل كأنه راشد في حجم صغير ويعتقدون أنه لايختلف عن الكبار إلا بمقدار ملكاته النفسية فهو يتصف بعقل كعقلنا ومحاكمة مثل محاكمتنا وارادة نظير إرادتنا — ولكن بكميات قليلة . وهكذا فنفسية الطفل عندهم إنما هي قالب له نفس الشكل والتركيب كما عند الراشد إلا أنه قد أفرغ فيه قليل من المعلومات والتجاريب .

على أن ملاحظة أكثر دقة تبين لنا أن نفس الطفل تمتاز بصفات خاصة لا تشبه صفات الراشدين : إن أفكار الطفل ليست مجرد أفكار راشد بمقياس صغير وشكل بسيط ، بل إن له طرق تفكير ذاتية تباين طرق تفكير الراشد . وموقف الطفل تجاه الكون والبشر والأشياء يختلف في الأغلب عن موقف الراشد اختلافاً جوهرياً أعظم بكثير مما نظن .

ونحن نخطىء كثيراً ، كما تقول مادام مونتسوري ، في الأحكام التي نصدرها على ما نصادفه أحياناً لدى الأطفال من عناد وتقلبات وحالات نعتبرها «شاذة» وتثير استغرابنا وتستدعي دهشتنا وتؤثر في كيفية معاملتنا له . فإننا نكتفي عادة بإرجاع هذه المظاهر إلى الإرادة السيئة وروح المعارضة الخبيثة عوضاً عن أن نحاول فهم الأسباب الحقيقية .

ذلك لأننا ننسى بأن الطفل كائن نفسي فريد في ذاته ، له شخصيته القائمة بنفسها وله عواطفه الخاصة ونشاطه الخاص ومنطقه الخاص .

إننا لا نستطيع أن نؤثر في تطور الطفل ونمهد السبيل لنموه وتكامله ونساعد على انكشاف مواهبه ، أي أن نقوم بتربيته وتكوين شخصيته ، إلا

إذا حصلنا على المعلومات اللازمة عنه وتوصلنا إلى فهم نفسه واستطعنا النفوذ إلى روحه وإدراك صفاته الخاصة .

وقد كثرت في المدة الأخيرة المباحثات في نفسية الطفل وطرق تربيته وظهر عدد كبير من المؤلفات في هذا الموضوع بالبلاد الغربية . ورغم تشعب وجهات النظر والتضارب في نتائج هذه المباحث فإنها قد توصلت إلى معارف قيمة كشفت لنا بوضوح عن الفروق بين نفسية الطفل ونفسية الراشد . وبفضل هذه المباحث أصبحنا نعرف أشياء كثيرة عن أدوار نمو الأطفال وما يحدث لديهم من تبدلات عضوية وعن أهمية فعالية الغدد ثم عما يرافق هذه التطورات الجسدية من حالات نفسية . وقد صارت لدينا معلومات مهمة عن تطور حواس الطفل وغرائزه وميوله وعواطفه وعقله ومحاكمته وأخلاقه وشخصيته وعن تأثير الأزمات العضوية والنفسية التي يجتازها في مراحل نموه المختلفة وبصورة خاصة عن « الأزمة العقلية » حوالي السنة الثامنة « وأزمة البلوغ الجنسي » حوالي السنة الثالثة عشرة وما يترتب على هذه الأزمات من نتائج خطيرة في حياة الطفل ومستقبله وما تقتضيه من معالجة خاصة ، دقيقة ، حكيمة .

وليس من شأننا هنا أن نتعرض إلى تفرعات هذه المسائل التي سيجد القراء في هذا الكتاب بعض التفصيلات عنها .

ومن المؤسف أن نعترف بأنه ليس لدينا بعد في اللغة العربية مباحث كافية في موضوع الطفل وبأن هذه المباحث لا تزال مقتصرة على مقالات متفرقة في الصحف والمجلات . ولذلك فإن إقدام الاستاذ النشيط السيد محمود مهدي على جمع هذه المباحث في كتاب واحد من الأعمال المشكورة التي يستحق عليها

كل التقدير وهي تضيف مأثرة جديدة على جهوده المتواصلة في حقل التربية والتعليم منذ سنين متعددة ·

وأملنا أن تكون هذه المجموعة القيمة حافزاً يدفع المشتغلين بالتربية في البلاد العربية إلى زيادة العناية بمباحث الطفل ومضاعفة الجهود في هذا الموضوع · فإن معرفة الطفل أساس التربية الصحيحة التي لا يشك أحد في أنها شرط جوهري لنهضتنا العامة ·

فاس عباد

الطفل

على الآباء والأمهات أن يطأطئوا رؤوسهم احتراماً أمام « عظمة الطفل » ... وأن يفهموا أن كلمة « الطفل » لفظة مرادفة لكلمة « الملك » وأن يشعروا : بأن من ينام بين ذراعيهم بشكل « الطفل » هو « المستقبل » بنفسه ، وأن من يلعب بين أقدامهم مستغرقاً في اللهو هو « التاريخ » بعينه .

« اللن كي »

الكاتبة السويدية

عصر الطفل

لقد وقفت الكاتبة السويدية الشهيرة « ألن كي Ellen Key » في أوائل القرن العشرين ، وقفة متفكر ومتكهن ، استعرضت في خلالها حاجات العصر ونزعاته فقالت « إن هذا العصر سيكون عصر الطفل » ، يعتنى فيه بحقوق الأطفال وتربيتهم اعتناء جدياً ...

إن السنين التي مرت علينا منذ بداية هـذا العصر ، حققت تكهنات «ألن كي» كل التحقيق :

فقد أخذت الحكومات تفكر في حقوق الأطفال ، وتضع القوانين لصيانة هذه الحقوق . كما أخذت الشعوب تؤلف الجمعيات وتؤسس المعاهد لحماية الأطفال وإصلاح أحوالهم ، ووقايتهم من فساد البيئات وإهمال الأسر ؛ وقد تأسست في كثير من الممالك المتمدنة ، محاكم خاصة بالأطفال ، تنظر في الدعاوى المتعلقة بهم ، وتفصل في الجرائم المسندة إليهم وتحكم بأحكام ترمي إلى إصلاحهم . وقد تألفت في بعض الممالك ضابطة خاصة بالأطفال ، ترمي إلى تعقيب المخالفات المتعلقة بالقوانين التي وضعت لأجل حماية الأطفال من جهة ، وإلى تحقيق جرائم الأطفال من جهة أخرى .

هذا ، وقد أحست الأمم - بطبيعة الحال - بلزوم شديد إلى توحيد المساعي في هـذا الباب ، وعقدت مؤتمرات متعددة ، فأسست ديواناً دائمياً

لهذا الغرض ، فتكوّن بهذه الصورة « الاتحاد الأممي لإسعاف الطفل » .

وقد فكر هذا الاتحاد بإصدار منشور عام يثبت حقوق الأطفال ، وقرره سنة ١٩٢٣ ؛ ثم قدمه إلى عصبة الأمم ، فأقرت العصبة هذا المنشور سنة ١٩٢٤ ، ودعت الحكومات إلى الاستلهام من مضمونه ، والسعي وراء تطبيقه وتحقيقه .

فاستحق العصر — حتى قبل انتهاء ربعه الأول — ذلك العنوان الذي نعتته به الكاتبة السويدية ، فأصبح « عصر الطفل » بكل معنى الكلمة ...

ولا غرابة في كل ذلك : لأن أطفال اليوم ، هم رجال الغد ، فحماية الأطفال ، تعد صيانة للمستقبل ؛ كما أن حقوق الأطفال ، تتضمن حقوق الجميع ... عصر الطفل ! .

إذا استحق العصر الذي نعيش فيه هذا العنوان ، فقد استحق في الوقت نفسه ، عنواناً آخر ، — غير مفارق له — وهو عنوان « عصر التربية والتعليم » .

ذلك لأن « عهد الطفولة » هو عهد « التربية الأساسية » ودور « التعليم الابتدائي » ، كما ان « التربية الصالحة والتعليم الممتع » لهو من أهم حاجات الطفل ، وأقدم حقوقه . فكلما زاد تفكير الأمم بحقوق الأطفال زاد اهتمامها بالتربية والتعليم بطبيعة الحال . فقد أصبحت شؤون التربية والتعليم من أهم مشاغل الدول والامم ، وصارت كل أمة ترمي إلى تعميمها بين جميع أفرادها بدون استثناء .

ساطع الحصري

ملخصة عن مجلة التربية والتعليم

الطفل والامة

لم تبق قضية العناية بالاطفال وتربيتهم عند الامم المتمدنة من القضايا الفردية التي يترك للمرء أمر التصرف بها فإن شاء أحسن تربية أولاده واعتنى بهم وإن شاء أهملهم وتركهم لظروف الحياة ، فالامم المتمدنة اليوم تعتبر قضية الاطفال في مقدمة قضاياها الاجتماعية إذ على تكاثر الاطفال وعلى نشأتهم نشأة صحيحة في النواحي الصحية والروحية والعقلية يتوقف مستقبل الامة وقوتها ومناعتها . فالامم التي تكثر فيها وفيات الاطفال وتتناقص المواليد تعرف جيداً أنها سائرة الى طريق الدمار ، والامم التي ينشأ الاطفال فيها معتلي الاجسام تعرف جيداً بأنها ضعيفة في القوة المادية إذ أن جيش المستقبل فيها ضعيف ، وعامل المستقبل فيها هزيل نحيف ، والامة التي لاتربي في أبنائها عاطفة الحب والولاء للوطن وللامة لاتقوى على البقاء في هذه الحياة ، والامة التي لاتشجع في الاطفال السؤال والإبداع والابتكار يجب أن تعرف انها تخسر القادة والعلماء والمخترعين .

إن علم النفس الحديث قد اثبت بصورة قطعية أهمية السنوات الاولى من حياة الطفل وتأثيرها على حياته الروحية والعقلية في مستقبل العمر وهذه كلها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بصحة الطفل الجسمية اذ العقل الصحيح في الجسم الصحيح

ويصدق العكس فالجسم الصحيح يتطلب عقلا صحيحاً أيضا . إن الامم المتمدنة قد أدركت كل ذلك فقامت بالتشريع اللازم وأعدت المعدات الضرورية للعناية باطفالها وإعدادهم لمجابهة الحياة أقوياء في العقل والجسم والخلق ، فهي عدا تشريعها في صيانة صحة الابناء من الامراض العقلية والجسمية الوراثية التي قد يرثها الطفل بدون جرم اقترفه من أمه وأبيه المعتلين قد أخذت تهيئ له الضروريات التالية :

(١) تهيئ المحلات الصحية ليعيش فيها في هواء طلق كما تهيئ محلات واسعة للحركة واللعب .

(٢) تهيئ الملبس الذي يقي الطفل من الحر والبرد .

(٣) تهيئ الغذاء الصحي الكافي من ناحيتي الكيفية والكمية .

(٤) تهيئ وسائط التنظيف والغسل المستمر وتعود الطفل على النظافة دائما .

(٥) تهيئ الرقابة الصحية على الاطفال بحيث يلتقط الطفل المصاب بعطل او مرض معد من بادئ الامر وقبل ان يستفحل الشر .

(٦) تهيئ الوسائط التي تغذي رغبة الطفل في استعمال يديه وتفسح المجال له بان يقوم بالتجاريب الآلية والابتداع والابتكار فالطفل عامل صغير ومخترع مبتدع .

(٧) تهيئ الاجوبة الصحيحة التي تتناسب وعقليته على كل الاسئلة التي يلقيها في تحرياته واكتشافاته العلمية في المحيط الذي يعيش فيه ، فالطفل بحاثة صغير يرغب دائما في الاستطلاع والاكتشاف .

وهنا يتضح أن علينا الاهتمام بمعرفة الطفل وتقدير العالم الذي يعيش فيه، وتهيئة كافة مايتطلبه هذا العالم من وسائط ومعدات . لا أغالي اذا قلت ان الطفل في بلادنا محروم من حقوقه وإن أعظم الآباء أنانيون يهتمون بحاجاتهم ولوازمهم الشخصية قبل أن يهتموا باطفالهم ، فلا تجد في البيوت ولا في المدن محلات خاصة لحياة الاطفال وحركتهم ولعبهم ، فهم اما مع الكبار يزدرى بهم وتكبت آراؤهم وتقيد حركاتهم واما في الشوارع في احوال غير صحيحة من الوجهتين الاخلاقية والصحية كما أنهم تحت رحمة وسائط النقل التي قد تودي بحياتهم في كل لحظة .

وقلّ من خصص في بيته محلا خاصاً للعب الاطفال كما قلت المدن التي فيها تأسيسات للعناية بالاطفال .

علينا أن نعترف بحقوق الطفل في الحياة ثم علينا أن نحترم هذه الحقوق وأن نحترم شخصية الطفل فنسمح له باستعمال حقوقه الطبيعية لاسيما في اللعب والحركة واستعمال اليد ثم علينا ان ننشئ الطفل من البداية تنشئة انضباطية فننظم له اوقات أكله ونومه ونعوده العادات الصحية والاجتماعية المفيدة .

والطفل يمكن أن يكون عامل أنس وسرور في البيت إذا نشأ نشأة صحية طيبة وإذا سمح له بالحركة واللعب بالاشياء العائدة له ، واذا عرف أن في البيت نظاماً وأنه خاضع لهذا النظام بدون هوادة أو تراخ من الاب او الام .

وهو يمكن أن يصبح مصدر شقاء وعذاب للوالدين اذا نشأ معتلا او اذا حشر طول الوقت مع الكبار فلا يتناول الا الاواني البيتية والاثاث فيكسرها ولا يتسلق الا على الكراسي والشبابيك .

والمهم في تربية الاطفال معرفة حقوقهم ومنحهم هـذه الحقوق على أن يستعملوها ضمن النظام العائلي وبدون اعتداء على الغير .

إن تهيئة الوسط الملائم لتنشئة أطفال صحيحي الجسم والعقل والخلق في بلادنا يتطلب تعاوناً وثيقاً بين الافراد والمؤسسات الاهلية والحكومية ؛ أما الافراد أهم مايعوقهم عن تربية اطفالهم تربية صحيحة هو الفقر فمعظم الذين يسكنون في بيوت غير صحية او كانت تغذيتهم غير كافية هم فقراء ، وبالنتيجة تكون نسبة وفيات الاطفال عالية ، ومن يعيش من الاطفال فهو مريض معتل . وحتى الذين كان إيرادهم جيداً فلا يصرف الكثير منهم مايجب في الطرق المؤدية الى تغذية أبنائهم والعناية بصحتهم الجسمية والعقلية والخلقية .

والنقطة الثانية التي هي من ملازمات الفقر والجهل . فالابوان عندنا لم يحصلا على التربية والتدريب اللذين يؤهلانهما للعناية باطفالهما عناية صحيحة ولا حاجة للقول بان تربية الطفل والعناية به أصبحت من المسائل التي تتطلب التعليم والتدريب فلا تستطيع الام الجاهلة مهما كانت شريفة في عواطفها وحسنة النية في تربيتها لطفلها ان تقوم بالواجب الذي تتطلبه التربية الصحيحة منها وإن غريزة الامومة في الانسان لاتكفي في التربية كما هو الحال في الحيوان فالغزالة لاتحتاج الى تدريب وتعلم للعناية بطفلها ، والحمامة لاتحتاج الى اختصاص للعناية بفرخها اما الام في الانسان فلا بد لهـا فى هذا العصر من استعداد مبني على أحدث نتائج العلم الحديث في الطب وعلم النفس وعلم الاجتماع .

ولا بد للام في هذا العصر من الاستعانة بالاخصائيين أو بارآئهم المدونة في الكتب والمجلات التي تعتني بهذا الامر ولذلك فقـد أصبح تعليم المرأة

وتدريبها لكي تكون أما صالحة من اول الضروريات لحماية الاطفال .

فاول واجب علينا للعناية باطفالنا مكافحة البلاءين الفتاكين في وسطنا وهما الفقر والجهل وهنا تأتي مساعدة المؤسسات الاهلية والحكومية فعلى هذه المؤسسات ان تضمن معاشاً ومسكنا صحيا لكل افراد الشعب لاسيما وقطرنا بلد بكر وهو فسيح غني بثروته الطبيعية وما على الافراد الا ان يتعلموا ويعملوا لاستثمار كنوز الطبيعة التي وهبها الخالق لنا مستخدمين ماتجنيه ايديهم العاملة في اسعاد حياتهم العائلية والعناية باطفالهم .

ثم لابد من تهيئة المحلات العامة لتنشئة الاطفال تنشئة صحية في الحدائق والعناية بالمرضى منهم وتغذية ابناء الفقراء .

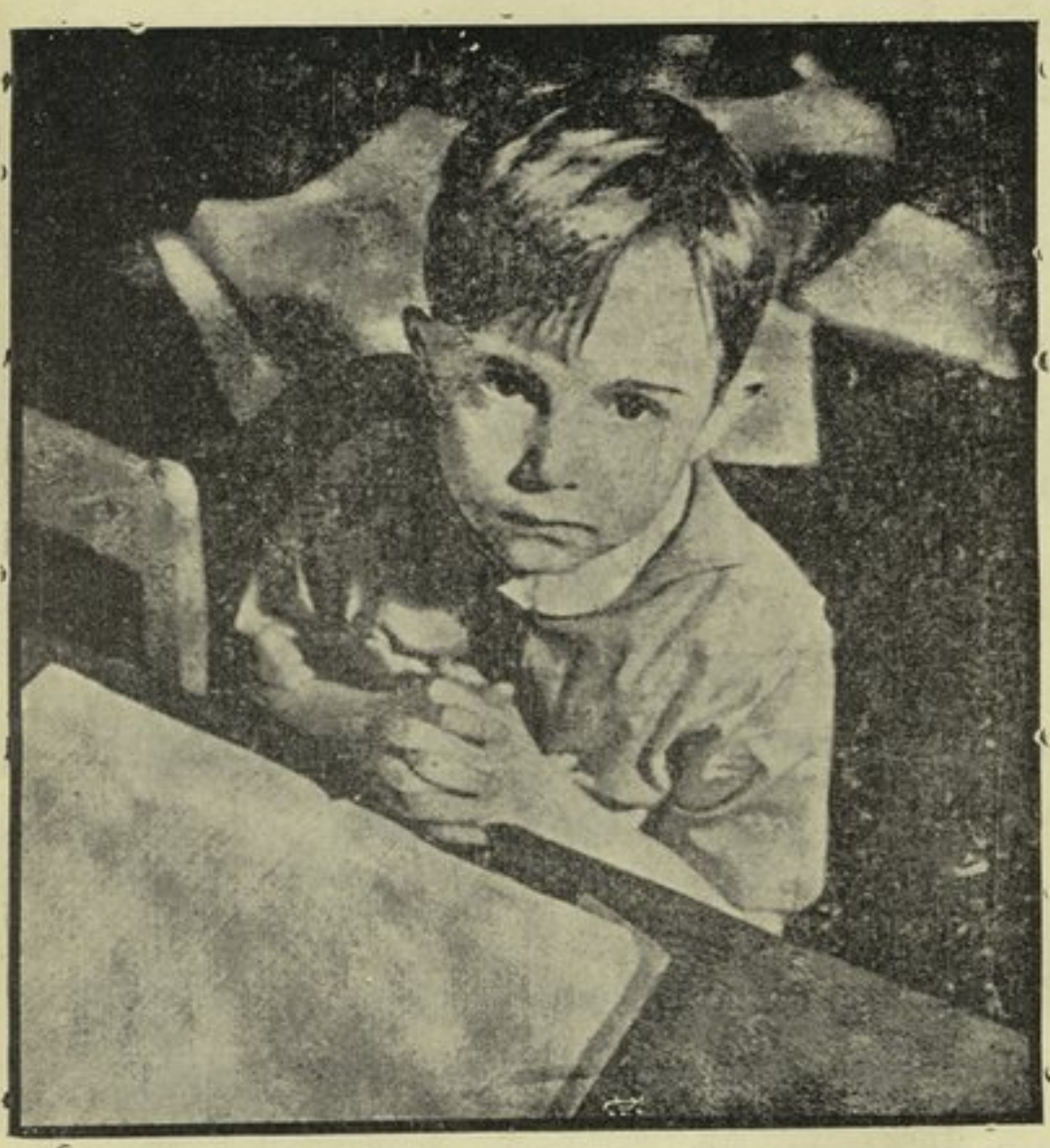
ولا بد من الاشارة هنا الى ان الوسائط الوقائية للاطفال هي خير من العلاج فانشاء حدائق عامة ذات مراكز صحية للاطفال هي مانحتاج اليه اليوم وهي مايجب ان تتساعد المؤسسات الاهلية مع البلديات ثم لابد من فتح صفوف خاصة للامهات لتدريبهن على العناية بالاطفال وتربيتهم على ذلك عدا تنشئة فتيات في المدارس قد تدربن على العناية بالطفل .

وفي درس قضايا الطفل وإسعاده لابد من التعاون الاجتماعي مع الطبيب تعاوناً وثيقا إذا شئنا تنشئة جيل قوي في جسمه وعقله وأخلاقه .

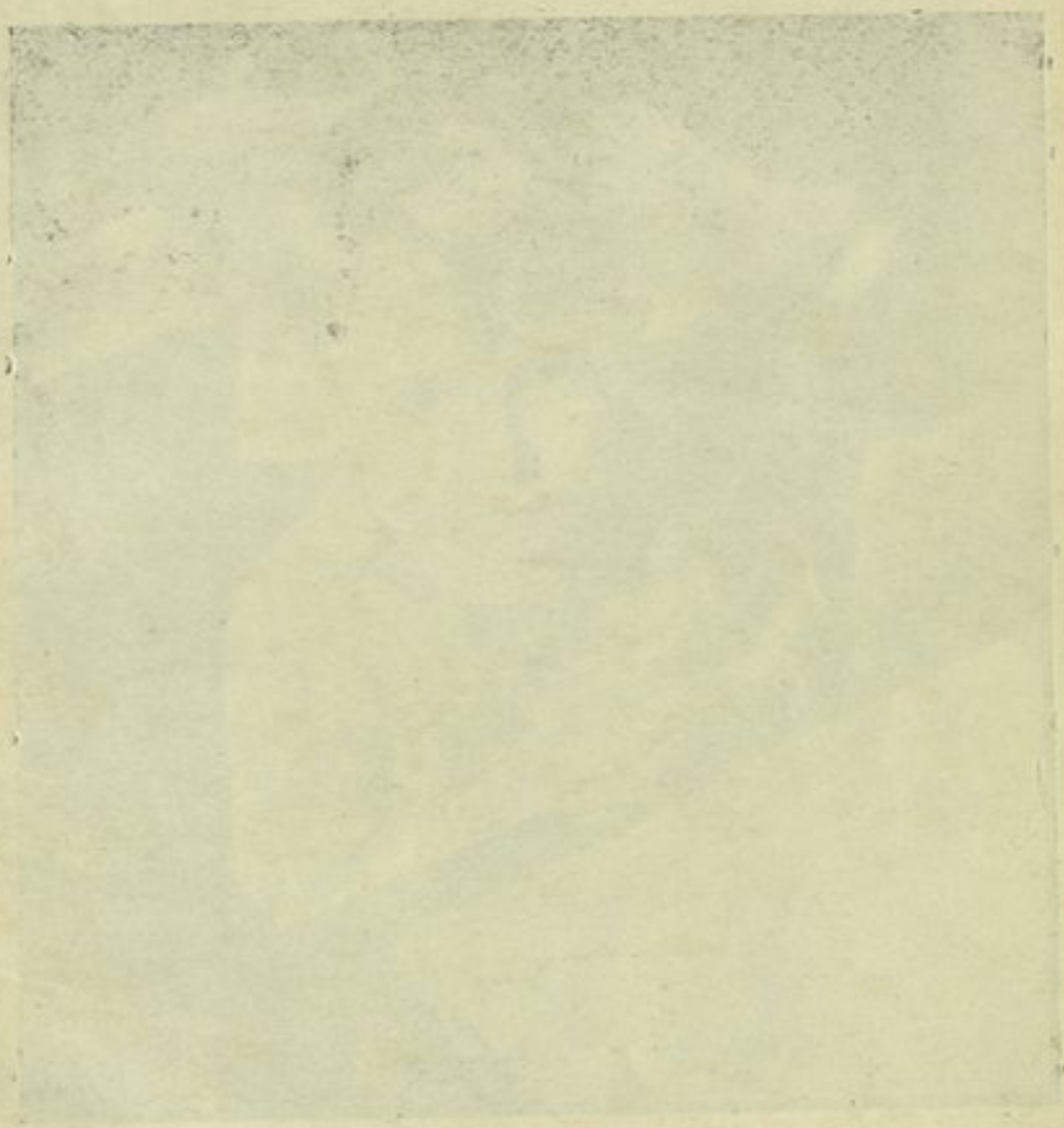
إن الطريق للوصول الى تحقيق الغرض المنشود طويلة ومع ذلك فان مؤسسة كجمعية حماية الاطفال هي من العوامل الفعالة للوصول الى الهدف اذا عاضدها الشعب الكريم وساعدها على تحقيق أهدافها وكل من سار على الدرب وصل .

«مجلة المعلم الجديد»

الدكتور فاضل الجمالي



على وجه هذا الطفل ترتسم علامة استفهام ؟ إذ لم يسبق
« له عهد بالمدرسة من قبل »



الطفل الحائر

في الزمن الحاضر

تطور العالم وتغير ، وأصبحنا نعيش في جو يختلف كثيرا عما عهد آباؤنا وأجدادنا . ترى هل تغير كل شيء إلى أحسن أم هي مظاهر خادعة تخفي تحت روعتها الظاهرة كثيراً من السيئات ؟ عز علينا أن نرى العالم المتمدن يسبقنا في الفن والصناعة والتنظيم والبناء ، فعولنا على تقليدهم مهما كلفنا هـذا التقليد . فأصلحنا الشوارع والطرقات وشيدنا أعلى العمارات وفتحنا أبواب مدارسنا العالية للفتيات وقطعنا بكل ذلك وبكثير غيره شوطاً بعيداً في مجاراة هذه الامم المتمدنة ، ولكننا ضحينا كثيراً في سبيل ذلك . نعم إن لكل دور انتقال عدداً كبيراً من الضحايا ولكنه تقدم زائف ذلك الذي يكون ضحاياه هم الاطفال ، عدة الغد ، وعماد الامة وسر تقدمها إذا نحن تعهدناهم بالرعاية والعناية .

كان الطفل في الزمن الماضي حراً طليقاً يعيش كالطير بين الاشجار يلعب في الشارع ويمرح ولا يأوي إلى منزله إلا حين تأوي الأطيار إلى أوكارها إلى أن غُمِرت الشوارع بسيل جارف من العربات والسيارات فاضطر الطفل خوفا من التعرض للخطر إلى التزام بيته والسكون إليه .

كانت المنازل في الماضي متسعة قليلة الأثاث فكان امام الطفل فضاء خارج المنزل وداخله فان لم يعجبه هذا او ذاك فسطح المنزل واسع أمامه للعب

والتسلية . كانت الحيوانات تربى في المنازل فينعم الطفل برؤيتها والتصادق معها فيقدم لها الطعام حيناً ويلهو معها أحيانا ، أما الآن فقد تغير الأثاث وتبدل حتى لم يترك ركن في حجرة دون قطعة أثاث أو أصيص أو آنية للزينة ، فلم تعد للطفل الحرية في الجري والنط في طول المنزل وعرضه وقضت العمارات على البيوت الصغيرة فأصبح السطح ملكاً للجميع ومأوى للخدم وطرد الطفل من هذا الميدان أيضاً وطردت الحيوانات الأليفة صديقته منها فلم يعد له فيه تسلية .

طغت المدنية على ميادين الطفل الكثيرة وقضت عليه أن يسجن فماذا عوضناه عن هذه الخسارة ؟ انتركه في الشارع نهباً للسيارات والعربات ؟ أم نتركه في المنزل يتلف ماشاء من الأثاث ؟ كيف نصلح ماأفسدته المدنية و كيف نحمي الطفل من طغيانها ؟

كانت البنت الكبيرة لاتخرج من بيت أبيها ولا تتعلم في مدارس كما تفعل اليوم فكانت مرغمة على ملاحظة أمها ومساعدتها في تربية الصغار من أخواتها فتحفظ أثناء ذلك عن أمها الشيء الكثير من العناية بالطفل . أما الآن فقد خرجت البنت للعلم وحسناً فعلت في كثير من الوجوه ، ولكن مواد الدراسة من لغة وحساب وهندسة وغيرها قد شغلت المدارس فلم تبق في جداولها مكاناً لتعليم البنات تربية الطفل فتخرج الفتاة من التعليم الابتدائي إلى الثانوي إلى العالي وتحصل على شهادات لها قيمتها وقد تتزوج بعد ذلك فاذا هي لاتعرف كيف تحمل طفلها .

كانت الأسرة كبيرة فكان لابد من وجودصغار بين أفرادها أما الآن فقد تحدد النسل وتأخرسن الزواج فيكبر أفراد العائلة معاً ويقل علم الفتاة بالطفولة .

كانت الام تعيش مع اطفالها ولا همّ لها في الدنيا سواهم فألهتها أمور المدنية عنهم وشغلت وقتها (مودات) الأزياء والمحلات التجارية والمآدب والحفلات فتركتهم لمربية أحسن موءهلاتها كما تعتقد أنها ليست عربية فإذا بأطفالنا لايعرفون عن وطنهم شيئاً فقصصهم اجنبية ولغتهم أجنبية وعاداتهم اجنبية وروحهم اجنبية وقلبهم اجنبي . أمعنى هذا أن المدنية شر لابد منه أم أننا أسأنا استغلالها واخطأنا فهمها فقضينا على اهم عنصر من عناصرها وهو العناية بالاطفال ؟

فطن الاوروبيون والامريكيون لطغيان المدنية على الطفل فجعلوا مشكلته اهم المشاكل وعنوا به لدرجة أنهم أطلقوا على القرن العشرين (عصر الطفولة) فمشكلة الطفل ليست باقية عندهم وإنما أطفالهم يتمتعون بقسط وافر من السعادة فلديهم كل مايحتاجون إليه من امكنة وعناية فكيف حلت المشكلة عندهم وبعبارة اخرى كيف يمكننا حلها عندنا .

أما مشكلة المكان فيمكن أن نعوضهم عن الشارع الصاخب بحدائق صغيرة مكسوة بالحشيش وبها بعض الاشجار للتظليل وفي جانب منها كومة من الرمل للعب بحيث تعم هذه الحدائق القطر وتكون في متناول الجميع وحبذا لو امكن جعل رقابة بسيطة على مثل هذه الحدائق فلا زالت عاداتنا تعوق كثيراً من الامهات عن الذهاب بأطفالهن فيرسلنهم مع الخدم ولا يجهل أحد ماتحتاجه طبقة الخدم من الرقابة الشديدة ، ونظراً لقلة هذه الحدائق عندنا نرى كثيراً من الاطفال المعني بأمرهم يتمتعون برعاية فائقة ولكنهم يحرمون من الهواء الطلق فيقضون كل وقتهم في المنزل وهذا مع أنه مضر بصحتهم يبعث الملل في نفوسهم اذ كيف تتسع حجرة ضيقة لنشاط الطفل وحركاته

ونفس الطفل ميالة للتغيير والتبديل ، امثال هذا الطفل كثيرون وهم في الغالب ضعفاء البنية كثيرو المرض فليس هناك تهاون في تربيتهم إنما ضاقت الارض بهم فلم يجدوا مكاناً كافياً للنزهة والرياضة والمرح واللعب .

تقمنا على نزول الاطفال في الشوارع واعتبرناه إهمالاً من الآباء فهل اعددنا لاطفالنا عن الشارع بديلاً .

وهذه الأم الموكول إليها التصرف في أمر الطفل من تغذية وتنمية ولعب وفسحة ومرح كيف اعددناها للقيام بهذه المهنة ؟ في اية مرحلة من مراحل التعليم تتعلم البنت تربية الطفل ؟ . ان منهج الدراسة يشبه في كثير من الوجوه مناهج البنين فليس هناك المجال الكافي لتدبير المنزل او تربية الطفل . ان كان الغرض من التعليم إعداد الفرد للحياة فها هي ذي حياة الفتاة المستقبلة نهملها اهمالاً تاما . جميل ان نجد بيننا طبيبات ومحاميات ومعلمات وفيلسوفات ولكنه غريب ألاّ نجد بيننا أمهات .

تشغل المدرسة في بلادنا كل وقت التلميذ وبهذا ترهقه ولا تترك له فرصة يتمتع فيها بالحياة الطبيعية حياة اللعب والمرح فهل أردنا بتعليم البنات أن نرهقهن كما أرهقنا البنين ؟ هل أردنا أن نفسد على الفتاة أعصابها وقواها العقلية في التحضير للامتحان كما فعلنا مع الأولاد .

وددنا لو أن نظام التعليم تحسن بحيث يعطي للتلاميذ وقتاً للراحة والرياضة وبحيث يمكن أن نقيم الى جانب الدروس في مدارس البنات دروساً في رعاية الطفل وتدبير المنزل وإعداد البنت إعداداً حقيقياً لحياتها المستقبلة .

واذا أنعمنا النظر نجد ان الطفل ليس ضحية المدنية ولكنه ضحية حب

الظهور هذا الداء الذي ابتلينا به فاخذنا عن المدنية قشورها وتركنا اللباب .

أخذنا عنهم كثيراً في البناء والتعليم والعوائد ؛ أما الطفل فقد جردناه من كل امتياز ولم نعترف له بأي حق مع أننا نعرف جيداً ماعليه من واجبات كثيرة ونفرض عليه مالا يمكنه تحقيقه ويكفي أن نفكر في الفكرة السائدة عن الطفل المؤدب لنرى أننا نطلب المستحيل فهذا الطفل الذي يخضع لرغباتنا ولا يسمع له صوت أو يبدي اعتراضاً لايمكن أن يكون طفلاً طبيعياً بل لابد أن يكون كتلة من البلاهة والغباوة .

هذا قليل من الكثير الذي جنته المدنية على الطفل فأصبحت مشكلة من أولى المشاكل بالبحث والاهتمام .

سمعنا كثيراً عن مشكلة الفلاح ومشكلة البطالة وغيرهما من المشاكل التي تدل على اهتمام الرأي العام بها ويظهر أن قليلاً من الناس يدرك أن للطفل مشكلة وأن في حلها حلا لكل مشاكل المستقبل . فإن أوليناه ماهو جدير به من العناية والرعاية في المنزل والمدرسة وخارجها ؛ وعرفنا كيف نضمن له سلامة الجسم والخلق وحفظناه من عدوى امراضنا الاجتماعية ضمنا بذلك جيلاً جديداً ، لانفاق فيه ولا رياء ولا تكبر ولا محسوبية ولا ظلم للغير ولا للنفس ولا اعتزاز بالمال ولا خجل من الفقر وإنما اعتزاز بالأعمال وخجل من الزلات لو وفقنا لذلك لما بقي عندنا من مشاكل ولكن أنّى لنا ذلك والطفل مهمَل لا مكان له ولا اهتمام بشأنه .

إن مانحتاجه ليس هو زيادة المختصين بالتربية فحسب وإنما الاهتمام بأمر الطفل من كل فرد ؛ اهتمام من المشرعين حتى يكون هناك قوانين لحماية الطفل

واهتمام من المهندسين حتى يكون في تصميم الشوارع والمنازل مكان للطفل، واهتمام من المربين حتى يكون في برامج تعليم البنات مكان للطفل، واهتمام من الخدم حتى يكفوا عن استعمال ألفاظ لايليق بالطفل أن يسمعها.

وجملة القول إن معرفة أصول التربية لايصح أن تكون وقفاً على فئة من الناس دون أخرى وإنما يجب أن يلم بها الجميع وأن تتغلغل في نفوسهم وأن تمتزج بلحمهم ودمهم حتى تكون عنايتهم بالطفولة خلواً من التصنع والكلفة لترتفع بالأمة من مستوى المدنية الظاهرية الزائفة إلى مستوى السمو بالعقل والجسم والاخلاق.

عن مجلة التربية الحديثة

حرم الدكتور

عبد العزيز القوصى



حب الملك فاروق للاطفال

اشتهر حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول برقة الطبع ودماثة الخلق ولطافة النفس . وقد شب جلالته على حب الأطفال واحاطتهم بروح الحنان والعطف الفياض ، وترعرعت هذه العاطفة النبيلة في نفسه منذ أن كان أميراً يتدرج في أحضان الطفولة بين رحبات القصور الملكية ، وساعدته نظم التربية التي رضيها له جلالة المغفور له والده الملك فؤاد الأول على أن يكون الأخ البار بسموالاميرات شقيقاته فشب على حبهن ورعايتهن .

* * *

وفي عهد طفولة الفاروق كانت السيدات الكريمات قريبات جلالة الملكة نازلي وصديقاتها وعلى رأسهن حرم صاحب السعادة حسين صبري باشا يحملن إلى « الأمير » فاروق قطع الحلوى والشيكولاته كلما سنحت فرصة تشرفهن بزيارة جلالة الملكة الوالدة ، فكان فاروق الاخ البار يسعى بقطع الحلوى والشيكولاته إلى سمو الأميرات شقيقاته فيقاسمهن إياها وقد أشرق وجهه الصبوح بابتسامة العطف والحنان والحبور .

* * *

ولم يقتصر بر جلالة الملك بالأطفال وحبه لهم على سمو أخواته فقط . بل تعداه إلى أقارب جلالته من أولاد الأمراء والعظماء وكذلك أطفال شعبه

الوفي فكان جلالته – وما يزال – العطوف دائماً على أولاد خاله شريف باشا صبري يستطلع أخبارهم من رفعة والدهم كلما تشرف رفعته بمقابلة جلالته ،



جلالة الملك فاروق يقبل طفلا قدم الى جلالته طاقة من الزهر

وكثيراً ماتفضل جلالته فأهدى أولاد خاله وأخوي جلالة الملكة فريدة وغيرهم من أنجال عظماء العائلة ، الهدايا المناسبة من كتب الأطفال ومجلاتهم وغير ذلك



طفل ينظر إلى المرآة معجباً بنفسه مختالاً
بلباسه الجديد



من الهدايا التي تبث فيهم روح النشاط في طلب العلم أو تقوية الجسم .

وكثيراً ما كان جلالته يفاجئ أفراد الأسرة المالكة بزياراته الكريمة مع جلالة الملكة فريدة . ومن هذه المفاجئات تشريفه منزل محمد بك ذو الفقار عم جلالة الملكة ، وكان عزته يقيم وقتذاك في مسكنه بمتحف فؤاد الاول الزراعي ، وصادف تشريف جلالة الملك أن كانت ابنة ذي الفقار بك وعمرها ثلاثة أعوام تتأرجح في أرجوحة بالحديقة فما كان من جلالته إلا أن تفضل فأخذ يدفع الارجوحة بيده الكريمة بضع مرات . وفي ذلك الوقت أقبل « شاهر » ابن ذو الفقار بك وكانت بيده بندقية صغيرة من بنادق الاطفال فنظر اليه جلالته وقال مبتسما :

— أنت « شاهر » سلاحك ليه !

وابتسم ذو الفقار بك قائلاً :

— كان يحارب العدو !

وألقى شاهر الصغير بندقيته وقد تهلل وجهه لرؤية جلالة الملك والملكة فتفضل جلالته وقبله من جبينه في رقة وحنان .

* * *

ومن مآثر جلالته حبه لرعيته وبخاصة الاطفال منهم فلا تعد ولا تحصى . وحينما أقام نادي التجديف الملكي بجوار الكوبري الاعمى حفلته السنوية لعام ١٩٣٨ شاهد جلالة الملك هذه الحفلة الرائعة وكان يحيي جمهور المتفرجين باسماً رافعاً يده . وفي أثناء الاحتفال سمعنا صبياً صغيراً كان يجلس بجوار أمه يهتف صائحاً :

– يعيش جلالة الملك فاروق

فالتفتت اليه أنظـار المليك والمتفرجين ، لكنه واصل الهتاف ملوحاً بيده الصغيرة لجلالة الملك ، فما كان جلالته إلا أن تفضل فحياه قائلاً لمن حوله :

– جميلة هذه الطفولة البريئة .

* * *

وبينما كان جلالته يقطع الطريق إلى انشاص قائداً سيارته بنفسه ، اذا استوقفته فلاحة تحمل طفلا صغيرا و « قفة » بها بعض الاشياء ورجته أن يوصلها إلى انشاص لأن الشمس قوية على الولد فحمل جلالته الطفل إلى السيارة وتلطف فغطى رأسه بمنديله ودعا المرأة إلى الركوب قائلاً :

– أنا حوصلك عشان خاطر الولد

فألهج جلالته لسانها بالشكر والدعاء له وبخاصة عندما نفحها مبلغاً من المال فدهشت المرأة لهذا الكرم الحاتمي قائلة :

– انت يا بيه فكرتني بالملك فاروق ربنا يخليه . .

* * *

ولجلالته في مزارعه بانشاص نوادر ومكارم لا يفتأ الاهالي يذكرونها بالشكر والدعاء ، فقدخرج جلالته ذات صباح وسط مزرعة البرتقال وكانت جلالة الملكة فريدة في رفقته ، فلما شعرا بالحاجة إلى الأكل افترشا مفرشاً على الارض

وجلسا يأكلان البرتقال وبينما هما كذلك إذ بجمع من الصبية الفلاحين يقتربون منهما سائلين :

– هات برتقالة « يا بيه » ربنا يخليلك « الست » !

فضحك جلالته لسذاجة الاطفال

قال و : أخذ يقذف البرتقال والاطفال يتسابقون إلى نيله . وما هي إلا برهة حتى كان عمدة الناحية يجري ويلهث باحثاً عن الصبية ليطاردهم ولكن جلالته تلطف فأشار إلى العمدة أن يتركهم .



وحي الطفولة

ما سر ذلك الفرح العظيم الذي يشعر به كل إنسان وهو يتأمل وجه طفل ؟ أهو عاطفة الأبوة أو الأمومة الكامنة في نفس كل مخلوق ، أم هو الاحساس العميق بالحاجة إلى صفاء النفس ونقاء الروح ، أم هو الرغبة في التخلص من أعباء الحياة ، والتحرر من ربقة العقل ، والعودة إلى عالم السذاجة ، والمرح والشعور بلذة الحياة ؟ .

الحق إن هذه العواطف جميعا تملأ نفوسنا وتستحوذ علينا ، كلما تأملنا في وجه طفل . ولكن شعورنا الخفي بذلك الابتهاج العظيم ، يرجع إلى أن مختلف صور الحياة ، ومتعدد معانيها ، وشتى ظواهرها وألوانها ، تتمثل في وجوه الأطفال رائعة الدقة واضحة التعبير .

فالطفل هو الحياة لم يمسخها العقل ، ولم تشوه معالمها فروض المجتمع هو العاطفة المطلقة ، والطبيعة الحرة ، والوجه البشري البريء .

لذلك نحن نبتهج بالأطفال ، لأنهم يحيون الحياة الرحبة التي افلتت منا ، ولأن هذه الحياة الرحبة التي مانفك نتوق اليها ، تبدو على وجوههم الناضرة ، كاملة المعاني ، واضحة التعابير ، محصورة الألوان والصور في أضيق حيز مستطاع .

فالحياة بأسرها تتمثل في وجوه الاطفال . ووجه الطفل لا يلبث أن يعكس معنى من المعاني أو عاطفة من العواطف ، حتى ليتبدى كالحياة نفسها

إذ سرعان ما تختلط فيه شتى الألوان والعواطف فيصبح صورة مصغرة للحياة .

ولقد كان شاعر فرنسا الكبير فكتور هوجو يقول لأصفيائه كلما جلس إلى أحفاده : « لا راحة للانسان في حب امرأة . وإنما الراحة كل الراحة في حب الأطفال . في حبهم النزيه الذي لايخدع ولا يتلون في عيونهم البريئة وفي ابتساماتهم التي تعرف دون سواها كيف تقدم النفس هبة خالصة ! ... »

وكان الروائي الروسي دستويفسكي يرى في وجوه الأطفال ما لايراه الناس . ويقضي الساعات في اللهو معهم ، وينسى في صحبتهم عقله ، ويحاول ما استطاع التشبه بهم ، والاندماج فيهم ، كي يتمكن من استئصال جرثومة الشر من نفسه ورد فكره وقلبه وروحه ، إلى ينبوع البراءة الأولى .

وفي وسعنا أن نقول إن فلسفة دستويفسكي لم تقم إلا على تمجيد روح الطفولة ، وإن أحب ابطال رواياته الى نفسه ، هم أولئك الذين صفت قلوبهم ، ورقت مشاعرهم ، وعاشوا كأطفال كبار .

وأما شاعر الهند رابندرانات تاغور ، فمما يؤثر عنه قوله : « أنا رجل صوفي ، وجهادي الاكبر في الحياة هو البحث عن الجمال المطلق الذي يهديني الى الله . ولقد أبصرت هذا الجمال في السماء الصافية ، والزهرة الناضرة ، والجدول الرقراق ، والعذارى الحالمات الساحرات ، ولكن النشوة العلوية لم تهز قلبي ولم تفتح مغاليق بصيرتي ، الا عند ما استطعت الحياة في جنة المعاني الماثلة في وجوه الأطفال .

« والحق إني لم أسعد ولم يتصل ضميري العاجز بضمير الله ، إلا يوم

أدركت أن الطفل هو المثل الأعلى ، وأنه في هذه الأرض الفانية رسول السماء ! ... »

وليس شك في أن أنظار الشعراء والأدباء والمصلحين جميعاً تتجه على الدوام صوب الطفولة . فالشاعر الفذ ينشد العودة الى الفطرة ، والفطرة هي الطفولة . والأديب الفذ يلتمس البساطة ، والبساطة هي الطفولة ، والمصلح الفذ يبغي الخير والسلام ، ولا خير ولا سلام إلا في قوة مستمدة من صفاء الطفولة .

فالطفولة إذن هي البقية الباقية من أمل الانسان في حياة أفضل وأسمى من هذه الحياة .

ونحن كلما ابتعدنا عن جمال الطفولة القائمة على حب السلام ، وأخذنا بروح الرجولة القائمة على الاسراف في عبادة القوة ، غلظت طباعنا ، وقست قلوبنا .

فإلى الطفولة يجب أن نفزع ، ومن روح الطفولة المقترنة بالعقل الحازم الراجح ، يجب أن نستخلص ثقافتنا وطابع أخلاقنا ومثلنا العليا ، وإلا غدرت بنا رجولتنا وانقلب العقل علينا وبالا .

وفي ذلك يقول الروائي الروسي تلستوي :

« إحرص على طفولة نفسك حرصك على حدقة ثمينة . وإياك أن تجعل عقلك المتكبر يطغى عليها . واعلم أن بين طفولة النفس وكبرياء العقل معركة يومية دائمة ، لو هزمت الطفولة فيها ، فالعقل يصبح نهباً مقسما لأوضع مافي النفس من غرائز الحيوان ! ... »

ابراهيم المصري

الطفل في بلاد النور

أجازت لي وزارة المعارف الفرنسية رخصة زيارة مدارسها ذات الدرجات المختلفة ، في باريس وغيرها من المدن الفرنسية ، — سواء أكنت منفرداً أو مع أحد المفتشين الذين تفضلت بتعيينهم — لأدرس أحوال تلك المعاهد وكيفية تنظيماتها الفنية . قمت بعملي هذا شاكراً لها تلك المنحة ، ولأولئك المفتشين الأفاضل غيرتهم وحسن إرشادهم ؛ حتى جاء دور زيارتي لمدينة روان ، تلك المدينة التاريخية العظيمة التي دعاها احدهم (روان المعجبة) ، لآثارها العظيمة التي استحقت بها لقب (المدينة المتحف) .

في تلك المدينة الجميلة ، التي هي أعظم مرفأ على نهر السين ، بعد باريس مدارس عديدة ومهمة ، قمت بزيارة أهمها ؛ ولما جاء دور زيارة مدارس الضواحي كنت برفقة إحدى المفتشات هناك ، هي سيدة فاضلة تناهز الخمسين من عمرها قوية البنية ، رزينة حازمة ، تميل إلى المباحث الاجتماعية ؛ وتتفانى في سبيل الأعمال الخيرية . لذلك كنا نتحدث أثناء السير عن الأحوال الاجتماعية والأخلاقية ، مستعرضين تلك الأمراض الهائلة التي تفتك في جسم المجتمع البشري ؛ وما يتخذ لمكافحتها من الوسائل بواسطة الجمعيات المختلفة . بينما نحن نتجاذب أطراف الحديث ، إذ بها أوقفت السيارة وقالت : سأريك الآن

ياسيدي ما لم اذكره لك من الوسائل التي نستعملها لمقاومة تلك الجراثيم القتالة فاتبعني ان أردت .

تبعتها ، وما هي إلا خطوات معدودة حتى وقفنا أمام دار من دور حي عظيم ، ولما كان باب الدار مفتوحاً ، استأذنت ودخلت مشيرة الي باتباعها ، فاذا نحن بين خمس سيدات ، بينهن أربع بلباس التمريض . وبعد أن تم التعارف الذي علمت منه أن الاوانس الاربع هن (الممرضات الزائرات Infirmières visiteuses) ، وان الخامسة هي (معينة العائلة auxiliaire familiale) جلسنا حول طاولة موجودة في صحن الدار .

عندئذ طلبت المفتشة من الآنسة ، التي قدمت إلي باسم معينة العائلة ؛ ان تبين لي مهمتها ومهمة الأوانس رفيقاتها ؛ فقالت : ان هذه الدور التي يتكون منها هذا الحي المدعو حي « الترياتون Trianon » هي لشركة تدعى شركة « دار العامل Le foyer ouvrier » وهنا سردت لي من تاريخ هذه الشركة واعمالها واعمال الجمعيات المتضامنة معها مالا يتسع المجال لذكره الآن ، بل أكتفي بايراد الخلاصة الآتية :

« ان هذه الشركة تبني الدور العديدة لاسكان العمال ، اصحاب العائلات »
« الربلة ، بقيمة زهيدة جداً بالنسبة لما يماثلها فهي تؤجر الدار الحاوية لاربع »
« غرف مع جنينة بـ ٦٦٠ فرنكاً ، والحاوية لخمس غرف مع جنينة بـ ٧٢٠ »
« فرنكاً في السنة ، تتقاضاها من المستأجرين مشاهرة ، ولها غير هذا الحي »
« حيان آخران حالهما كحال هذا الحي الزاهر باعمال البر والاحسان . »

« ما كانت الشركة لتستطيع ذلك لولا تضحية افرادها الراغبين في مساعدة العامل المعيل بإيوائه في بيت صحي جميل يتمتع بنور الشمس ، بدلاً من كوخه الحقير الوسخ ، وبتخفيض الاجرة ، ولولا مساعدة الحكومة والبلدية بتقديم الأرض وقسم من رأس المال كهبة . ان هذه الشركة تشترط لقبول المستأجرين شروطاً ، أهمها كثرة الاولاد وشدة الفاقة »

قد كان من حسن حظ هذه الشركة ، ومن أعظم اسباب سعادة تلك العائلات البائسة وجود جمعيات خيرية ، احداها جمعية المستوصفات المجانية لمعاينة ومداواة المرضى الفقراء ، ولوزن الاطفال وإعطاء النصائح اللازمة لامهاتهم . والثانية ، جمعية الممرضات الزائرات ، وهي تهتم بتعيين ممرضات عديدة ، تدعوهن الممرضات الزائرات ، يذهبن للبيوت الفقيرة حيث تكثر الاولاد ، للتمريض مجاناً ولاعطاء النصائح الصحية اللازمة ، ومن ممرضاتها هؤلاء الاربع اللواتي هن « بيننا » .

والثالثة « جمعية نصير العائلات الربلة L'aide aux familles nombreuses »

ولهذه اعمال عديدة هي :

« أولا . — تعيين سيدات تدعوهن السيدات الزائرات Les Dames Visiteuses اللواتي يتولجن أمر تفقد العائلات البائسة ، للبحث عن أحوالها وتقدير نوع ومقدار الاعانة اللازمة لها . وكثيراً ماتقوم هذه السيدة بالاعمال المطلوبة من معينة العائلة ، التي سيأتي البحث عنها ، اذا اقتضت الحال »

« ثانياً . — تعيين سيدات ، تدعوهن معينات العائلات ، يتخصصن لخدمة

العائلات الفقيرة التي أعلمت عنها السيدة الزائرة ، فيقمن بعمل أم العائلة اثناء نفاسها او مرضها ، بالاعتناء بامر المنزل والاولاد ، تساعد هذه السيدة المعينة الام في حال صحتها وتعلمها ما تجهل من امور تدبير المنزل وتربية الولد . وعدا ذلك فقد ترتب عليهن واجب عظيم ، هو إرشاد كل فرد من أفراد العائلة باعطاء دروس أخلاقية ونصائح حكمية عند الحاجة . — (ومنهن هذه السيدة التي تتكلم بفصاحة وحماس) . — وجدير بالذكر هنا تلك المدارس التي أسست لتخصيص السيدات الزائرات ومعينات العائلات بمنتهن كما تخصص الممرضة والمعلمة ، يضيق المقال عن ذكر موادها الآن . »

« ثالثاً . — تخصيص مبالغ تمنح لمساعدة العائلات المحتاجة ، ولتنشيط إكثار النسل . »

« رابعاً . — توزيع الملابس على تلك العائلات . »

« خامساً . — مساعدة العائلات الربلة بالاجور ، حتى ولو كانت في دور شركة دار العامل . »

ومما تعمله في هذا الباب دفع ٤٨ فرنكاً في كل سنة عن العامل الذي هو أب لاربعة اولاد ودفع ١٠٨ فرنكات في كل سنة عن العامل

〃 〃 〃 لخمسة 〃 〃 ١٨٠ 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃

〃 〃 〃 لستة 〃 〃 ٢٦٤ 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃

〃 〃 〃 لسبعة 〃 〃 ٣٦٠ 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃

〃 〃 〃 لثمانية 〃

وهكذا يتزايد التخصيص كلما زاد عدد الأولاد .

« سادساً · — الاعتناء بتعليم الخياطة والطهي وادارة المنزل للبنات · وذلك علاوة على أوقات المدرسة · »

« سابعاً · — تأمين ملاحظة اجتهاد التلاميذ على دروسهم واعتنائهم بوظائفهم كل مساء · »

« ثامناً · — تأمين مرافقة الأمهات للمستوصف المجاني المخصص لوزن الاطفال ولإعطاء النصائح اللازمة · »

« تاسعاً · — ايجاد أسباب التسلية للأولاد في أوقات العطل المدرسية · »

« هذه اعمال الجمعية ، جمعية نصير العائلة الربلة ، التي تضامنت بالعمل مع شركة العامل ، فكانت سعادة كثير من العائلات · تركت الشركة امر ايجار البيوت للجمعية التي تهتم بانتخاب العائلات بواسطة سيداتها الزائرات ، فاصبحت مديرة لهذا العمل العظيم المتفق مع مبادئها الشريفة · سعت مع جمعية الممرضات واستحصلت على العدد اللازم لكل حي ، وجعلت معيناتها وسيداتها الزائرات في بناء واحد ، ليعملن متضامنات متفاهمات لخدمة الانسانية · استعانت الجمعية على عملها بالنساء فقط ؛ لتفهم الجميع أن البيت للمرأة والمرأة له ، فتحيا بذلك القوانين الحافظة للعائلة · هذه اعمال هذه الشركة وتلك الجمعيات التي تمكنت بتضامنها من احياء ٣١٢٠ نفساً بينها ٢٢٢٠ ولداً ، — وهو العدد الذي تحويه تلك الدور في الاحياء الثلاثة في سنة ١٩٢٩ — وستحيي اكثر من ذلك بقوة الضمير الحي الطاهر والارادة الحازمة · ما وصلت السيدة بحديثها الى هذا الحد حتى قامت قائلة : والآن أرجو كما ياسيدتي وياسيدي أن تصحباني بضع خطوات · »

لم نسر خمسين متراً إلا ونحن في دار من تلك الدور ؛ أمام سيدة ترضع طفلها وحولها ثلاثة اولاد صغار ، فهمت من أسئلة المعينة واجوبة الاطفال ان لهم اخاً واختين في الجنينة . اجابةً لطلب المعينة ، بدأت الأم تطلعنا على حياتها العائلية قائلة : انني كنت امرأة عاملة اعمل باحد المصانع حين تزوجت بهنري الذي كانت حياتي معه مدة عشر سنوات ، قبل دخولنا هذه الجنة ؛ امر من العلقم ، لمداومته على السكر واهماله امر عائلته . بقيت تلك المدة عاملة اصرف ماقبضه من الدراهم على نفسي وعلى اولادي ، لان زوجي كان يصرف اعظم دخلة في الحانات . اخيراً سمع الله صلواتي اذ قيض لنا هذا الملاك الطاهر — واشارت الى المعينة — فتوسطت لدى الجمعية التي اجرتنا هذه الدار بثمن زهيد جداً ، وتمكنا بواسطتها ايضاً من الحصول على مساعدة نصير العائلات الربلة بقسم من الاجرة عدا عن تنزيل الشركة ؛ لم تقف خيراتها عند هذا الحد بل أنها فرشت لنا دارنا بالاثاث الذي تراه ، وهي توزع على أولادي كثيراً من الالبسة ، وعدا ذلك كله فان هذه الآنسة الشريفة ، ذات الوجدان الطاهر ، مازالت توالي نصائحها على هنري حتى أقلع عن السكر عندئذ تمكنت من ترك العمل في المصانع لأهتم بتدبير منزلي وبتربية اولادي . ان هذه الازهار والرياحين وتلك الخضر التي تراها في الجنينة هي زرع هنري الذي صار يحب البيت ويهتم بتجميله ، كما أهتم أنا بنظافته وترتيبه ، هكذا اصبحنا في سعادة بعد أن كنا في شقاء . ها اننا نسكن بيتاً جميلاً نظيفا بعد أن كنا مدفونين بالكوخ القبيح ! قالت ذلك واغرورقت عيناها بالدمع وهتفت قائلة : كيف أشكرك ياملاكي الحارس ؟! ...

عدنا على أثر ذلك ؛ بعد أن برهنت لنا تلك السيدة المعينة بالمشاهدة أن في هذا العمل احياء للعائلات ، وأنا أقول في نفسي : هنا سر العظمة و كل القوة ! ...

شكرت لتلك السيدة الفاضلة ، معينة العائلة ، حسن بيانها ، وأثنيت على عظمتها – مادامت العظمة بالاعمال – وخرجنا بعد وداع ملائكة الرحمة ، والمفتشة معجبة باعمال أمتها وفخورة ببنات جنسها ، وأنا مدهوش مما رأيت أكثر مما سمعت ، فقلت : حقاً إنني في بلاد العمل والإخلاص .

هكذا تعطف الامة على الولد الذي تريده لها ، فلا عجب اذا تفانى في سبيلها ذلك الولد متى صار رجلاً .

هكذا تتضامن الأجيال ، كما تتضامن الافراد ، فتصبح الامة متوحدة في تاريخها ، كما هي متوحدة في حاضرها .

فلنقلد الغرب في أمثال هذه الاعمال التي رفعت شأنه ، وكانت سبب قوته وعظمته وسعادته .

فلنقلد الغرب في امثال هذه العواطف الشريفة التي وحدت فيه الأمم .

بل فلنقلد أنفسنا حين كانت النهضة فينا مرتكزة على أمثال هذه العواطف وتلك الأعمال .

فلنقلد تقليداً ينيره العقل وتدعو إليه الحاجة او لنترك للاخلاق التي كانت سبب النهضة ؛ لا تلك التي يتخوفون هم منها على مدنيتهم وفي هذا كفاية والسلام .

« ملخصة عن مقالات في التربية والتعليم »

واصف باروديي

مفتش معارف الجمهورية اللبنانية

المدرسة للطفل – لا الطفل للمدرسة

أرى من واجبي يا سيداتي وسادتي أن اعتذر إليكم لقبولي مهمة محادثتكم عن شؤون صناعتكم ، وأنتم ممن أحرزوا تجربة تربيوية قلت سمعتها أم كثرت ، قد نال بعضكم خبرة واسعة في شؤون التربية والتعليم . بيد أنكم إذا لاحظتم أني قد خصصت منذ عشرين سنة جزءاً كبيراً من حياتي ، لأجل درس الطفل ، وأني حاولت أن اطلع على مجرى أعمال المربين في بلادنا وغيرها ، وأني قد اشتغلت بالفعل في تربية وتعليم الأطفال المتأخرين أولا والأسوياء ثانياً ... ستولونني ولا شك بعض الثقة ، وتسمحون لي قليلاً أن اعتبر نفسي منكم واحداً .

فلأجل أن تطلعوا على كيفية تكون آرائي ، تصوروا مقامي تجاه الأحوال التي دعيت لمعالجتها ، وهو مقام طبيب يقبل مريضاً للمرة الأولى ؛ إنه ليتساءل :

« لماذا هو مريض ؟ ما الذي حدث له ؟ هل اتخذت جميع التدابير اللازمة لصحة الجسم ؟ ألم يغتذ بغذاء زائد ؟ ألم يكن عرضة لأتعاب شديدة وهوائج عنيفة ؟ » وهلم جرا . ثم يفحص بعد ذلك الأعضاء المختلفة لتحري العضو المختل ، وأخيراً يقرر له الدواء ويدبر أمر معالجته .

وعلى هذا المنوال توصلت إلى أن أسائل نفسي الأسئلة الآتية أيضاً :

« لماذا كان هذا الطفل غير منتبه أو وقح ؟ ولماذا لا يعرف ذاك القراءة ؟

ولماذا لم يتعلم ذلك الإملاء أو الحساب ؟ هل كان ذهب إلى المدرسة ؟ وماذا صنع فيها ؟ » .

ولذلك كنت مضطراً إلى درس كل حالة من هذه الأحوال لتحري علة التأخر أو الشذوذ لأجل محاولة إعطاء كل من هؤلاء الأطفال ما لم تستطع المدرسة أن تقدمه إليه .

وقد يتبادر هنا إلى الذهن هذا الاعتراض وهو : ماذا يجدى الاهتمام بمثل هؤلاء الأطفال ؟ هل الجزاء يقابل العناء ؟ أو ليسوا من الحثالات التي يجب إهمالها ؟ لكن تفكروا فيما يلي : لم تبق اليوم في الصناعة حثالات ، لأن الصانع الذي يستخرج من الفحم غاز الاستصباح ينتج حثالات ، لكن صانعاً آخر يهتم بالاستفادة منها ، ويكون عمله هذا أساساً لصناعة جديدة ؛ ولأجل ذلك نرى في أيامنا هذه أنه في تحول المواد لا يضيع شيء ولا يهمل شيء .. إنه لتستثمر حثالات تقطير الفحم الحجري ، وغازات الاتاتين العالية ، ومصانع السكر والمدابغ ونحوها .

أوليس طبيعياً إذن أن نهتم ايضاً بان لانترك حثالات بشرية غير مستثمرة ؟ لاسيما وأنها تكلف المجتمع الانساني كثيراً : إنها أثقال ميتة ، وأعباء فادحة ، وأخطار على الحاضر والمستقبل ، وهي على كل حال مزعجة للناس ؛ فبالاهتمام بامر هؤلاء نكون اذن قد ساعدنا بادئ الامر الاسوياء .

حتى لو فرضنا انه لايستخرج خير ما من هؤلاء الاطفال — وهو لايصح على عدد كبير منهم — ، لوجب ان نعرف انه بمعالجتهم نتوصل الى زيادة فهم

الطفل بوجه عام ، والى تحسين تربية جميع الاطفال .

ان غير الاسوياء هم في الحقيقة الذين سهلوا علينا فهم البعض من اسرار العقل والعواطف وهم الذين جعلونا نرى التبديلات التي يجب إدخالها على الانماط المستعملة في أيامنا الحاضرة رؤية واضحة .

* * *

وقد اوصلتني أبحاثي أيضاً الى مشاهدات متنوعة تتعلق بشرائط البيئة التي يعيش فيها اطفال المدن الكبيرة بصورة خاصة . فقد انتبهت الى مايحضره الطفل معه من المعلومات الى المدرسة والى ما يعتري هذه المعلومات من النقص .

فاذا قارنا من هذه الوجهة الريفي الصغير او الطفل القروي بطفل المدن الكبيرة يبدو ظاهراً ان المزية لهذا الاخير ، ومع ذلك يمكن في الواقع التأكيد بان هذا الاخير الحضري ان عرف أحياناً من الالفاظ والعبارات اكثر مما عرفه القروي وان تفوق عليه بالاستعداد للكلام ، فان القروي يمتاز عليه بقوة المحاكمة العملية والاقدام وعدم الارتباك في شؤونه . وان كان الاول أشد توقدا من الثاني ، فان الثاني اشد مهارة من الاول .

لاشك في ان ذلك لايعرف في بادىء الامر ، بالنظر إلى خرق الريفي وخجله والى خشونة طباعه احياناً . ولكنه ماذا يحدث بعد ثلاث او اربع سنوات لقد جربتم ولا شك ذلك : كثيراً مايتفوق هؤلاء البسطاء — بعد هذه المدة — على رفقائهم المتمدنين في الشغل والجد والثبات ، حتى في بعض الاحيان في الفروع التي تزداد مكانة الكلام فيها — كاللغات والتاريخ الخ — وبوجه عام في تلك الفروع التي تحتاج إلى زيادة انتباه إرادي وتصلب ومنطق :

كالحساب والجغرافية والاشغال اليدوية الخ . فكيف يمكننا ان نفسر ذلك ؟ على رأيي أن ذلك سهل جداً . وقد تمكنت من الاطلاع على سره مراراً عديدة:

ان الطفل الحضري ليس له بوجه عام الا معلومات سطحية ترفيةومزوقة ضعيفة الاساس ، وهو غير متعود إن يقتحم العقبات ويخرج من الورطات ؛ لا ريب انه قد رأى كثيراً ، وسمع كثيراً من الاشياء ، لكنه لم يستقص النظر الى شيء ما ، ولم يفهم إلا شيئاً قليلاً . وهو يعرف احياناً كثيراً من المفردات ولكنه لايعرف غالباً معنى مايقوله بالضبط : ولا يعرف كذلك مصدر مايراه ولا مورده ولا سببه الداعي اليه .

ذلك لان المتاحف والسيناوات والمواكب والمعارض لاتنوب مناب منظر الطبيعة الجليل وتحولاتها الساحرة في الفصول المختلفة ، ولأن روية الجنائن والحدائق العامة والطرقات المزدانة بصفوف الاشجار المنتظمة ، والشوارع المضاءة بتناظر واسراف .. لاتستطيع ان تبعث في النفس الاحساسات المتنوعة التي تبعثها مشاهدة النباتات والحشرات والازهار والاطيار والمروج والغابات ، والزرائع والحيوانات والحقول والمزارع والشفق والفجر وليالي العواصف والسموات المكوكبة المتلألئة النجوم ..

ان روية رجال الاطفاء والشرطة لاتقدر ان تقوم مقام رويـة الفلاح في أعماله المتعددة ؛ ولا البيطار ولا الخباز ولا الحطاب ولا الخزاف .. في أعمالهم المتنوعة ...

ان الحضري يرى عجلات الجنائز المزخرفة ، ويشاهد مواكب الاعراس المكللة ، لكنه أيعرف من يدفنونه ويشيعونه الى مقره الاخير ؟ أو يعرف

سبب الوفاة ؟ والأتراح التي تعقبها ؟ لاشك في أن نظره لموكب تشييع الجنازة لايختلف عن أي موكب آخر ، وهو يبتهج ويتسلى بهما معاً .

واما الاعراس ، فهل يدري من هما العروسان ؟ انه لم يسمع شيئاً عن سعادة الزوجين وشرفهما واستعدادهما للعمل وآمالها في تربية اولادهما .

وينبغي أن ألفت نظركم الى نقطة مهمة ، وهي أن هذه الحالة لم تكن بارزة الى هذا الحد حينما دخلتم انتم المدرسة منذ عشرين او ثلاثين سنة . ذلك لان التكومات المدنية والصناعية قد توسعت في هذه الفترة توسعاً كبيراً وقد يمكننا ان نقول ان نصف الاطفال يسكنون الآن بعيداً عن كل صلة بالريف .

ولقد توصلت من هذه المشاهدات إلى قاعدة عملية مهمة ، وهي : إذا اردنا أن نحصل على إصلاح حقيقي في التربية والتعليم وجب علينا ان نسعى قبل كل شيء إلى إيجاد وتحقيق البيئة الملائمة للطفل .

وقد لاحظت رويداً رويداً ، أن نادي الدرس اسوأ جداً من البيئة الطبيعية التي تتكون من مزرعة وحقول ومروج ، والتي يتمكن الطفل فيها من تربية الحيوانات وبذر النباتات وصيانة المزروعات وحصد المحصولات ، وان هذه البيئة تستجمع أصلح وسائط التحديس الحقيقية لإبراز القوى الكامنة في الطفل .

وقد ادركت أيضاً الحقيقة التالية ، وهي أن في نفوس أكثرية الاطفال ولعاً كامناً بالأشياء الطبيعية وحادثاتها ، وأن هذا الولع يعيننا على ان نجد فيها ينبوعاً لاينضب لمواضيع شتى ، حرية إن تتخذ وسيلة للتفكير والتكلم

والحساب حسب اقوم الطرائق وأصوبها .

ومن هذه الملاحظات ، اقتنعت بأنه :

١ – يجب ان نصبو إلى نقل جميع المدارس الابتدائيه إلى الأرياف ، وانه ريثما يتم ذلك ، يجب ان ندخل فيها كل مايمكن من الطبيعة الحقيقية ؛ وان نصل بها الأطفال كثيراً بواسطة تعليمهم مبادئ الزراعة وتربية الحيوانات وبالجولات النباتية والحيوانية والجيلجية وغيرها .

٢ – يجب أن نري الأطفال ، ونجعلهم يمارسون بقدر الإمكان الصنائع البسيطة التي تحول المادة الخامية أدوات مفيدة أو أغذية قابلة للهضم : مثل النجار ، والخفاف ؛ الخياط ، الحداد ، الطحان ، الخباز ، الطباخ ، وما أشبه ذلك .

٣ – يجب أيضاً أن نسعى لاراءتهم بصورة حية الأشكال الابتدائية للحياة الاجتماعية ، ولحملهم على ممارستها بادخال بعض الوظائف والتبعات الاجتماعية في حياة الصف ، ثم بزيادة هذه شيئاً فشيئاً مع العمر وبجعل الطفل يتدخل في النظام والدواليب المختلفة للعائلة الكبرى التي هو أحد أعضائها .

تلك هي النتائج الاصلية التي توصلت اليها فيما يختص بتدبير البيئة .

***

ولننتقل الآن الى نقطة ثانية وهي التي تتعلق بالطفل نفسه ، فاعيد اليكم هنا ماتعرفونه حق المعرفة وهو انه لايشبه طفل طفلا . وان بين الاطفال فروقاً كثيرة ولو أنهم إخوة وأخوات تربوا في أحوال متماثلة .

ومع ذلك نجد هذه الفروق لاتظهر تماماً حينما يجتمع الأطفال في الصف ويخضعون بأجمعهم إلى نظام واحد وأشغال متماثله ، ومن المحتمل أن الباعث على

ذلك هو أن الضرورة تلجئ المعلم الى الاهتمام بالمادة التي يريد تهضيمها اكثر من إلجائه إلى الاهتمام بالافراد الذين يترتب عليهم هضم تلك المادة .

غير أنكم تعلمون كلكم ان ثمانين في المائة من الاطفال لايتمكنون من اكمال دراستهم الابتدائية في المدة المعينة في انظمتنا المدرسية ، وهذا دليل واضح على وجوب الاهتمام بامر الفروق الشخصية بين الطلاب .

ومهما يكن الامر ، فان الفروق بين الاطفال يزداد بروزها للعين بين غير الاسوياء (الموفين) خاصة : اذ نجد في الواقع أن احدهم موفوف ببصره والثاني بسمعه ، والثالث عسير التكلم والكتابة ، وان الرابع شرس ثائر او غضوب فاسد او قلق لايستقر على حال ، والخامس ضعيف العقل ضعفاً قليلاً أو كثيراً :

وبذلك تحزرون سريعاً أن الوسيلة الوحيدة للخروج من هذه المأزق هو أن ندرس الأطفال ونعالجهم فرداً فردا : والاذن الضعيفة السمع ينبغي أن تعالج بطريقة لاتعالج بها فظاظة الآخر ولا ضعف عقل الثالث .

وبين انه لايمكننا أن نبحث عن منهاج موحد ولا عن طرائق متشابهة او نظام متماثل في حين انا نجد بين الاطفال فروقاً كبيرة من حيث العمر الذهني وان لبعضهم فوق ذلك بلادة وشراسة ، وبينهم من يعجز عن فهم الكلام .

كما أنه لايمكننا بطبيعة الحال ان نخصص معلماً واحداً لكل تلميذ بدون أن نتحمل نفقات كبيرة من جهة ، وبدون أن نخسر التأثير الميمون الذي يتولد من العيشة المعشرية والعمل المشترك من جهة أخرى .

فما العمل في مثل هذه الظروف ؟ العمل هو مايتخذه صاحب المطعم ، الذي لايستطيع أن يحزر اذواق زبائنه تماماً وهو مضطر إلى إرضائهم جميعاً ان اراد

النجاح في أعماله . لديه الأطعمة الأصلية وإلى جانبه الأطعمة الإضافية والتوابل المختلفة ، فيجد بذلك كل طاعم مايشتهيه من خضراوات متنوعة ولحوم مشوية او مقلية واصناف الجبن والفاكهة الشهية .

لا جرم اني لا احلم ان أمثل المدارس بالمطاعم ، ولكني حينما ارى الزخارف التي تتحلى به المطاعم والنفقات التي تنفق بسخاء عليها ، اسائل نفسي عما اذا كانت المدارس لاتستفيد من التشبه بالمطاعم قليلاً .

ان الاطفال يذهبون الى المدارس ليبحثوا عن غذائهم العقلي والأدبي ، فعلى المعلم ان يهيء لهم هذا الغذاء ، وان ينبه شهوتهم الى الطعام بالمشهيات المختلفة ، وينتبه إلى جعلها سهلة الانهضام . ولماذا لا يتحرى كذلك بالوسائل التي يرضي بها زبائنه بتنويع الصحون مع تنظيم قائمة طعام ممتازة بانواعها . آه ! اني لاعرف انكم ستقولون لي : لكن ما العمل لاعطاء كل طفل صحناً مختلفا وبكمية كافية ؟ وكيف ينظم الصف ؟ وكيف يراقب ؟ ان ذلك ان امكن بقليل من الطلاب فانه يستحيل تحقيقه مع العدد الكبير ...

كل ذلك صحيح من بعض الوجوه ، الا ان تفكروا في صاحب المطعم الحاذق : أيكون معلم المدرسة اقل استعداداً من الطاهي في ارضاء زبائنه ؟

لقد تفكرت في هذا الامر مليـاً ، وقد توصلت في الاخير الى اكتشاف فائدة التمارين التفريدية individualisant التي تسمى « الالعاب التهذيبية » وإلى هذه الألعاب يرجع الفضل في حل المعضلة التي تبدو غير ممكنة الحل ، وهي معضلة تشغيل الطلاب المختلفين في وقت واحد ، بأشغال مختلفة وملائمة لكل منهم على حدة .

الدكتور دو كرولي : تعريب : عز الدين علم الدين

الطفل ملك صغير

بل هو مَلِك كبير ، بل هو أعظم الملوك شأنا ، وأقواهم سلطانا. مملكته منيعة لاتقلقها جارة ، ولا يزعجها عدوٌ بغارة . وهو مطلق الامر في حكمه لا يقيده قيد ، ولا يحد من سلطانه حد ، ولا تشركه في تصريف الامر يد ولا يقوم بازاء ايده قوة ولا أيد [1] . نافذ حكمه كيف حكم ، متقبل قضاؤه مهما ظلم . لامعقب لمراده ، ولا مراجع له في إصداره ولا إيراده ، يأمر فلا يرى إلا مطيعاً ، مايجشم في امره قولا ولا توقيعا . ففي إشارته الكفاية ، وبالايماءة يبلغ الغاية . فاذا هو تكبر على الاشارة ، وتعالى عن الاماءة ، اسرعت الرعية [2] الى تفقد مبتغاه ، وتحسس معناه [3] . ثم بادرت بالتلبية طيبة النفس ، فرحة القلب ، قريرة العين .

كل شيء له ، وكل ماوقعت عليه عينه فهو داخل في ملكه ، مايجوز احد دونه شيئاً ، ولا يملك أمر عليه أمراً . وإذا أمر فقد وجبت الطاعة ، في التو والساعة ، مهما جل المرام ، وتعذر حتى على الرؤيا والاحلام . اين منه سليمان في مرامه ، وقد تعاظمه انتظار بلقيس قبل ان يقوم من مقامه ؟

---

(١) الايد القوة

(٢) رعيته أمه والقائمون على شأنه

(٣) معناه مايعنيه ويطلبه

ناعم في ملكه غير معنّى بجهد في تدبير ، ولا مكدود بعبء كبير ولا صغير .

هو كأهل الجنة ، لايخاف وناهيك بما يورث الخوف من الاسقام . ولا يرجو وناهيك بما يعقب فوت الرجاء من الآلام . ولا يحزن ولا يأسى ، ولا يجزع ولا يشقى ، وما له يفعل وقد كفل الامان من صرف الزمان ؟

هو دائماً في امان اي امان . أليست ترعاه العيون . وتحوطه القلوب ، ويحرسه اسم الله ؟ ومن يحرسه اسم الله لايناله بالاذى إنس ولا جان .

يفعل مايشاء ، فلا يرقى اليه حساب ، ولا يتأثم من شيء فهل يلحقه عتاب ؟ كلا فلقد عز على الشك وعلا على الارتياب !

يسر فتسر الدنيا ، ويمرح فتمرح ، كل شيء رهن به ، وكل شيء حبس عليه ، ينام فتخفت الاصوات ، وتتعلق الانفاس . ويستيقظ فيهب النائم ، وينبعث الجاثم ، فكل انسان له عبد ، وكل شيء له خادم !

وجهه ولو شاه اجمل وجه . وخَلقه وان تنكر احسن خلق . طلعته ابهى من البدر ، وريحه ازكى من العطر . واقباله اسعد من اقبال الدهر . كأنما صور من نفس من ينظر اليه . وكأنما صب من قلب من يحنو عليه وأي الناس لايحنو عليه ؟

أما صوته في لغوه . فاحلى من صوت المزار في زجله وشدوه . إذا تبسم فكأنما أشرق من الروضة آسها . واذا لغا فكأنما ترنم من الحلي وسواسها .

هو نفسه للرعية ، أعظم متاع واكبر امنية ، محبب أحسن أم أساء . وهو معقد الرجاء أنى ذهب وأنى جاء .

هو ملك كبير . أما عرشه فأحنى الصدور . واما سريره فأوثر الحجور واما سماطه فممدود : على القلوب تارة ، وتارة على الكبود . واما في مراحه ومغداه فاعز المطايا مطاياه . وتلك لعمري كرامة خصه بها الله ؟

واما غذاؤه فأصفى ما انتضحت به المهج [1] ولو كانت النفوس مما يمكن ان يرضع افاويق ، والارواح مما يستطاع أن يجري فراتا في مساغ الريق ، لآثرته بذاك الرعية ، طيبة النفس صادقة الاريحية .

أسعدك الله أيها الطفل وأصحك ورشدك . حتى تضطلع بنصيبك من الاعباء كما اضطلع بعبئك أنت الامهات والآباء . ماسألوك فيه أجراً ولا اقتضوك عليه شكراً . اللهم آمين ..

عبد العزيز البشري



(١) المهجة : دم القلب



جمال الطفولة

طفلك أثرك الخالد

هل فكرت وأنت تضمين هذا الطفل العزيز ، طفلك إلى صدرك بحنان ، وتمطرين وجهه بقبلات الشغف واللهفة أن هـذا الذي تضمينه وتفيضين عليه كل هذا الحب هو أثرك الخالد في الحياة ؟

هل وقفت يوماً أمام لوحة فنان هي أثره الخالد الذي رفع ذكره ودوّن اسمه بين الخالدين ؟ وهل تأملت أي مجهود بذل وأي عناية أُنفقت حتى صارت هذه اللوحة أثراً خالداً تمر السنين فلا تنال منها بل تزيدها قيمة وترفع من ذكر صاحبها مدى الدهر ؟

هل قرأت يوماً أثراً أدبياً خالداً وفكرت وقدرت أي مجهود جبار بذل حتى استطاعت هذه الهبة أن تتجلى في أثر خالد ؟ وهل شعرت عند سماعها بهذا السمو الروحي وهذا الجو الروحاني الجليل الذي ترفعك إليه هذه الانغام ؟

هذا طفلك أمامك وأنت أمه . طفلك موادك الخام وامومتك موهبتك التي خص الله بها كل امرأة بل كل انثى . ولكن أتكفي موهبة ومواد خام ؟ هاتي أعظم من أوتي استعداداً في فن الرسم وضعي أمامه الألوان والقماش فلن يخرج من كل هذا بأثر .

لا بد من تمرين ، لا بد من تعليم ، لا بد من رقي هذه الموهبة حتى يكون

انتاج ، وكذلك لا بد من تمرين وتعليم ورقي في موهبة الامومة حتى تنتج الأم أثرها الخالد طفلاً يصبح رجلاً عظيماً .

ولا بد لصاحب الفن الحق من شغف بفنه شغف ، يتجلى لا في الكلام الفارغ الأجوف وانما شغف يتجلى في السعي المتواصل والدأب المستمر حتى يصل بفنه إلى ذروة يتطلع إليها .

أي رجل نبغ في فن لم يضح الحياة لفنه ؟ أي إنسان نبغ في عمل لم يبذل في سبيله النفس والنفيس ؟ وأي أم استطاعت أن تخرج للدنيا أثراً خالداً أو رجلاً عظيماً دون أن تشغف بفن الأمومة ، دون أن تبذل في سبيل أثرها الخالد كل ما يمكن أن يبذل صاحب فن لفنه ؟

الأمومة فن مافي ذلك ريب . فن له أصوله وقواعده ، توصل العلم إلى بعضها ووقف أمام سائرها عاجزاً كما وقف أمام كل فن . لا بد لهذا الفن من أن تتقن أصوله ولا بد لصاحبه من موهبة خاصة ، من ذوق خاص . حتى يمكن أن يكون ما يرجى من الفن ، حتى يمكن أن يظهر للعالم آية هذا الفن الخالدة التي تطاول الزمن وتفيض على أهله فيضاً من سحرها .

إن الأم التي لا تقبل على عملها كأم كما يقبل صاحب الفن على فنه ، أم تعد في نظري مجرمة في حق نفسها وفي حق الأمومة وفي حق الانسانية جميعها . إن الأم التي تظن أن أمومتها تتلخص في إطعام الطفل ونومه وأكله ودرء المرض عنه ، أم لا تفهم من معنى الامومة الإنسانية شيئاً . أي حيوان لا يوفر لطفله الطعام والشراب والنوم ؟ بل أي حيوان لا يسعى ويكد ويضحي أحيانا

في سبيل توفير هذه الأوليات لطفله ؟

ما أكثر ما تتغنى الأمهات عندنا بالتضحية وما أبعدهن عن التضحية لو فهمن الأمومة حق فهمها . أي أم عندنا — إلا أقلية ضئيلة — تقبل على مهام الامومة الحقة بشغف وذوق وحماس كالذي يحسه صاحب الفن نحو فنه . أيـه أم تستطيع أن تفخر انها وصلت إلى فهم نفسية طفلها وأنها وصلت إلى أن يحبها الطفل لأنها تستحق تقديره لا لانها أمه فقط ؟

ان الطفل يحس قبل أن نعرف إنه يحس ، وهو يقدر الأشياء تقـديراً وقلما نفطن نحن لهذا التقدير . وهو فوق كل هذا كتلة أعصاب حية جديدة الحياة ، تحس إحساساً أعمق مما نتصور وأدق مما نقدر . فهل حسبت الأم حساب كل هذا ؟ هل فكرت قبل الشكوى والتأفف من حياتها وقبل إعادة أحاديث الجيران والتمشدق بأخبار الناس — إن هذه الجهود كلها أحرى بأن تبذل للطفل . هل فكرت يوماً وهي تمضي ساعة أو أكثر أمام المرآة تتقن رسم وجهها ، هل فكرت أن طفلها أولى بهذا الوقت يبذل في سبيل تسليته أو الخروج به إلى نزهة مفيدة مريحة لاذة ، نزهة حقة لا اللعب في بيت الجيران أو في أقرب منتزه من الدار ؟

كم أماً تهتم بجسم طفلها فتدربه يومياً على تمارين رياضية في الهواء الطلق ؟ كم أماً تهتم بأن يكون طفلها قوي البنية شغوفاً بلعبة رياضية ؟

أراك سيدتي بعيدة عما أقول بعداً كبيراً . أراك تهمسين في أذني : كم أماً تدعو الطبيب وابنها في حالة الخطر من مرض طال عليه .

إن هذه الريفية التي تترك الذباب يأكل عين طفلها الجميلة ليست أكبر جرماً منك أنت الحضرية التي تترك طفلها في يد الخادم تعنى به جسمياً وروحيا . هذه لم تتعلم النظافة فكان ذنبها جهلها وأنت لم تتعلمي واجب الأمومة فكان ذنبك جهلك . وكما تشعر الريفية انه مادام ابنها لا يشكو جوعاً فقد قامت بكل واجبها نحوه ، فكذلك تشعرين أنت انه مادام ابنك لا يشكو جوعاً أو مرضاً أو قذارة فقد قمت بكل واجبك نحوه . والواقع ان كلتيكما في درجة من درجات الأمومة الحيوانية فالقطة ، تغسل طفلها ، وتنظفه وتطعمه مثلكما تماما .

الامومة فن لا بد أن تتصدي لاتقانه . فإن وفقتِ فمن حسن حظ الانسانية . وإن لم توفقي فلا أقل من سعي مشكور . الأمومة فن اتقانه أوجب بكثير من اتقان فن الطبخ أو الخياطة أو رسم الوجه فهل بذلتِ فيه مجهوداً كالذي تبذلينه في تلك ما أيسر ما تهدأ ثورة الجوع بكسرة خبز ! وما أيسر ما تكونين جميلة بشيء قليل من العناية . ولكن ما أصعب ان يكون طفلك رجلاً عظيما يشرفك ويشرف أمومتك ، وما أحر النار التي تصلينها لو خرج طفلك مفسوداً في أية ناحية من شخصيته وعلمت بعد فوات الأوان ، أنكِ أنتِ سبب الفساد !

سرير القلماوي

كيف نعد الجيل الجديد

من النواحي الجيدة في التربية العراقية ما يلي :

١ – وحدة المناهج التعليمية والأهداف وخضوعها لهيئة مركزية عليا هي وزارة المعارف العراقية على أن هذا التوحيد في المناهج يجب أن يقتصر على الأسس والمبادئ العامة ولا يتعداها إلى التفصيلات ، والاجتهاد في التصرف والتطبيق والابتكار والتكييف من الأمور التي يجب أن تتحور بحسب حاجات المحيط الخاصة .

٢ – استقلال التربية والتعليم عن السيطرة والنفوذ الأجنبيين واصطباغهما بالصبغة الوطنية ، وقد كان من حسن طالع دائرة المعارف العراقية أنها كانت أسبق دوائر الدولة العراقية تحرراً من التدخل والنفوذ الاجنبيين .

٣ – ديمقراطية التعليم : فالتعليم الأولي والابتدائي عام ومجاني ، وأبواب المدارس مفتوحة لجميع أبناء الشعب على السواء وفي بعض المناطق الريفية تقدم المعارف مساعدات خاصة للطلاب الفقراء وقد شمل التعليم المجاني منذ هذه السنة المدارس المتوسطة والثانوية وهذه الظاهرة الطيبة قلما تجد لها مثيلاً حتى في البلاد العريقة في الديموقراطية .

٤ – إدخال التدريب العسكري إلى المدارس وجعله إلزامياً لخريجي المتوسطات والثانويات وفي ذلك تقوية لهم على حب الطاعة والضبط والنظام .

أما مواطن الضعف البارزة في التربية والتعليم عندنا فيمكن تلخيصها بما يلي :

١ - التعليم نظري وميكانيكي فلا يستند إلى المشاهدات والتجارب والاختبارات العلمية ، وهذه من أهم مميزات العصر الحديث بل هو في الغالب تقريري لا يشجع على الإبداع والابتكار والتفكير الحر .

٢ - تربيتنا لا تمثل الحياة تمثيلاً صحيحاً ، ولا تمت لها بصلة قوية إذ قلما يعنى المعلمون والمديرون عندنا بنواحي حياة الطلاب المختلفة من صحية وروحية واجتماعية ، أو بتنظيم أوقات فراغهم تنظيما نافعاً ، بل إن جل همهم ينحصر في تلقين مفردات المنهج المقرر التي لايحيدون عنها قليلاً أو كثيراً ، والكثير من مديري المدارس الابتدائية يجهلون الغايات والاهداف الشاملة المطلوبة من التعليم الابتدائي ، ومعنى هذا أن تربيتنا وتعليمنا لا يؤثران في حياة الطلاب أنفسهم ولا يطبعان نفوسهم خلال مدة الدراسة بطابع الحياة العصرية الراقية ، ولهذا غدت مدارسنا خالية مجدبة من عوامل البهجة والنشاط والسرور الحافزة الهمم وأفكار الناشئة .

٣ - ضعف التربية الروحية والوطنية وكونها ليست إيجابية إذ بالرغم من الفرص الثمينة التي يتمتع بها معلمونا ومدارسنا من حرية واستقلال في العمل بالنسبة للبلاد العربية الاخرى ، فاننا لم ننجح بصورة مرضية في حسن التهذيب والتوجيه القوي نحو المثل العليا الصحيحة من روحية ووطنية وقومية ولهذا يتخرج ناشئة المدارس عندنا وهم ضعفاء الايمان ، غير صلبين في عقائدهم الدينية والوطنية والقومية والخلقية ، ولا شك أن وزارة المعارف ومؤسساتها عندنا مقصرة كل التقصير لعدم عنايتها الجديدة باصلاح تدريس دروس الديانة والاخلاق والمدنية والاجتماع في شتى مدارسها الابتدائية والثانوية اصلاحاً

يتناول إعداد المعلمين الصالحين الأكفاء لها . وتهيئة الخطط والطرق والمناهج الرشيدة التي تضمن تحقيق النتائج ، وما هذا التبلبل في الأفكار والآراء والخلخلة في العقائد والاستخفاف بالمبادئ إلا نتيجة لهذا الضعف وذلك الاخفاق والأنكى من هذا أن الناشئة بعد أن تصبح متشككة زاهدة في معارفها ومعتقداتها الدينية (لضعف الأسس التي بنيت عليها والمنابع التي استمدت منها تلك المعارف والمعتقدات وللاخفاق البارز في تربيتها وتهذيبها وحسن توجيهها ، ثم لا تدعم أو يعرض عنها بمبادئ خلقية ووطنية واجتماعية تصبح لها نفس القوة المهيمنة الرادعة عن الرذيلة والحاثة على اعتناق الفضيلة) تبقى خلواً من أي وازع روحي قوي يسيرها في الحياة وهذا من أهم أسباب التدني في الأخلاق وضعف روح الإيثار والتضحية في سبيل الخدمة العامة في النفوس .

٤ — الضعف في التوجيه المهني وتحبيب العمل اليدوي ومزاولة الصناعات المحلية والمهن الحرة بصورة عامة فدروس الأشغال اليدوية في مدارسنا ميكانيكية مصطنعة ، والصناعات اليدوية المحلية معدومة ، كما أن الدعاية للترغيب في العمل اليدوي بصورة ايجابية مؤثرة مفقودة أيضاً .

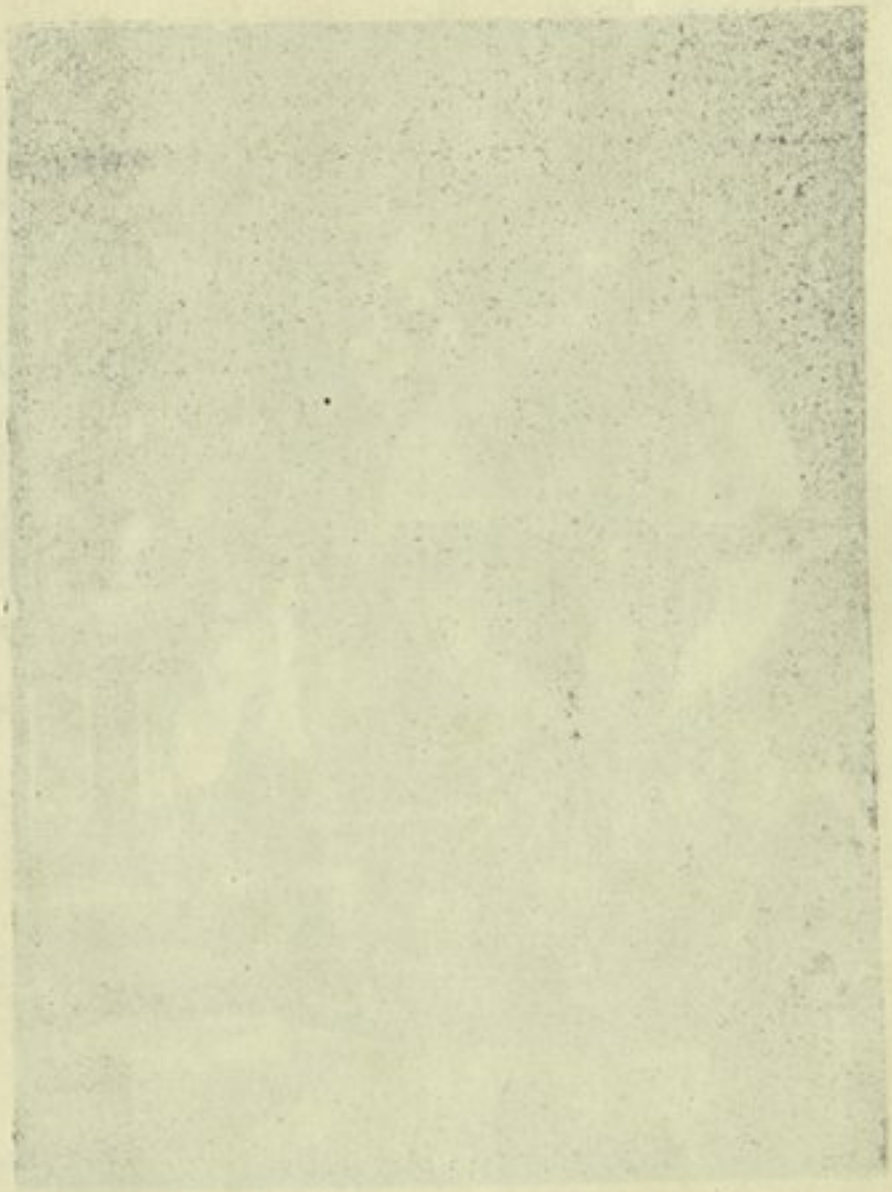
٥ — الضبط والنظام غير إيجابيين ولا ينبعثان عن النفس الداخلية طوعاً وعن رضى وارتياح ، وان وجدت فظاهرهما بدوافع خارجية من الخوف والإرهاب والتظاهر بها فقط ، ومعظم طلبة المدارس المتوسطة والثانوية عندنا لايفهمون الحرية بمعناها الصحيح ومدارسنا لم تختط لها بعد الخطة المثلى التي توفق بين الحرية المفرطة غير المقيدة والضغط الشديد الذي يميت النفوس ، وللعمل على ملافاة ذلك يجب ملاحظة ما يلي :

١ – أن تبذل الجهود الجبارة الصادقة لجعل مدارسنا معاهد علمية عملية صحيحة تشجع روح التجربة والبحث والمشاهدة والاستنباط واستخدام الطرق العلمية الحديثة والإكثار من دراسة المحيط والطبيعة والرحلات العلمية وإدخال طريقة المشاريع في التعليم في أغلب الدروس التي يفضل تدريس المواد التعليمية فيها بصورة وحدات من العمل وموضوعات كبيرة غير مقطعة الاجزاء والأوصال ، وإشراك الطلاب بالعمل ، وجعل الطالب هو المحور الذي يدور حوله التعليم ، لأن من أهم مبادئ التربية الحديثة هو التعليم التجريبي والتعليم بالعمل .

٢ – يجب أن تكون مدارسنا نماذج مصغرة من الحياة الخارجية إن لم تكن هي الحياة نفسها مهذبة من النواقص ، فيحيا الطلاب في المدرسة حياة صحيحة كاملة تتناول مختلف شؤون حياتهم الثقافية والاقتصادية والسياسية والصحية حتى يتدربوا على مطاليب الحياة ومشاكلها بصورة طبيعية وعملية كما يجب أن تكون هذه الحياة موفورة نامية متجددة غنية بالتجربة والاختبار .

٣ – يجب أن نؤكد فيما نؤكد عليه في مدارسنا : التربية الروحية والوطنية والقومية بصورة عملية وايجابية أي بطريقة القدوة الحسنة والممارسة وليس بمجرد التلقين وذلك ضمن الدروس والمناهج الفعالة ، واللجان والجمعيات المختلفة من ثقافية ورياضية وتعاونية فنطبع نفوس الناشئة بطابع الايمان الصحيح ، وتقدير الحق والفضيلة ؛ ونجعلها متحمسة بالمبادئ الوطنية والقومية ، ونفسح المجال لممارسة الخدمة الاجتماعية والعمرانية بصورة عملية .

٤ – يجب أن نوجه جميع مدارسنا بصورة عامة توجيهاً مهنياً وصناعياً يتلائم وقابليات وحاجات المحيط ليعتاد طلابنا على تقدير العمل كما نشرع بتأسيس





نابوليون بونابرت يداعب ابنه قائلاً له :

﴿ ولدي هذه الدنيـا لك ﴾

المدارس المهنية الاختصاصية التي تكون بدرجة متوسطة ، وثانوية ، وعالية ، في الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من الفروع العملية لتتخلص من أضرار التربية الاتكالية التي لا تعتمد إلا على طرق ابواب الحكومة للتوظف .

٥ – يجب أن نطبع مدارسنا وناشئتنا بطابع تقدير واحترام النظام والقانون المؤسسين على الحاجة الاجتماعية واستهداف المصلحة العامة كما نربي الطاعة والحرمة لأولياء أمورهم وأساتذتهم ومربيهم ونغرس فيهم روح تقدير المسؤولية ، والواجب ، والمبدأ السامي ؛ كما يجب في الوقت نفسه أن نوفر للطلاب جواً رحباً من الحرية المتزنة الصحيحة لتتفتح أذهانهم ، ويقبلوا على التعليم برغبة واندفاع . أما ماتتطلبه من الجيل الجديد فيمكن تلخيصه بما ورد في المنهج الوزاري الأخير ، وفي اجمال موفق للمثل والأهداف التي يجب أن تؤسس عليها سياسة المعارف ، وهي الاتجاه بمناهج التعليم الى ناحية تضمن إعداد النشء ليكون نشأً قوياً قديراً على الإنتاج ومواجهة الصعاب ، محباً للنظام والاقتصاد ، مولعا بالبحث والتمحيص ، متشيعاً بالشعور الوطني ، وبروح الفتوة والطموح سليم المعتقد قويم الأخلاق .

خالد الهاشمي
مدير دار المعلمين الابتدائية

بغداد :

الطفل النابغ

لقد وجدنا بالإحصاء أن ٤٪ من متوسط الأطفال الذين نجمعهم تحت سقف فصل واحد من حيث السن اكثر تفوقاً من مجموع الأطفال . ومعنى ذلك أنهم لا يستفيدون الاستفادة الحقة من وجودهم مع من هم أقل منهم استعداداً .

هؤلاء هم الأطفال النابهين أو النابغين . والنبوغ نوع من الشذوذ من حيث أنه خروج على القاعدة التي وضعناها للطفل العادي من حيث استعداده العقلي .

وليس ضروريا أن يكون الطفل النابغ متفوقا في حياته المدرسية ، لأن هذه — إلى حد كبير — تعتمد على ناحية واحدة وهي وحدة الذاكرة فالامتحانات المدرسية من كل نوع الشفهية والتحريرية . الخاصة والعمومية — وهي التي تستخدم في التمييز بين طفل وطفل — لا تختبر إلا قوة الطفل على تذكر ما أعطي له من الدروس سابقا ، والطفل النابغ قد يفشل في هذه الناحية .

واختبارات الذكاء قد تفشل أيضاً في اكتشاف النبوغ عند الطفل . وإن كانت صحيحة النتائج في اكتشاف الانحطاط العقلي ، فالعجز أيسر معرفة عن طريق الاختبار من النبوغ .

إن اختبارات الذكاء محصورة محدودة الجوانب ، والنبوغ ليس ضروريا أن يسطع في أية ناحية من هذه النواحي المرسومة ، لأنه غير مقيد بطريق خاص أو مظهر معين .

واكبر مظهر للنبوغ هو القدرة على الابتكار والخلق ، ولما كانت النظم

المدرسية لا تساعد الطفل على تحطيم ما استنته لنفسها من طرق ، باتباع ما يرتئيه لنفسه . لذلك كانت النظم المدرسية عاملا قويا على هصر البرعم قبل تفتحه .

وكلما كان المجال حراً لطفل لاظهار مواهبه كلما كان ذلك دافعاً له على الاستفادة بها . ومثال ذلك علوم الآداب ، كالانشاء أو الفنون الجميلة كالتصوير والموسيقى . ففي مثل هذه النواحي قد يتنبه القائمون بشؤون المدرسة بأمر مثل هذا الطفل .

والابتكار مرادف آخر للشذوذ ، فالطفل المبتكر هو الذي يشذ في تفكيره أو أعماله أو سلوكه عما اصطلح عليه .

والنبوغ لا يكون موزعاً ، بل هو ينحصر عادة في ناحية خاصة ، لذلك كانت الصعوبة كل الصعوبة في اكتشاف هذه الناحية إذا لم تتهيأ الظروف المناسبة لظهورها .

ولما كان النبوغ جزئيا ، كان بديهياً أن يختل التوازن في بقية استعدادات هذا الطفل ، حتى إنه ليبظر بمظهر العاجز فيها .

فالطفل الحاذق في الاشغال اليدوية الدقيقة قد يظهر دون المتوسط في علوم التاريخ مثلا ، والذي يظهر لباقة ومقدرة في فنون الانشاء أو الخطابة ، قد يظهر عجزاً فاضحاً في الرياضيات مثلا .

وهذه الاستعدادات الشاذة — وهي التي تميز النبوغ — استعدادات فطرية وراثية لا تكتسب بتربية أو مران ، ومثلها مثل الانحطاط العقلي ، الذي لا يقومه تعليم أو تدريب .

ولقد أجرى كثيرون من الباحثين أمثال : (جلتون) و (وود) مجموعات

من الاحصائيات لاثبات أن النبوغ وراثي ، وأنه جزئي وليس مشتتا . فهنالك العائلة التي نبغ فيها اكثر من موسيقي واحد ، أو التي يظهر فيها عدد من رجال الاختراع أو من الرياضيين .

ولم يقصر العالم المتمدن وعلى رأسه أمريكا في المحافظة على هذه المواهب النادرة، التي قد تضيع هدراً بسبب النظم المدرسية الجامدة . والوسائل التي اتخذت لرعاية هؤلاء الاطفال ، موجهة عادة نحو ملء فراغهم بما يثير استعداداتهم ، أو باعطائهم من الحرية مايكفل لهم اظهار مواهبهم ، أو باتخاذ الوسائل التي بها ينجزون مناهجهم المدرسية في المدة التي تتناسب مع تفوقهم ونبوغهم .

احمد عطيه الله



الطفل الموهوب

مر الشاعر الانكليزي توماس جراي بمقبرة ، ووقف حيالها ساعة يقلب النظر ويجيل الفكر بين القبور المتساندة يحرس بعضها بعضا من عبث الدهر وقسوة النسيان . وهبط الوحي وانتهى الشاعر العبقري من اجالة الفكر في أروع مرثاة دارت على لسان شاعر انكليزي .

ولئن جاز للشاعر الانكليزي أن يرثي بالأمس أبناء قومه ممن تحيف الحظ الانكد والجد العاثر نصيبهم من الحياة ، أفلا يجوز لنا اليوم ، ونحن — كما يقال — في قرن النور ، أن نرثي في شرقنا العربي مئات العبقريات الكامنة والذكاء الألاق يمضيان لا يحفلهما أحد أو يحفلان أحداً ؟ لقد رثى الشاعر الانكليزي أناساً طواهم الثرى وغيبتهم اللحود . أما نحن اليوم فعلينا أن نرثي أناساً غيبتهم الدور دون القبور ، وعبقريات تلمأت عليها المدارس لا القبور الدوارس ، وذكاء لم يحتبس في ظلمة النفوس بل في خبايا النفوس .

إن الموهوب من الناس نادر ندرة الأشياء الغالية ذات القيم الرفيعة . ففي مائة الطفل قد تجد الطفل اللامع ، وفي الألف قد تقع في فرد واحد أو اثنين على بصيص العبقرية الخالدة ، وفي الالوف قد تقع على الطفل فذ العبقرية منقطع النظير . وهذه الندرة وتلك القيمة هما اللتان تهيبان بأعلام التربية في بلدان العالم الراقي إلى اصطناع الأدوات وابتداع الاساليب التي تهدي

إلى اكتشاف العبقريات النادرة وتعين على تعهدها بأسباب النماء والتغذية ، فتؤتي أكلها ثمراً جنياً غير مكبوت النماء أو متعوق النضوج . وسبيلهم إن لم يكن مأموناً فهو كالمأمون . فالامية تكاد تنعدم ، ووجود العبقريات النادرة مغفلة منسية يكاد يضحي ضرباً من الاستحالة . فأيما طفل وهب موهبة خاصة أو عامة من الذكاء واجد سبيله إلى المدرسة أو ما وراء المدرسة من مجال للتبريز والاجادة . والبيت ذاته هناك عادٍ لا يقف من الطفل موقف الحياد ورفع التبعة . فقد أضحى جمهور الآباء والامهات على أتم الإدراك أن عليهم واجباً كواجب المدرسة في التربية والتهذيب وإزالة العراقيل من سبيل الصغار ليظهروا في أتم تقويم وأكمل صورة . ولسنا نعني بهذا أن القوم وصلوا من السير في هذه الناحية إلى الغاية التي ليس وراءها غاية ، إنما يصح القول ان القوم أضحوا على أتم الشعور بوجوب السير في هذه الناحية على هدى وبصيرة ، وفي اثبت اليقين بأن عمل التربية ليس اخراج الاوساط أو ما دون الاوساط من الناس إلى الحياة والوقوف عند هذا الحد ، بل أضحى عمل التربية في اسمى معانيه وأجل مراميه اكتشاف العبقريات الكامنة والاستعداد المخفي . فالحياة ، في اعتقادهم ، واعتقادهم حق ، لا تقاس ، او يجب ألا تقاس ، بطولها وعرضها ، إنما يجب أن تقاس في ناحيتي العمق والارتفاع . وليس يكسب التاريخ والحياة عمقاً وسمكاً مثل العبقريات خلصت من كل عائق يعتاقها أو عقبة تتكاءدها فسمت في آخر الامر نصائب تدل على المجد وتهدي إلى المدى .

والقوم بعد شاعرون هناك بنقص أساليبهم الراهنة في اكتشاف العبقرية

ومعالجتها المعالجة المثلى . وهم ساخطون على هذا الحال من النقص . ومتى وجد الشعور بالنقص والسخط على بقائه فقل إن الكمال أضحى قريب المنال . فهم ، وان لم يدركوا غايتهم هذا اليوم ، لا شك أنهم مدركوها غداً .

ومن أساليبهم التي يصطنعونها في استفراد الذكاء والعبقرية ، على شعور بنقص هذه الأساليب ومحاولة لاستكمالها ، أساليب اختبارات الذكاء الخاص أو العام حيث يلقون على المجموعة الواحدة من الطلاب عدداً من المسائل التي تعمد إلى الذكاء الفطري تقيسه نائية ما أمكن النأي عن الأسئلة التي تحوم حول المعرفة المشتقة من الكتب وأحوال المحيط الخاصة . ومما يجيب به الصغار عن هذه الأسئلة يستطيع علماء النفس والمربون أن يميزوا — إلى حد ما — بين الأطفال ذوي المقدرة الفائقة ومتوسطي المقدره أو أدنيائها . ثم هناك اختبارات الذكاء الخاص . أي اختبار الصغار في صفات خاصة للوقوف على حظهم من بعض المواهب المعينة كالاستعداد للتبريز في الرسم أو الموسيقى أو الشعر أو خلافها . ومتى تم استفراد الأطفال الأذكياء ذكاء خاصاً أو عاماً كان من الميسور معالجتهم المعالجة التي يجب أن يعالجوها ، فلا يرهق ذو الذكاء الخاص فيما لا استعداد لرقيه ولا ميل له إليه ، ولا يضيع — كذلك — ذو الذكاء العالي العام بين رهط من أدنياء الذكاء ، ولا يكون شأنه معهم شأن الجواد السابق يشد إلى الفساكل ، لا يخطو كما يخطون ، ولا يسير إلا على قدر ما يسيرون . ولقد أضحى للغربيين كثير من المعاهد الراقية التي يتعاهد فيها المربون باسباب التثقيف والنماء ذوي الذكاء الخاص والعام كمدارس التصوير والموسيقى والنحت وكليات التخصص والجامعات التي تعد للطلاب أوسع مدى للاختيار وملاءمة

الأذواق والميول ؛ وكالمدارس والمعاهد الخاصة التي تسمح للطلاب بالسير في مناهج الدراسة على قدر ما يستطيعون السير ، فتعطي سريع السير من مواد الدرس ما يتلاءم وإسراعه وتعطي متوسط السير أو بطيئه ما يتلاءم وقدرته .

* * *

هذا في الغرب : أمّية تزول ، وبيت يشعر بالتبعة الملقاة على عاتقه ، ومعاهد تسعى أشق السعي لاكتشاف الذكاء العالي ومعالجته المعالجة التي تيسر له أسباب البقاء والنماء . هذا إلى محيط حي سريع الاستجابة والتقدير لدواعي العبقرية . فماذا في شرقنا من هذا جميعاً ؟ اللهم لا شيء إلا القليل . الأمية لاتزال سوقها في رواج والبيت على عهده القديم ؛ ومثله الأعلى من التخلي عن كل تبعات التربية هو هو ، مثل الأب يقود صغيره من يده إلى فناء المدرسة ويخاطب المعلم : « اللحم لك والعظم لي !! » والمحيط مغمض العينين أو كالمغمضهما . لا يفيق على نداء ولا يستجيب لدعوة من دعوات النبوغ والعبقرية الا في القليل الاقل .

بيد أننا لا نحب أن نشتط في التشاؤم وسوء الظن . فالأمية ، وإن تكن لم تزل في خفض من العيش والاطمئنان . لا شك سوف يجيء اليوم الذي تروّع فيه فتنزوي في زوايا خفية كما انزوت في ألمانيا وسويسرا وانكلترا . والبيت لا بد شاعر يوماً بالتبعة الملقاة على عاتقه . والمحيط الخارجي لا ريب مقدر للعبقرية يوماً قدرها . وها نحن أولاء نرى بوادر ذلك في شرقنا . وهي ، وان تكن لا تزال بصيصاً ، توشك أن تكون نادراً . فهناك المحاولات الجدية للقضاء على الامية ، وهنالك معاهد فيها مربون نشأوا على أوفر العلم وأقوى الشعور بأن عملهم في التربية والتهذيب لا ينحصر في تخريج الأوساط ومن هم دون

الأوساط فحسب ، بل هم إلى ذلك يدركون أن غاية التربية في أجلّ ما ترمي إليه وتصبو إلى تحقيقه هي استفراد الذكاء والعبقرية في سن متقدمة وتهيئة خير ما يمكن تهيئته لها من أسباب النمو والتغذية . ولست اذيع سراً إذ أشير إلى معهد من هذه المعاهد أعرفه معرفة جيدة وما يسير عليه فيه اولو الشأن من سياسة رشيدة في استفراد الذكاء وجمعه في صعيد واحد حيث يلاقي من جودة التلقين وحسن التوجيه وابتعاث كامن القوى ما يلاقي . ولقد شعر القائمون على إدارة هذا المعهد بأن عليهم ، لتكون عملية الاختيار أتم وأوفى أن ينزلوا في الاختيار إلى سن دون السن التي يختار عندها الطلاب عادة لهذا المعهد . وذلك إنه قد يحدث — وكثيراً ما يحدث — إن طالباً صغيراً ، من الذكاء وحدة الذكاء على حظ وافر ، ينقطع عن التعليم لفقر قاهر أو ضرورة محتومة فتحرمه البلاد في مثل هذا الحال وتخسره خسارة لا تعوض . وقد أخبرني الأستاذ الكبير مدير الكلية العربية أنهم أضحوا في السنوات الأخيرة يختارون بعض الطلاب من الصفوف الابتدائية ، على خلاف عادة الكلية العربية ، ممن أجمعت كلمة المفتشين وتقارير المديرين على تبريزهم في صفوفهم . فإذا التحقوا بالكلية لم يمنعهم فقر من تبريز ، ولم يعفهم اهمال أو سوء توجيه عن إجادة .

إن أقصى ما نتمنى ويتمنى كل مخلص لاغراض التربية حريص أن لا تفوتنا أقصى ممكناتها هو أن نرى الذكاء والمقدرة الصحيحة يحلان في توجيه مناحي حياتنا المختلفة محل العجز والتقصير ، وهما علة ما نعاني اليوم من فوضى واضطراب وبعد عن المثل العليا التي يرسمها لنا المخلصون العارفون ويقعد بنا عن الوصول إليها أو الدنو منها ضعف الجيش المحارب وفقر الاستعداد .

« مجلة الكلية العربية »

الطفل العظيم

يزعم البعض أن من الممكن توليد الرجل العظيم باختيار والديه وبيئته وتهيئة ظروفه على طريقة الانتخاب الطبيعي ولكن ماهي الشرائط اللازمة لاستبقاء هذا الانتخاب . ؟

صحة الوالدين أو ضعفهم ، سعة علمهم أو جهلهم ، تقواهم أو فسادهم ؛ غناهم أو فقرهم ، ؟ والبيئة والظروف ؟ ماهي ؟ وكيف تهيأ . وكيف يؤخذ الصبي ؟ أيحول مزاجه إلى حالة عصبية مخصوصة ، أو يدرب على الحيلة والشجاعة والصبر . ؟ ممن تعلم رومولوس بناء روما ؟ من أبيه ولم يعرف له أبا ؟ من أمه ولم يكن له من مرضع سوى ذئبة ؟ . ألا يدل كل هذا أن للقدرة الإلهية وتصاريف حوادث العمران اليد الاولى في خلق الرجل العظيم . ؟

يقولون لو أخذ الانسان نفسه بالصبر والاقدام وتعلم فنون الحياة ؛ وأنعم النظر في حوادثها ؛ وكان نهازاً للفرص ، انقلب الفكر عنده عملا ، وصار عظيما .

الواقع أن العظيم ينم عن نفسه منذ صغره .. اذا لعب ، رأس اللاعبين ؛ وإذا درس بز الدارسين ، يتصدر للحكم بين زملائه الصبيان ، ويشعر من حوله أنه خلق ليكون قائداً لامسوداً ترى ذلك الصبي يلتهم كل ما يقدم إليه من علم وفن يطلب المزيد بلا شبع كأن لعقله مخ قوي يهضم كل ما يلقى اليه . لايقنع بما بين يديه من كتب المدرسة (ولا يحل سماع أقوال الحكماء) يندس إلى مجالس العظماء ويغيظه أن يقال عنه صبي وإن كان لايتجاوز العاشرة .

ومن خصائصه أن ينصب على نوع معين من العلوم يكره كل شيء عداه . لايبالي مَن خُلق لإدارة السياسة بعلوم ما وراء الطبيعة مثلاً ولا اللغات الميتة ؛ إنما كله كلف بتعرف طبائع الناس وأساليب الحكم وفنون السياسة .

ينصح الاخلاقيون لمن رزقوا صبياً كهذا ، ألا يعطلوا ميوله ونزعاته والا يرغموه على ما لا تشتهي نفسه . وان لايروا فيه الرجل العظيم ، يتعهدونه بالمزيد مما يحب .

أين يجد ذلك الصبي العظيم مايريد من مزيد ؟ — في الكتاب ؛ من درى أخبار من قبله أضاف اعماراً إلى عمره . لاشك أن من درى علوم من قبله وتعرف تجاريب واختبارات سابقيه ومعاصريه انفتق ذهنه ورأى الحياة على حقيقتها وعرف طبائع الناس ونظر من خلال ذلك إلى المستقبل نظرة صادقة . فاذا كان مع هذا كريم الطبع متين الخلق ، محباً للخير ؛ عاش لعمل الخير وكان عظيما .

يقول أصحاب فكرة التدريب . يجب مران الصبي على ثلاث خلال النظرة الصادقة ، والفكرة الحكيمة ، والارادة الحازمة .

النظرة الصادقة مشاهدة الشيء أو الحادث على حقيقته من كل نواحيه وجميع ما يتألف منه ومقدار كل عنصر من عناصره ، ماهيته ، قوته ، أثره . ولا يمكن أن يتوفر هذا بصبي حرم النظر الدقيق والمرشد الأمين .

والرأي الحكيم أن يعلل الصبي ما يرى وينظر إلى ما ينتهي اليه من المقدمات والنتائج ، يتبين الفاسد منها . والصحيح ، الوهمي والحقيقي ، أثر كل منهما (وكان يمكن أن يعطل حدوثه أو يفسد نتيجته) وما جاء عرضا

وما جاء قصدا . وما فيه من عمل الانسان وما فيه من عمل الظروف ؛ كيف نما ؛ كيف تم . ومتى راض الصبي نفسه على النظرة الصادقة والرأي الحكيم فلا يعوزه سوى الارادة .

هل يمكن تربية الارادة ؟ . ان كتاب « بايو » في تربية الارادة خير ما يحسن نقله إلى اللغة العربية . حقيقة إن كلامه عن الحرية الشخصية المطلقة ليس مما يقنع العلماء الا أنه من الخير للانسانية أن تعتقد تلك الحرية . أما القول أن الانسان مسير لا ارادة له على الاطلاق فليس من المصلحة في شيء . على أن القول في ذلك لم يبت به بعد . ومن المنطق المعقول انه اذا كان لأمر وجهان حق لنا أن نأخذ بالادنى الى المصلحة !

اذا كان هذا فليس الغرض من تربية الارادة جعل الانسان فعالا لما يريد انما يريد بذلك . انه متى توفر لانسان النظر الصادق والرأي الحكيم يتعين عليه أن يمضي فيما أراد بعزيمة صادقة لاتمل الجهاد ولا تعرف اليأس . لو أن إنسانا تمرس بهذه الخلال الثلاث النظرة الصادقة والرأي الحكيم والارادة الحازمة لما بقي بينه وبين أن يكون عظيماً سوى أن تظاهره الظروف أو يرزق الحيلة لاظهار نفسه .

ميخائيل بشاره داود

عناية نساء الغرب بالطفولة

هذا هو الموضوع الذي اخترته اليوم ، وأشهد أن العنوان مرن يتسع لكل الاقطار التي تشملها الحدود الجغرافية لكلمة « الغرب » ولكن هذه الكلمة — شأن الكلمات القوية الموحية — معنى استعماليًا غير الذي تحدده المعاجم ، ولها جو خاص خلقته لنفسها او خلقته البيئة لهـا غير مقيدة بالمعنى الاصطلاحي المحدود .

ونحن في الشرق قد بهرتنا المدنية الغربية وفرضت علينا الايمان بعظمتها ، فلم يعد الغرب عندنا « ذلك النصف الغربي للكرة الارضية » ، وإنما أصبح الغرب يدل على موطن المدنية العصرية ، وأقطاره تتمثل عندنا في الممالك العظيمة التي تسود العالم كإنكلترا وفرنسا وامريكا والمانيا وايطاليا .

فاذا تحدثنا عن عناية نساء الغرب بالطفولة ، فإنما نقصد الدول الغربية الناهضة . ولكن الموضوع يظل — مع هذا التحديد — مرناً واسعاً ترفض الامانة العلمية أن تجمعه في نقطة واحدة . نعم إن هناك مبادىء عامة للتربية تعتنقها اكثر الدول الغربية بوجه عام ، فهناك النظافة يهيمون بهـا إلى درجة الجنون . وهناك الثقافة العامة ، يقوم البيت بتعليمها للاطفال منذ الصغر في حديث المائدة والاجابة الدقيقة عن أسئلة الطفل ، والصور الفنية واللعب والنزهة .

ومن المبادىء العامة في التربية الغربية ، تربية الشخصية بحيث لا يكون

الطفل عالة على أفراد البيت : إذا بكى لغير سبب لا تحمله أمه ، ولا تدلله كما تفعل الامهات عندنا ، واذا وقع أو تعثر في مشيته لا تغمره الام بعبارات العطف والتدليل . وقل أن يسمع الطفل الغربي ذو العاهة ، عبارات الاشفاق والرثاء التي يتكرم بها زائرو البيت المصري على الصغار الضعاف . وتترك الام للطفل كثيراً من الحرية على أن يكون مسؤولا عن النتائج . وللغربيين ولع بالصراحة غريب ، فالطفل ينشأ على مصارحة أبويه بكل ما يفعل ، ومن ثم فهو يحاول ألا يفعل ما يخجل من قوله . وهم بوجه عام يحترمون شخصية الطفل فينشب عزيز الجانب موفور الكبرياء .

هذه مبادئ عامة في التربية الغربية ، على أن بجانبها نواحي خاصة ذات طابع اقليمي بحت ، ولكي نتحدث عن عناية نساء الغرب بالطفولة ، يجب ان ندرس الطفولة في اكثر الممالك الغربية على تعددها واختلاف نظم الحياة فيها .

وهذا ما لا طاقة للبحث الواحد به :

بل هذا ما لا أجرؤ على ادعاء المقدرة عليه ...

فلأتحدث عن جزء واحد من أجزاء الغرب الواسعة .. جزء يكاد يمثل الغرب مع شيء من التسامح !

هذا الجزء هو انكلترا

وللطفولة في انكلترا حديث طويل رائع .

* * *

يضع علماء التربية طور الطفولة المعتاد ، بين الولادة والمراهقة ، أي من وقت الولادة إلى سن الثانية عشرة .

والمرأة الانكليزية تقبل هذا الوضع وترفضه ! تقبل جزءه الثاني الذي يحدد انتهاء الطفولة ، وترفض جزءه الاول الذي يحدد مبدأها !

فعنايتها بالطفل تبدأ من عهد مبكر جداً . قد يبدو غريباً ، ولكنه في الحقيقة طبيعي ومعقول . .

فالطفل يأخذ مكانته من الرعاية قبل أن يولد . بل قبل أن تتزوج أمه باعتبار ما سيكون !

فالموضوع الاول الذي تدرسه الفتاة مع خطيبها هو الطفل

متى يبيحان لنفسيهما أفراح الأمومة والأبوة ؟

متى يكونان مستعدين لاستقبال الطفل الحبيب ؟

متى يكونان مستعدين للاضطلاع بمسئوليته ؟

ومعنى ذلك أن ولادة الطفل ليست مصادفة كما نشاء وحين نشاء ، وإنما يحسب حسابها ويستعد الأبوان لاستقبالها ويقدران كيف ومتى يجب أن تجيء ! ويتزوجان . .

فلا يكون الزوج وحده صديق الزوجة ، وانما يشاركه في صداقتها رجل آخر تحترمه المرأة وتقدم إليه مكانا طيباً من ثقتها وتطيع أوامره وتعليماته في ثقة واطمئنان

ذلك الصديق هو الطبيب !

فللطبيب أن يوجهها كما يشاء وعليها أن تطيع ..

وتعلن الأم عن قرب مجيء الطفل !

فتحدث ثورة بالبيت .. يغير نظام البيت ومواضع الغرف فيه حتى يتهيأ لاستقبال الوليد ويصبح الحديث عن هذا الوليد شغل البيت الشاغل ..

كيف لا وميلاد الطفل هو الحادث الاكبر في حياة الاسرة الانكليزية ، بل والامبراطورية البريطانية جمعاء ؟

ثم يجيء الوليد ..

يجيء فيحتكر لنفسه وقت أمه وعنايتها ، يجيء فيسلب الزوج زوجته ويسلب الزوجة حريتها .

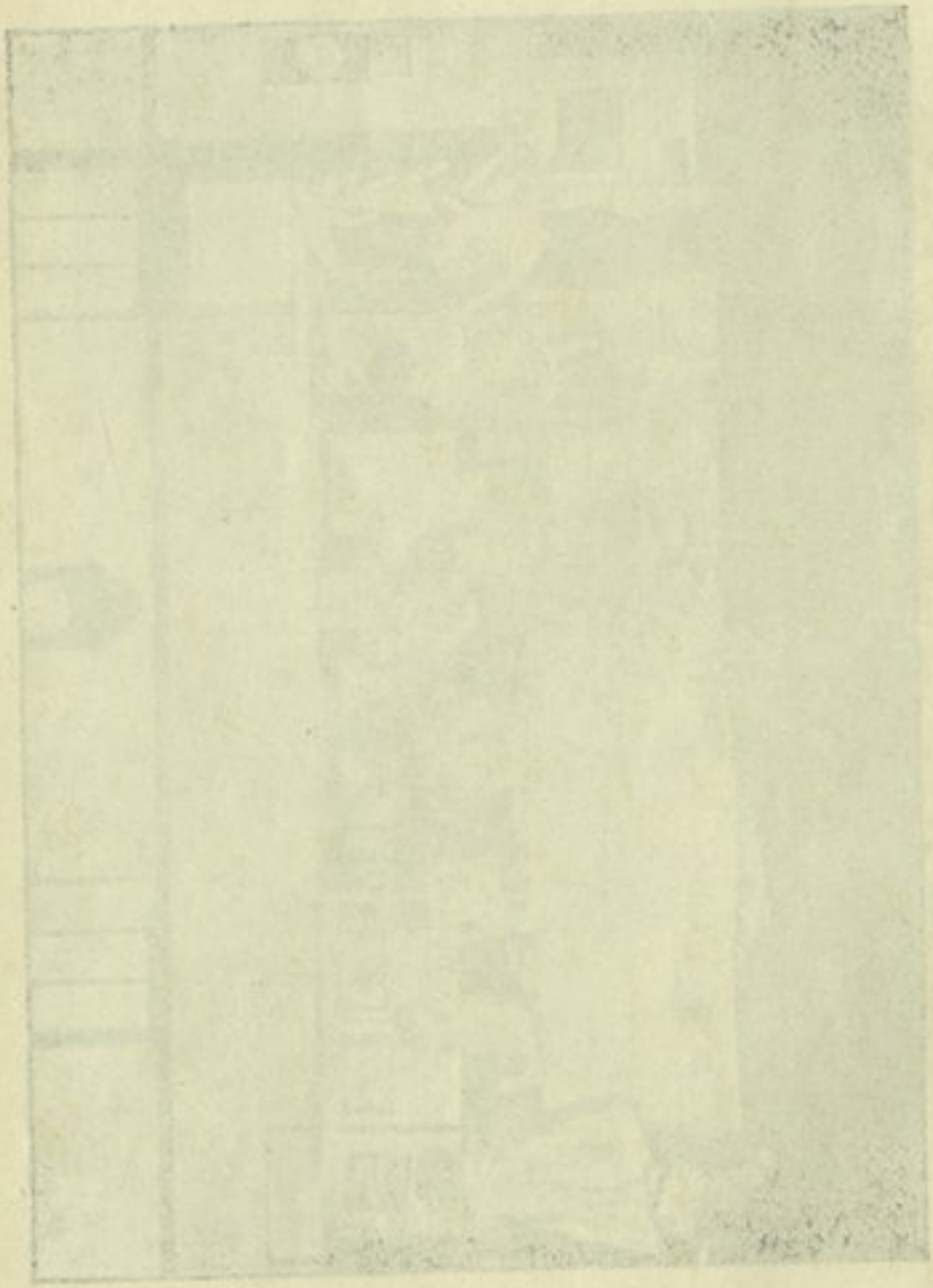
ولست أبالغ . فولادة الطفل غالباً تعتبر نقطة انتقال في حياة الاسرة الانكليزية تتغير المرأة فيها من زوجة إلى أم . أم بكل ما تشمل الكلمة من معنى !

أم تهب نفسها لوليدها . وترى العالم كله ممثلا في هذا المخلوق الصغير ..

كل ما يعنيها أن تجعل منه صورة رائعة للصحة ، ووراء ذلك يهون كل شيء .

وهي في ذلك مسرفة إلى حد يضيق به بعض الرجال ولا يصبر عليه إلا الأقوياء الذين يقدرون مسؤولية الامومة ، وهم في الانكليز كثيرون .

تدعى الأم الى حفلة فتستشير الطفل قبل أن تقبل أو ترفض ! هل يتفق القبول مع مواعيد الصغير ، إن لم يتفق فلا شأن لها بالحفلات ، فهي أم أولا وقبل كل شيء !





التربية والتعليم بالعمل

والغريب أنها لا تشعر بالأسف والحرمان حين ترفض ، بل ترى الرفض شيئاً طبيعيا وواجباً سهلاً ميسوراً .

وهكذا كل شيء .. رهن مشيئة الطفل العاجز القادر .. القوي الضعيف !

* * *

ومن أروع مظاهر العناية بالطفولة هناك ، هذا المكان الممتاز الذي يشغله الطفل من أذهان كبار المربين والمربيات .

فللطفل فى انكلترا ، وفي البلاد الغربية بوجه عام ، مجلاته ومكتبته ، وله نصيبه من الانتاج الفكري والبحوث العلمية والدراسات التجريبية الفنية . ويجب ان نفرق بين الكتب والمجلات التي يكتبها علماء الطفولة رجالا ونساء ، وبين المجلات الرخيصة التافهة التي يذيعها المرتزقة العاطلون .

فهم هناك يهتمون بشؤون الطفل كما يهتمون بسياسة الهند وثورة فلسطين ونذر الحرب ومشكلات أوربا ، ولفن تربية الطفل سيراته ورجاله العظام ، وعلماؤه الممتازون .

ولم لا ؟ أليس الأطفال هم عدة الغد وأمل المستقبل ؟

بقلم الآنسة ابنة الشاطى

نشأة الزعيم

... اظهر «لولز» رواية جديدة باسم «الفزع المقدس» خلاصتها أنها تشرح لنا كيف ينشأ «الزعيم المستبد» من الطفولة إلى الشباب فالكهولة، وتحلل لنا أخلاقه والتفاتات ذهنه، وطبعه، ومصادفات نجاحه، وبواعث تفكيره في طلب السيادة على غيره فرودولف وتسلو (Rudolf Whitlow) هو نموذج «الدكتاتور» العصري في تكوين جسمه وعقله وأحوال بيئته وزمانه: طفل عسير على والديه وإخوته ولداته، ميئوس من تقويمه وكبح جماحه، ناضب العاطفة، محروم من بواعث المحبة، يشتد به سخطه حين يثور على إخوته حتى يقذفهم بالسكين، أو يهجم عليهم هجوم المجانين، وهو مع ذلك ضعيف! وليس بالقوي المتين التركيب، وينفر منه الناس، وينفر هو من الناس، فينطوي على نفسه ومذاكرة دروسه، فيتقدم بعض التقدم وينتهي إلى سن الدراسة العالية، وليس أبوه وأمه بقادرين على تعليمه وتعليم إخوته معه في الجامعات والمدارس العليا، ولكن إخوته وُدعاء لا يهددون ولا يثورون، وهو وحده الذي يثور ويقيم القيامة، ويوشك أن يبخع نفسه أو يبخع أبويه، فيرسله أبواه راغمين (مرغمين) إلى مدرسة عالية، ويجد نفسه يوماً في حلقة الخطابة، فيغريه حب الظهور بالصعود إلى المنبر، فيتكلم فإذا هو يحسن الكلام، ويؤثر في سامعيه، وإذا هو يفعل بالكلام ما لعله كان يود أن يفعله بالعضل والسلاح، وإذا هو يفرغ في آرائه كل ما في نفسه من السخط والحرد وقلة العطف على إخوانه في الآدمية، فكل شيء في الدنيا سخيف معيب وكل عمل من أعمال الحاكمين ناقص أو معكوس، وكل وزير مخطئ أو جامد على

القديم ، و كل نظام في البيت أو المدرسة أو في الحكومة محتاج إلى القلب والتبديل ، وتروق هذه النغمة من يسمعونه ، لأنهم يعيشون في عصر القلق والحيرة ، ويشتهون التطاول والتهجم ، ويعجبون أنفسهم أو يرضون غرورهم حين يسمعون قدحاً في عمل الحاضر ، وتنويهاً بالعمل المنظور في المستقبل فيبلغ بينهم «رودلف» – او «رود» كما يدعونه للتحبب – مبلغ الحظوة والنباهة ، ويقبلون على الحلقات التي يخطب فيها (ويسألونه الأسئلة ويستطلعون رأيه في كل معضلة ويقترحون عليه أن يقترح عليهم ما يبشر به من دعوته ، ويمهد له من تجديد وتغيير .... »

بتلخيص عن الثقافة

عباس محمود العقاد



كيف نقيس الذكاء

يمكننا بواسطة مقياس (بينيه) اختبار ذكاء أي فرد مهما بلغت سنه . وطريقة عمل الفحص هي أن توجه اليه الأسئلة المذكورة في سنه الحقيقية حتى اذا ما أجاد الاجابة عليها جميعها انتقلنا منها الى السن العليا ، وهكذا حتى لا يستطيع الاجابة . ثم نعرف السن الأخيرة التي أجاد فيها قبل إخفاقه ، فيكون هذا هو مقياس ذكاء المرء (أي ذكاؤه يعادل ذكاء طفل سنه كذا) . ونستنتج من هذا إما أنه متقدم في الذكاء أو متأخر . ولنضرب لذلك مثلا : إذا كان طالب عمره ٩ سنين ، ولما فحص أجاد الاجابة حتى سن ٩ سنين ، فنقول هذا الطالب ذكاؤه عادي ، أي ذكاؤه ذكاء ولد عمره تسع سنين ، ويعبر عن ذلك بالسن العقلية . واذا فرضنا انه أجاد الاجابة لسن ٨ سنوات ، فنقول إن ذكاءه كطفل عمره ٨ سنوات (أي سنه العقلية ٨ سنوات) ويعد اذاً الطفل ذكياً اذا كانت سنه العقلية أكبر من سنه الجسمانية والعكس بالعكس . وقد يعبر عن نسبة الذكاء العادي (بواحد) اذا كانت السن العقلية تعادل السن الجسمانية ، أي :

$$\frac{\text{السن العقلية ٩ سنوات}}{\text{السن الجسمانية ٩ سنوات}} = ١$$

فالواحد هذا يعرف عنه (بنسبة الذكاء) فالولد اذاً عادي الذكاء اذا كانت نسبة ذكائه واحداً .

أما اذا كان ضعيف العقل فتكون نسبة ذكائه أقل من واحد ، أي

$$\frac{\text{السن العقلية ٨ سنوات}}{\text{السن الجسمانية ٩ سنوات}} = \frac{٨}{٩}$$ أي أقل من واحد .

أما إذا كان نابغة فتكون نسبة ذكائه أكثر من واحد ، أي

السن العقلية ١٢ سنة / السن الجسمانية ٩ سنوات = ١٢/٩ أي أكثر من واحد . وهكذا نستنتج نسبة ذكاء كل فرد .

كشف الاسئلة المختصرة

التي وضعها (بينيه) قبل وفاته الفجائية سنة ١٩١١ م

ثلاث سنوات = ١ - أشر الى الانف والعين والفم

٢ — انطق بعددين بعد نطق الممتحن

٣ — أذكر أشياء موجودة في صورة

٤ — ما اسم العائلة

٥ — اعادة جملة من ست كلمات

أربع سنوات = ١ — أذكر النوع

٢ — تسمية (مفتاح ، موسى ، فرشة)

٣ — اعادة ثلاثة أعداد بعد سماعها

٤ — مقارنة خطين في الطول

خمس سنوات = ١ — مقارنة وزنين

٢ — يرسم مربع من نموذج

٣ — اعادة جملة من عشر كلمات

٤ — عد أربعة قروش

٥ — ارجاع مستطيل الى أصله بعد قطعه الى نصفين

ست سنوات = ١ – التمييز بين الصباح والعصر

٢ – تفسير بعض كلمات

٣ – يرسم شكل مسدس من نموذج

٤ – يعد ١٣ قرشاً

٥ – التمييز بين الوجه الحسن والوجه القبيح من صورة

سبع سنوات = ١ – طلب الاشارة الى اليد اليمنى والأذن اليسرى

٢ – وصف صورة

٣ – يؤمر بعمل ثلاثة أشياء

٤ – يبين قيمة ست قطع من العملة

٥ – يذكر أربعة ألوان أصلية

ثماني سنوات = ١ – يقابل بين شيئين من الذاكرة

٢ – يعد تنازلياً من ٢٠ الى ١

٣ – يذكر الاشياء الناقصة من صورة

٤ – يذكر اليوم وتاريخه

٥ – ينطق بعدة أرقام بعد سماعها

تسع سنوات = ١ – يصرف ليرة الى قطع من العملة

٢ – يعرّف بعض كلمات تعريفاً حسناً

٣ – يذكر كل قطع العملة

٤ – يقول الأشهر بالترتيب

٥ – يجيب جيداً على الأسئلة

عشر سنوات = ١ – ترتيب خمس قطع خشبية حسب وزنها

٢ – يرسم شكلا من الذاكرة بعد أن يراه

٣ – يصحح خطأ بعض الجمل

٤ – يجيب جيداً على أسئلة معينة

٥ – يركب جملة بها ثلاث كلمات معينة

١٢ سنة = ١ – اقتراحات

٢ – يركب جملة فيها ثلاث كلمات معينة

٣ – يذكر ستين كلمة في ثلاث دقائق

٤ – يعرف بعض كلمات

٥ – يعمل انقلاب بين الفاظ جملة ويطلب منه ترتيبها حتى تصير ذات معنى

١٤ سنة = ١ – يكرر سبعة أرقام بعد سماعها

٢ - يذكر ثلاث كلمات موافقة في الوزن لكل من :

حبر – جبل

٣ – يكرر جملة بها ١٤ كلمة

٤ – يفسر مغزى صورة معينة

٥ – يفسر معنى عشرة أمثال عامة

١٦ سنة فما فوق = ١ – تطوى ورقة عدداً معيناً من الطيات ثم تثقب ويطلب منه تعيين عدد ثقوبها اذا نشرت

٢ – إرجاع مثلث الى أصله بعد قطعه الى جزئين

٣ – التفريق بين أسماء

٤ – ذكر الفرق بين الملك ورئيس الجمهورية

٥ – قراءة قطعة من كتاب وذكر ما فهمه من معناها ١٠ه

الطفل والطفلة

إن الرجل لا يختلف عن المرأة من حيث كونه فرداً له مزاجه وطباعه وسجاياه الخاصة فحسب، ولكنه يختلف عنها أيضاً من حيث كونه رجلاً، كما أنها تختلف عنه من حيث كونها امرأة، إذ أن الاختلافات الجسمية والجثمانية الهامة المشاهدة بين الرجل والمرأة تعد موازية لاختلافات عقلية ليست بأقل منها أهمية. والمعقول أن يكون لهذه الاختلافات الجنسية العقلية آثار في السلوك. وإن التاريخ الانساني يبرهن لنا على أن وظائف المرأة لم تكن في يوم من الأيام مثل وظائف الرجل في الحياة. وإن قانون الرقي المستمر الذي يعمل عمله في الحياة الانسانية يبرهن لنا على أن الرقي لا يمكن أن يكون إلا بتوزيع الاعمال، وتخصص كل من الجنسين لأعمال خاصة، وعلى أن التخصص في الأعمال والوظائف يتبعه على مر الزمن تغير ظاهر في التكوين الجثماني.

وليس لنا أن ننتظر التقارب والتشابه الشديد بين الجنسين إلا إذا كنا ننتظر أن نقترب من الحياة الساذجة الأولى، فمن المشاهد أن اختلاف الجنسين ليس من الظهور بين الامم المتوحشة التي هي بمعزل عن الحضارة كما هو بين الامم المتمدينة.

ولا تزال الحوادث التاريخية تبرهن لنا على أن مساواة المرأة بالرجل في الأعمال والوظائف تؤدي إلى انقلاب اجتماعي. وقد يؤدي هذا الانقلاب إلى ثورة عنيفة ضد النظم والقوانين الاجتماعية لا يعلم الا الله تعالى مصيرها.

وليس هنا موضع الكلام على هذه الثورة ؛ ولا البحث فيما يمكنه لنا المستقبل ، ولكننا نريد أن نقول : إن المشاهدات والتجارب قد برهنت على أن المرأة ليست كالرجل في الاستعدادات الجسمية ، ولا في المواهب العقلية ، ولا في النزعات الخلقية .

وأهم ما بينهما من فروق :—

(١) أن المرأة تنظر الى العالم متأثرة بوجدانها اكثر من الرجل :

فمزاجها أقرب ما يكون إلى المزاج الانفعالي ؛ ويشتد تأثرها بجمال الأشياء وتناسبها مع بيئاتها ، وتقل عنايتها بالأفكار المجردة . وإذا حاولت التعميم والوصول إلى قواعد كلية فإنها لا تعنى بالتحليل والتدقيق والبحث العميق ؛ وهذا هو السبب في أنها تميل إلى التسرع في الحكم والخطأ في التطبيق .

و كراهة التحليل المنطقي العميق الذي يصل به الرجل إلى القوانين العلمية الصحيحة يعد من أهم ما تمتاز به المرأة عند الرجل .

(٢) أن المرأة عملية اكثر منها فلسفية : أما الرجل فيميل إلى النظر ؛ ويجنح إلى التفلسف والتدبر والتفكير في العواقب ؛ فإذا رأى خطراً محدقاً به فكر في طرق تجنبه وهو هادئ الفكر ؛ وربما اعتراه ألم أو ضجر وقد يثور أو يغضب أو يسب ويلعن إذا لم يصل إلى نتيجة مرضية ؛ أما المرأة فإنها تبكي وتصيح وتولول في وجه الخطر ؛ وقد يعتريها اضطراب يمنعها من التفكير والتروي .

والرجل ينظر إلى دواخل الأشياء وبواطنها ، ويعتد بقيمها الذاتية الحقيقية

وحقائقها الواقعية ، ولا يغتر بظواهرها ، أما المرأة فتغرها الظواهر ، وتعجب بحسن المنظر وإن ساء المخبر ، فالجواهر الزائفة ، الحسنة الشكل ، المنسجمة الصوغ تقع لديها موقعاً حسناً — وإن كانت قليلة القيمة في ذاتها .

(٣) أن الرجل مستعد بطبيعته وفواه الجسمية الى الزعامة والقيادة : لقدرته على التصرف عند المواقف الحرجة ، وعلى الابتكار للخروج من المآزق بسرعة ، اما المرأة فانها لا تبلغ منزلة الرجل في ذلك ، وإن كانت تفوقه في الصبر والجلد ، والقدرة على المقاومة ، والسرعة فى التنفيذ ، ولذا يقال إن الرجل اكثر استعداداً للتشريع والابتداع ، أما المرأة فأكثر استعداداً للتنفيذ ، ومن ثم كانت الاغلبية الغالبة من القادة والمشرعين والمبتدعين من الرجال ، ولم يعرف عن امرأة أنها برزت في عالم العلم ؛ أو ابتكرت آلة قيمة . وهي بصبرها ، وقوة وجدانها وحنوها ، وشفقتها ، مستعدة استعداداً طبيعياً لأن تكون أماً ، وطبيبة وممرضة ، وسلوة للرجل إذا حلت به النكبات ، أو استولت عليه الهموم ، أو تحكمت فيه الأمراض .

وان هذه الاختلافات والفروق التي بين الرجل والمرأة لتظهر واضحة جلية بعد النمو والكبر ، أما في عهد الطفولة فان هذه الفروق تكون صغيرة غامضة ، فالذكر والانثى لا يكادان يختلفان عند الولادة ، وبعد ذلك تأخذ فروق ما في الظهور ، فأيت إذا رأنت طفلة صغيرة سنها أربع لا تشك في انها بنت صغيرة بمعنى الكلمة وإذا رأيت طفلاً صغيراً في هذه السن علمت أنه غلام صغير بمعنى الكلمة ايضاً .

والبنت في العادة تسبق الغلام في القدرة على الكلام ، وقلما تصاب باضطراب

في أعضاء التكلم ومعنى ذلك أن المراكز العصبية والخيوط العصبية الوصلية المرتبطة بالتكلم تنمو في الطفلة قبل نموها في الطفل .

ويلاحظ أن لعبها يختلف في النوع والأسلوب عن لعب الطفل ، سواء ألعبت وحدها أم مع غيرها ، فلعبها ينقصه النشاط في الحركة ، وسعة النطاق التي تلاحظ في لعب الغلام . وهي تصل إلى مرتبة اللعب التقليدي قبل الطفل ، وتبقى في هذه المرحلة مدة أطول . ومن المشاهد أنها تولع حتى في عهد الطفولة الأولى باللعب بالدمى ومعاملتها معاملة الأطفال ، فتلبسها ملابسها ، وتحملها إلى مراقدها ، وتحاول إطعامها ، كما أنها تحنو على الحيوانات الداجنة وتطعمها كلما سنحت لها الفرصة ، أي أنها تحاكي أمها في أداء وظيفتها ، كأن طبيعتها تملي عليها أنها ستصير يوماً ما من الامهات .

والبنت تفوق الغلام في إظهار شعورها بحدة ، فهي تضحك وتبكي بصوت مرتفع ، وتظهر تأثرها ببيئتها بسرعة وشدة ، ولكنها تميل إلى الانكماش والانزواء والمقاومة السلبية إذا أغضبها أحد ، في حين أن الطفل يحتد ويقاوم مقاومة ايجابية عند الغضب .

والبنات لسن كالبنين عند حصول نزاع فيما بينهن ؛ فهن يشكون ويبكين ويسبين ، في حين أن البنين يتقاتلون ويتضاربون ، ويهاجم بعضهم بعضاً مهاجمة فعلية ، كأن طبيعتهم تملي عليهم أنهم سيصيرون رجالاً مسئولين عن الدفاع عن أنفسهم وعن ذويهم .

والنزاع لا يحسم بين البنات بصفة نهائية ، ولكن آثاره تبقى مدة طويلة ، وقد

يسعى بعضهن في الكيد والدس لبعض . ولكن البنين كثيراً ما يتصافحون ويتصافون بعد انتهاء التشاجر .

وفي الغالب يتلوّن التنافس بين البنات بألوان سيئة ؛ وأخلاق مكروهة ؛ كالحقد والكراهة وحمل الضغينة ؛ لاسيما ضد من كانت منهن موضع التفات وعناية من بعض الأقارب أو الاصدقاء .

وتظهر الفروق التي بين الجنسين من الناحية الادراكية في المواد التي تحتاج إلى بحث فكري واستنباط وابتكار ؛ فالبنات يساوين البنين بل يفقنهم في السنين الأولى من سني الدراسة التي يكون التعليم فيها محصوراً في دائرة المحسوسات ؛ إذ أنهن يستظهرن المعلومات بسهولة ؛ ويعنين بالنظافة ؛ والنظام ، والدقة في عمل التمرينات التي يعملنها ؛ ويقدرن الجمال تقديراً تاماً ؛ ولذا يولعن بالأدب قبل أن يولع به البنون ؛ ويُجدن الكتابة الانشائية في أول الأمر ، لاعتمادهن على محاكاة ما قرأن في كتب الأدب ؛ أو على ما كتبه لهن الأساتذة . وهذا ما يظهر بنوع خاص في القصص ، فالحكاية التي ينشئها الغلام تكون في الغالب مفككة الأوصال ؛ أما الفتاة فتنسج حكايتها نسجاً محكماً مترابط الأجزاء كامل العناصر ، وتسير بالقارئ إلى نقطة الموضوع الهامة سيراً منسجماً .

ولذلك نرى أن الغلمان يكذبون ، ولكن كذبهم يظهر ، لأنهم لا يجيدون التلفيق . أما البنات فيفقنهم على العموم في إجادة هذا الفن . وقد دلت التجارب على أن كذب البنات اكثر من كذب البنين ؛ وأن كذبهن يتأثر في الغالب بنزعات وأغراض شخصية ، فقلما تكذب البنت لانقاذ غيرها ، أما الولد فكثيراً ما يفعل

ذلك . والحق أن الغلام المربى تربية حسنة لا يكذب مطلقاً إلا لهذا الغرض ، فالاولاد تنقصهم المهارة ، والتظاهر بمظهر المتأكد عند الكذب ؛ أما كذب البنات فمنمق ملطف ؛ موضوع بصيغة توهم السامع أن ما قيل هو الحق الصراح . وهذا نوع من المهارة اللغوية ؛ وهو أساس الفرق بين الرجال والنساء في وصف الحوادث الخارجية ، وتقدير الاعمال ؛ فالحق عند الرجال ما كان مطابقاً للواقع — بقطع النظر عن شكله أو صيغته . أما النساء فالذي يظهر أنهن يخدعن بالشكل الظاهري ، أو بالصيغة والانسجام ؛ والزخارف .

وقد اثبتت التجارب التي قام بها كثير من العلماء في ظروف مختلفة أن البنين يفوقون البنات — في أدوار التعليم الراقي — في العلوم والرياضيات ؛ وأن البنات يفقن البنين في الفنون كالرسم والتصوير والموسيقى والآداب وتعلم اللغات .

وقد بحثت اللجنة الاستشارية بوزارة المعارف الانجليزية سنة ١٩٢٢ الفروق التي بين البنين والبنات من هذه الناحية ؛ مستندة في ذلك إلى الدرجات التي حصل عليها كل منهما في امتحانات كيمبردج المحلية فتبين لها :

« أن الدرجات التي حصل عليها البنون كانت أعلى في الرياضة — ومنها الحساب ؛ وفي الطبيعة ، والكيميا ؛ واللغة اللاتينية ؛ وكذلك في الجغرافية الطبيعية .

وأن البنات فقن البنين في اللغة الانجليزية ؛ والتاريخ الانجليزي ؛ وعلم النبات ؛ والجغرافية ، واللغة الفرنسية كتابة ومحادثة ، وكذلك في الرسم والتصوير » .

وهذه الفروق راجعة إلى الفرق الأساسي الذي لخصه مسيو لافت بقوله : « نستطيع أن نقول على وجه العموم : إن المرأة على ما يظهر تتأثر بالحقيقة الحسية الواقعية أكثر مما تتأثر وتعنى بالفكرة العامة ؛ وإننا معشر الرجال نعنى بالعلاقة بين الأشياء اكثر مما نعنى بالاشياء ذاتها ؛ وإن عقل المرأة يتعلق بالحسيات اكثر من عقل الرجال الذي يسبح في عالم المعقولات اكثر من عقل النساء » .

وقد وجد تيرمان أن الكتب التي يميل البنون إلى قراءتها وهم في الحادية عشرة هي كتب المغامرات ، والأقاصيص المشتملة على مفاجآت غريبة ، وكتب الميكانيكا والطيران والكهرباء ؛ وكتب الاختراع والكشف ؛ وكتب العلوم الطبيعية وغيرها .

أما البنات فيملن في تلك السن إلى القراءة في كتب العشق ، وفي كتب القصص المتعلقة بالحياة المنزلية والمدرسية ، وفي الكتب المتعلقة بحياة الحيوان والنبات والازهار أو بفلاحة البساتين . ولا يملن إلى الكتب العلمية أو الميكانيكية .

وقد وجد في تيرمان أيضاً أن البنين في الرابعة عشرة يميلون كثيراً إلى قراءة المجلات ؛ ويحبون القراءة عن الرياضة البدنية وعشاقها ، ويزداد شغفهم بكتب الميكانيكا ، وبتراجم الرجال ، وكتب الأسفار ، وحكايات الغابات والادغال .

ويميل البنات في هذه السن إلى القراءة في المجلات أيضاً ، ويشتد ولعهن

بالأقاصيص الغرامية والشعر ، ولا يحفلن كثيراً بحكايات المغامرات ، ولا بكتب الأطفال .

وقد اختبر « جوردان » عدداً من البنين والبنات ليعرف أنواع الكتب التي يجب مطالعتها كل فريق فوصل إلى النتيجة المبينة في الجدول الآتي :

المادة	النسبة المئوية من ١٢ — ١٣ سنة		النسبة المئوية من ١٤ — ١٦ سنة		النسبة المئوية من ١٧ — ١٨ سنة	
	بنون	بنات	بنون	بنات	بنون	بنات
حكايات خرافية عن الكبار	٧ر١١	٦ر٣٤	٩ر١٣	٣ر٤٨	٦ر٢٤	٩ر٥٦
حكايات خرافية عن الصغار	١ر٣	٥ر٣٨	٥ر٢	٣ر١٧	٩ر١	٩ر٧
كتب المغامرات	١ر٦٢	٧ر١٩	٣ر٦٣	٤ر٢٥	٨ر٥٢	١ر٢٧
» التراجم	١ر٣	٦ر٠	٣ر٢	٨ر٠	٣ر١	١
» التاريخ	٣ر٢	—	٥ر٠	—	١ر٠	—
» الشعر	٥ر٠	—	٢ر١	٦ر١	٣	٦ر٢
» العلوم	—	—	١ر٠	١ر٠	١ر٠	١
» الاسفار	—	—	١ر٠	—	١ر٠	—
» المعلومات العامة	٥ر٠	٢ر٠	٦ر٠	—	٦ر٠	—
» المزاح	٩ر٩	٥ر٢	٣ر٧	٣ر٣	٥ر٨	٩ر١
» فنون مختلفة	٣ر٠	٤ر٠	١ر٠	—	١ر٠	—
لا يولعون بشيء خاص	٥ر٦	٥ر٣	١ر٨	٢ر٣	٩ر٨	٧ر١
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ولا يجولن بخاطر القارئ الكريم أن معنى هذه التفرقة استصغار شأن المرأة أو الحط من كرامتها ، إذ أن التفرقة لا تستدعي الحط من الكرامة وصفات المرأة الخاصة لم تنشأ عن تأخرها في سلم الترقي ، ولكنها نتائج طبيعية للاتجاه العام المستمر نحو التخصص وتوزيع الاعمال .

يقول فوبيه : « إن المرأة لم تتأخر عن الرجل بل إنها سارت معه جنباً لجنب ، ولكن تقدمها دائماً إلى الغاية التي ترغمها طبيعتها على السير نحوها » .

ويقول جيمز ولتون .[1] « إن قياس قوة المرأة الفكرية بقوة الرجل قياس باطل ، وإن استنباط أن الرجل أعلى منزلة من المرأة من عجزها عن التفكير الفلسفي استنباط كاذب . نعم إن تقدير الرجل للقوانين والأحكام العامة شيء ، وتقدير المرأة للأمثلة والنماذج الحسية المادية شيء آخر ، ولكنا لانستطيع أن نقول إن هذا أقل منزلة من ذلك ، فكل منهما ضروري في الحياة ، والمرأة باتجاهها إلى ناحيتها الخاصة تكمل الرجل في اتجاهه إلى ناحيته ، كما أنه باتجاهه الخاص يكمل المرأة في اتجاهها فكل منهما مكمل للآخر » .

« فليست المسألة مسألة تفضيل الرجل على المرأة ، ولكنها مسألة بيان اختلاف كل عن الآخر في الصفات الجسمية والعقلية ، ولذا نعد عبثاً كل محاولة عملية يقوم بها المجتمع ، وكل منهج تسير عليه الأمة يكون الغرض منه جعل المرأة مثل الرجل في قواه العقلية ، لأنها تكون حينئذ محاولة ضالة ، ومنهجاً مبنياً على أساس سيكولوجي واه لا يلبث أن ينهار » .

ويهمنا كثيراً أن نلفت نظر القارئ إلى أن هذا البحث يفضي بنا إلى نتيجة عملية

---

(1) See : The Psychology of Education , PP. 131—132

لانزاع في صحتها هي : أنه ليس من الحزم في شيء أن نرغم البنت عَلَى أن تسير مع الولد جنباً لجنب في أدوار التعليم ، أو أن نجعل المناهج التي نسير عليها في تعليم البنين مثل التي نسير عليها في تعليم البنات ، فلكل ميول واستعدادات ، ولكل وظيفة خاصة في الحياة تنتظره فلنعد كلا لوظيفته خير إعداد ، متبعين في ذلك ما تمليه علينا الطبيعة البشرية ، وما يرشدنا إليه القانون الإلهي الأعلى ، الذي يأبى إلا أن يكون الرجل رجلاً ، والمرأة امرأة .

إننا إن خالفنا تلك الطبيعة البشرية ، وخرجنا على ذلك الناموس الإلهي فإننا نعرض أبناءنا لأخطار اجتماعية ربما لا يستطيعون مقاومتها ، ونقع في أخطاء تعليمية قد لا نستطيع إصلاحها .

حامد عبد القادر



شخصية الطفل

الطفل في بدء عهده بالعلم حيوان أعجم . فجميع حركاته وسكناته ، ميوله ونزعاته ، مسالكه وأفعاله ، كلها نتيجة الغريزة والفطرة . وليس نصيب الطفل من السعادة والاطمئنان ورغد العيش وافراً ، كما يتوهم الكثيرون بل هو على النقيض ، أقل حظاً من السعادة ، وأوفر قسطاً في الشقاء من الحيوان والانسان البالغ .

فالحيوان البري يكاد يكون كامل الحرية في تصرفاته ، إذا استثنينا ما يتعرض له من هجمات غيره من الوحوش . والحيوان الأليف لا يقيد حريته إلا عدد قليل من القوانين و «آداب السلوك» التي يفرضها عليه أسياده من بني الانسان ، وفيما عدا ذلك يفعل ما تمليه عليه الطبيعة والفطرة بغير ما قيد ولا شرط . والانسان البالغ تلين عريكته ، وتخضع غريزته ، بمرور الزمن فتصبح القيود الاجتماعية التي تقيد من حريته وتهجم على فطرته ، أمراً عنده مألوفاً . يضاف إلى هذا أن الانسان البالغ يدرك معنى القيود ، وما ترمي إليه من الأغراض التي هي في الغالب لحمايته ، في حين أن الطفل المسكين في سنواته الأولى ، لا يفقه لهذه القيود شيئاً . ولا يغيب عن الاذهان ، أن طفولة الإنسان أبعد مدى من طفولة الحيوان ، كما أن فترة الطفولة عند الانسان المتمدين أو نصف المتمدين . ومعنى هذا أن الطفل في العصر الحديث ، في بيئة راقية « يتعذب » طويلاً ، قبل أن تصبح القيود الاجتماعية عنده أمراً مألوفاً .

وعلى الرغم من أن الطفل حيوان أعجم ، عالة على غيره ، فان له شخصية يشعر هو بوجودها ، ويمتاز بها عن سواه . وهو حريص على شخصيته ، يتألم إذا لم يحسب لها

القائمون بأمره حساباً ؛ ويدافع عن كيانها بكل ما أوتي من بكاء وصراخ ورفس بالقدمين وإجهاد باليدين وعضلات الجسم . ومع أنه لا يميز بين الاشخاص والأشياء في خلال الأشهر الأولى من عمره ؛ فإنه في جميع سني حياته معتز بشخصيته اعتزازاً يجعل كل همه موجهاً إلى ذاته ؛ ولا تتجه عنايته إلى غيره إلا بعد حين . وما ولعه بمص أصابعه والقبض على قدميه وتحريك ساقيه إلا اظهاراً منه لهذه الشخصية . فإذا ما أحس بوجود أمه أو مرضعته أخذ يمثل على مسرح المهد الأدوار التي يتقنها ؛ فيلقي قصيدة تتكون من مقطع واحد أو مقطعين ؛ أو ينشد أغنية ، أو يبتسم أو يقهقه كالقردة ؛ ويبكي إذا لم تعر هذه الأدوار التفاتة ، أو لم تصفق له استحساناً ؛ لانه انما يفعل ذلك ولسان حاله يقول « أنا كائن حتى مستقل ذو شخصية جديرة بالعناية والاعتراف بوجودها » .

ويلاحظ أن القرد أو الكلب مثلاً يمثل مثل هذه الأدوار أمام سيده لهذا الغرض عينه ؛ وهو اظهار الشخصية ؛ فإذا لم يجد من سيده عيناً شاخصة أو أذناً سامعة نبهه إلى ذلك أو استاء وخاب أمله فيه .

ولأن للطفل شخصية يحرص عليها ويعتز بها ؛ برغم كونه عالة على غيره ؛ فهو في حاجة إلى قسط معقول من الحرية ؛ بيد أن مدى هذه الحرية ونوعها وزمانها ومكانها ؛ هي التي تجعل تربية الاطفال عقدة يعجز عن حلها معظم الوالدين والمعلمين . كما أن مدى الحرية ونوعها وزمانها ومكانها ؛ هي التي تضع أمام الساسة والحكام والزعماء مشاكل قلما يوفقون إلى حل النزر اليسير منها .

ومنها تباينت الآراء في مدى الحرية التي ينبغي منحها للطفل ؛ كما تباينت في مدى الحرية التي تمنحها الحكومات للافراد ؛ والمدرسة الحديثة سخية إلى حد كبير

يكاد يكون تطرفاً فيما تمنحه من الحرية للأطفال؛ على أن أشد الآراء تحفظاً وأقلها جنوحاً إلى إطلاق الحرية للطفل ؛ لا تقاس شيئاً بما كانت عليه في الأجيال السابقة من الميل إلى تقييد حريته ؛ واستعمال أحسن الوسائل في تربيته .

وفيما يتعلق بالحرية ؛ هناك أمران جديران بالاعتبار ؛ أولهما أن الطفل إذا منح الحرية مع عدم حسن القيادة ؛ فإن مثله يكون كمثل الأعمى الذي فقد دليله ؛ وثانيهما أن الولد (أو المعلم) الذي يريد أن يربي طفله على الطريقة القديمة التي تنكر على الطفل حريته ؛ مثل هذا الوالد يحاول أن ينطح صخرة منيعة .

للمدنية الحديثة صفتان ؛ هما : التعقيد أو عدم البساطة ، وسرعة التغيير . وطبيعة الطريقة القديمة في التربية الجمود وعدم الحركة . ومعنى هذا أن الحياة في المدينة الزراعية كان يلائمها ذلك النوع من التربية الذي لا يحتاج إلى كثير من الحرية ، والذي لا يتطلب إلا عدداً من القوانين التي تصلح لأجيال عدة . أما الحياة الصناعية التي تتغير فيها الآراء ومقاييس الأخلاق والعادات كما تتغير أزياء السيارات والطيارات وأجهزة الإذاعة كل عام — هذه الحياة تتطلب حرية ومرونة ، ولا سبيل للنواهي والأوامر فيها ، إلا إلى حد معلوم . وأظهر دليل على ما أقول إن الحياة منذ فجر التاريخ إلى عصر بيكون أو غاليليو — كما يقول لنا العلماء — لم تكد تتغير وسائلها ، في حين أنها منذ ذلك الحين إلى اليوم في تغيير مستمر وعلى الأخص منذ نهاية الحرب العالمية .

فهل نعجب إذا تألم الطفل والغلام والشاب ، وبين الواحد ووالديه قرون كاملة لا بضع سنوات ، تفكيراً ، وإحساساً ، واتجاهاً .

استوقفت نظري عبارة جريئة ذكرها ميليكيان « Millikain » وهو من أكبر

علماء الطبيعة الأحياء ، إن لم يكن أشهرهم . قال ميليكان : « إن الحياة اليومية التي كان يعيشها جدي وطرق تفكيره ، كانت أقرب إلى حياة أول رجل ذكره التاريخ منها إلى حياتي اليوم وطرق تفكيري » . ومهما يكن في هذه العبارة من مبالغة فإنها تبين لنا حقيقة رائعة ، وهي أن الرجل الذي يريد تربية ابنه في هذا العصر على الطريقة التقليدية القديمة ، يحاول أن يضع الخمر العتيقة في زجاجات جديدة كما يقولون . وليست الحرية التي نقصدها هنا تلك الحرية المطلقة ، الفطرية ، التي كان ينادي بها جان جاك روسو .

ومن ذيول نظرية روسو أن حرية الطفل تحددها حاجاته ورغباته ، لأن هذه الحاجات في رأيه طبيعية ، بيد أن المشاهد أن هذه الحاجات يشترط فيها أن تكون مشروعة ، أي أنها تحدد بالهدف أو الغرض الذي ترمي إليه . والمربي الحكيم يستطيع التفريق نسبياً بين الحاجات المشروعة وغير المشروعة . فليس بكاء الطفل وإلحاحه في طلب شيء دليلاً على مشروعية الحاجة ، فكثيراً ما تكون دموع الطفل أوامر تنصاع اليها الأم الساذجة . والطفل مع سذاجته كالمرأة يستطيع أن يقضي حاجته بدموعه . ومن المشاهدات المعروفة أن الأم الجاهلة تحمل طفلها كلما بكى ، في حين أن الام الانجليزية المتعلمة مثلاً لا يكاد طفلها يبكي أبداً لان بكاءه لا يستدر عطفها فلا تحمله ، ولذا يتعود الاستقلال منذ نعومة أظفاره ، ويشب قوي الشخصية .

وقد يكون جديراً بنا أن نضع أمام القارئ نقطاً يسترشد بها ايضاحاً لمعنى الحرية التي ننشدها في تربية الطفل توصلاً إلى تنمية شخصيته :

١ - ينبغي أن تهيئ للطفل منذ تعلمه المشي ، الجو الذي يستطيع فيه أن يشغل وقته بما يلائم سنه وميله ، كأن يزود بعدد من اللعب والدمى التي تتطلب حركة

وعملاً ، وتكسيراً وإصلاحاً ، وهدماً وبناءً ، وقلباً وإعادة ، وملأً وتفريغاً ، وتسويداً وتبييضاً . وبمعنى آخر كل مايستطيع به أن يسخر أكبر عدد من حواسه . أما إذا تُرك في جو لايجد فيه غير أثاث المنزل وأفراد الأسرة ، فانه يعمد إلى إتيان مالا تريده أمه أو مربيته ؛ فيلوث الأثاث ويكسر الأواني ويقتلع الزهور ويمزق الثياب ، وهو انما يفعل ذلك مدفوعاً بغريزة حب الاستطلاع التي هي أساس المعرفة والاختبار . فالطفل إنما يكسر الأشياء ليتفهم طبيعتها ، خشونة ، ونعومة ، يبوسة وطراوة . والأم التي تترك ابنها في جو مجدب . وتمطره بوابل من الأوامر ، والانفعال ، انما تتطلب في الماء جذوة نار .

٢ — الطفل أحوج إلى حواسه من الكبار ، لأن الرجل يعتمد على اختباراته السابقة في تمييز الأشياء ، أما الطفل فليس لديه إلا ما يلمس به ويسمع ويرى ويذوق ويتألم ويحس بالبرودة والحرارة وتفاعيل أعضاء الجسم الداخلية .

٣ — إن كثرة النواهي والنصائح عديمة الجدوى : أولاً — لأن معظمها لايتفق في الغالب وطبيعة سنه ، وثانياً — لأن الطفل لا يستطيع استيعابها أو القدرة على إصلاح كل خطإ يقع فيه . وما يقال في الطفل وأمه يقال في الطفل ومعلمه . فمعلم المطالعة مثلاً يظن أن إصلاح كل كلمة يخطئ في نطقها التلميذ من أنجع الوسائل لتعليم القراءة ، وهو لا يعلم أن الجهاز العصبي لا يستطيع أن يستوعب من المنبهات الخارجية إلا عدداً محدوداً في زمن محدود .

إن إصلاح الخطأ يكون بالمران الطويل لا بالاستماع إلى الصحيح أو النظر إلى ما يؤتى من الأفعال الصحيحة .

٤ – الطفل بطبيعته أميل إلى « خلق الأشياء »منه إلى أخذها عن غيره . فمتحف الطفل بما جمعه بيديه من أصداف وأحجار وأخشاب وصور وقطع من الحديد والزجاج ... أجمل لديه من متحف التاريخ الطبيعي ، ودار الآثار والفنون الجميلة مجتمعة . والصورة التي يرسمها بيده ويلونها بريشته ويزخرفها بقلمه أبدع عنده من عذارى رفائيل وتتسيان وفان دايك . وانشودته على سذاجتها أعذب لديه من موسيقى باخ وفاغنر وبيتهوفن . وإطلاق الحرية للطفل في التعبير عن وجدانه بهذه الكيفية لا يقتصر على تركه يشبع لذة ذاتية في داخله ، وإنما يشجع فوق ذلك مواهب كامنة فيه قد تبدو يوماً في صورة قشيبة فيخرج منها الكاتب أو الروائي أو الفنان أو الصانع الماهر .

والفرق بين المعلم الجاهل ، والمعلم الماهر في هذه الناحية ، هو أن الأول يعنى في تربية الطفل « بالمحصول » – بالرسم الجميل والغناء العذب والرقص الرشيق – اما الثاني فيعنى بالطفل أولاً ، ويعنى باكتشاف ميله وتوجيهه وتشجيعه قبل كل شيء . فقد يكون الطفل رديء الخط ؛ ولكنه يتلمس النمو في هذه الناحية ؛ فإذا صادفه معلم جاهل – وهو الغالب – قتلت الحبة في التربية قبل بروز العود .

٥ – العقوبة البدنية للطفل لا بأس بها بشرط أن تكون في حينها أي غير مؤجلة ، وسريعة ، وغير مؤذية . فإذا حاول وضع إصبعه في النار يضرب على يده ضرباً سريعاً قبل وصوله للنار إذا أمكن . ويشترط أيضاً أن تكون العقوبة نادرة حتى لا يضيع أثرها ويصبح الطفل مجرماً معتاد الإجرام . وهنا يجب الاحتراس من جعل الخوف الشديد أساس العقوبة .

٦ – إذا كان في الطفل عيب ذهني أو خلقي أو (بدني) فحذار أن تعيره به

أو تذكره به . فالطفل المشاغب إذا قيل له على الدوام إنه مشاغب ، يحرص على هذه السمعة ، ويحافظ على هذا الاسم ويجتهد أن يكون مشاغباً ولو لم يرد ذلك . وكذا الحال إذا كان ميالاً إلى السرقة أو الكذب أو الغش .

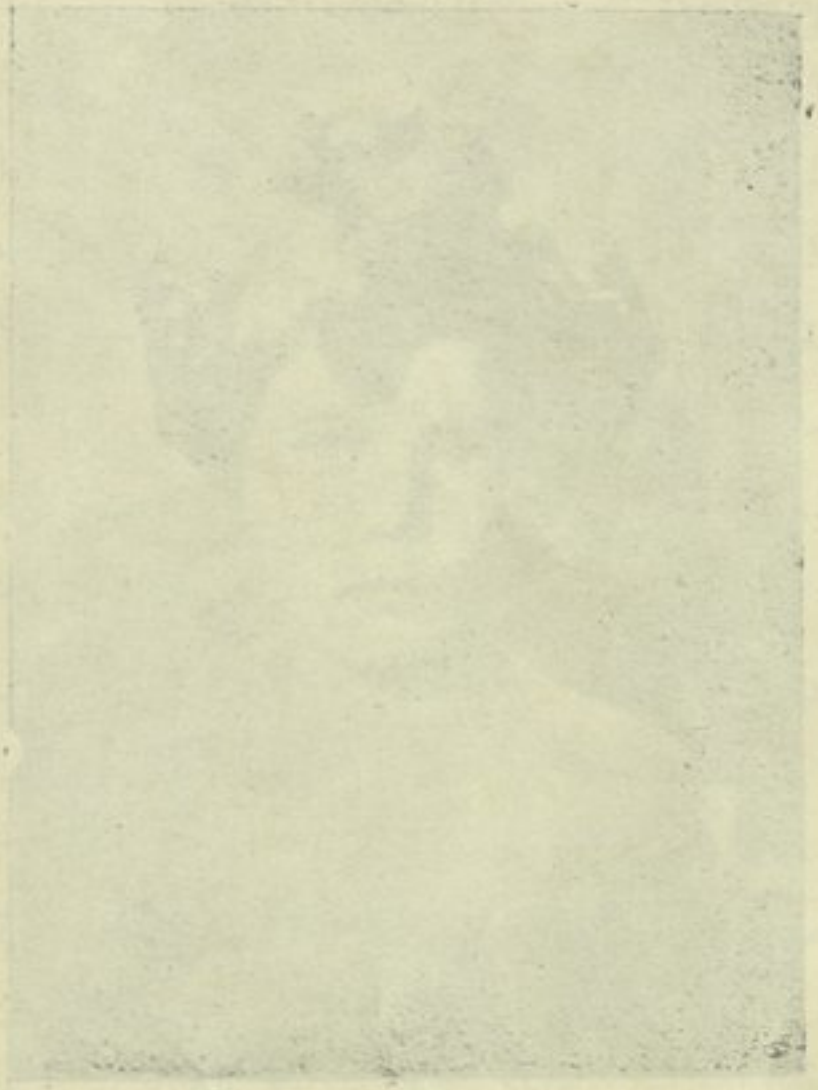
٧ – من الفروق الهامة بين الطفل والرجل البالغ ، أن الأول رجل صغير (غير ناضج) والثاني طفل كبير . ونقصد بهذه العبارة أن الفرق بين الطفل والرجل فرق في الكم (أي درجة النضوج) لا في النوع . وينتج من هذا منطقياً أن للطفل شخصية كالرجل ومتى اعترف القائمون بأمره بذلك وجهوا أنظارهم على الدوام إلى احترام هذه الشخصية والمحافظة على كيانها .

وهنا نبادر بالاستدراك فنقول إنه برغم ذلك يجب ألا نسارع في زج الطفل في جماعات البالغين أو إشراكه في نواحي نشاطهم . فلنترك الطفل في « بنطلونه » القصير ، ولنبعده عن الحفلات والولائم (إلا الخاص منها بالأطفال) محافظة على طفولته البريئة . ولعلنا نذكر أن الفتاة الارستقراطية في انجلترا لا يسمح لها بحضور الولائم أو المراقص أو الحفلات الاجتماعية إلا إذا بلغت سناً محدودة ، وتشرفت بمقابلة صاحبة الجلالة الملكة وحينئذ تقدم لأول مرة للجماعة (Society) ويطلق عليها اسم (debutante) والطبقات المثقفة تتبع مثل هذه العادة وبهذه المثابة يحافظون على الطفولة المتواضعة الساذجة الحلوة البريئة ...

٨ – ليعلم الوالدون والمربون أن العادات التي نحاول غرسها في نفس الطفل هي ثورة على طبيعته ، والمدرسة بؤرة هذه الثورة . وكل الوسائل التي نتخذها في تربية الطفل إنما هي في الحقيقة صخور تصطدم بها طبيعته فلنعذر الطفل في



لكل طفل شخصية يحرص عليها ، وتبدو
هذه الشخصية رائعة في هذه الصورة



تحمل الصدمات ولنسر معه الهوينى إلى أن تتفتت هذه الصخور تدريجياً .
ولنستعن بالاطباء الأخصائيين إذا أعيتنا الحيل في ترويض هذه الطبيعة الجائحة فقد يكون السبب داءً خفياً أو غدة تفرز كمية من «الهرمونات» تزيد على حاجة الطفل أو تنقص عنها . وقد يكون السبب خطأً في طريقة التربية .

ولا نريد أن نترك القارئ قبل أن نذكر في مابقي من السطور شيئاً عن تاريخ هذه الآراء الحديثة في شخصية الطفل : كان كومينوس (جون اموس) أول من فكر في الطرق العلمية لتربية الطفل ، وجاء بعده روسو ووضع كتابه المشهور « اميل » . ويعتبر هذا التاريخ الخطوة الاولى في تحرير الطفل ونقول تحريره لان جهل الناس بطبيعة الاطفال و(الانسان) . كانت تحدو بهم إلى تعذيبهم واستعمال القسوة في تربيتهم . فإذا كان الطفل بطبيعة الحال بطيئاً في تعلم القراءة او مبادئ الأخلاق ظنوا أن هذا عصيان منه او عناد ، ولا يخفى ان هذه القسوة كان يعامل بها المصابون بالامراض العقلية والحيوانات للسبب عينه وهو جهل الناس بالطبيعة الانسانية والحيوانية ، ومن هذا يتبين أن تحرير الطفل كتحرير المرأة ، والرفق بالحيوان والرحمة بذوي الأمراض العقلية أشياء كلها حديثة العهد .

منذ ذلك الحين أخذ العلماء والمربون ينادون بتحرير الطفل ، فجاء بستلوزي واسس مدرسة في «بيرجدورف» وبعدها أخرى في «ڤردون» جعل فيها العطف والاخاء رائده ، وبيّن للملأ أن الذكاء كالعضل ، فكما أنه ليس في استطاعة كل أن يحمل كتفه قنطاراً من الحديد ، فكذلك ليس في استطاعة كل طفل أن يتعلم مادة دراسية . وما يقال في المسائل العقلية يقال في الصفات الخلقية . وجاء بعده «هربارت» وجعل علم النفس أساساً لتربية الطفل وتنمية شخصيته . ثم ظهر «فروبل» تلميذ روسو

ونادى بأهمية اللعب في مدرسة الطفل لأسباب لا يسمح المجال بذكرها ، فأسس رياض الأطفال المعروفة ، وأول روضة كانت في «بلاكنبرغ» سنة ١٨٣٧ ، ولم يكد ينشأ هذا النوع من مدارس الأطفال حتى ثار الالمان على موسسها ، ظناً منهم أن هذه الرياضة مفسدة لأخلاق الاطفال وخميرة ثورة إجتماعية . فنجحت الرياض في أميركا ثم بعد ذلك في بلدان أخرى اكثر من نجاحها في وطنها الأول المانيا .

وتربية الأطفال من أكثر المسائل تعقيداً ، ولا نبالغ إذا قلنا إن السواد الأعظم من الامهات والمعلمين في أرقى الأمم يجهلون هذا الفن الجميل . واكثر نوابغ العالم يضطرون بحكم عبقريتهم إلى أن ينسوا في سن العشرين ما علمهم إياه والدوهم وأساتذتهم في سن الطفولة ، ويبدأوا صفحة جديدة شأن كل عصامي ...

وهناك كلمتان أسرهما في أذن كل أم مثقفه :

اولاهما – ان درس علم النفس الخاص بالاطفال (Child psychology) من ألزم الاشياء لها . وثانيتهما – ان الاساس المتين الذي تشاد عليه شخصية الطفل له دعامتان : الاولى – حديث المائدة والموقد وكل مايتصل بحواس الطفل . وثانيهما – المثل الحسنى ، فالأم التي تريد أن تغرس في نفس طفلها فضيلة الصراحة مثلاً ، تحاول المستحيل إذا كان بيتها عشاً للخديعة وبؤرة للدسائس

امير بقطر

دراسة الاطفال

١ – بداية العناية بتفهم الاطفال ودرسهم

كان الناس في الأزمنة الماضية يعتقدون أن الطفل ليس سوى « مختصر » رجل ، فيه جميع ما في الرجل (أو المرأة) من عقل وغرائز وميول فطرية ظاهرة ، وفعّالة من البداية ، وإنما مصغرة موجزة . وهذه نفسها تكبر وتزداد كلما كبر الطفل ونما . وعلى ذلك كانوا يعاملونه حسب هذا الاعتقاد ، فيتطلبون منه أن يقوم بأنواع الاعمال التي يقوم بها الكبار ، إلا أنهم كانوا يراعون أن يكون مقدارها متناسباً مع جسمه الصغير وقوته الضئيلة .

أما زمن الطفولة نفسه فلم يكن في نظرهم إلا وسيلة لدور آخر أهم منه وأفضل ، فكلما أسرع الطفل في مغادرته كان خيراً له وأنفع .

وكان الأطفال يكلفون السير على طرق تفكير الكبار ومحاكاتهم في أعمالهم ، وتتبع آمالهم ؛ كما كانوا يدرسون إليهم على صغرهم الأمور و « المسائل » التي ستصادفهم في المستقبل عندما يكبر الواحد منهم ويصير رجلاً . ولكن ما يروق الراشد ويهمه لا يروق الطفل ولا يشوقه ، لأنه لايملك من بُعد النظر وقوة الادراك ما يمكنه من الاهتمام بأمور لا تدخل في دائرة حياته الحالية . فمن العبث أن نتطلب منه أن يفكر تفكير الرجال ، ويعنى بأمورهم ، كما هو محال علينا أن نستطيع

إكراهه على أن يصبح رجلاً قبل أن يبلغ سن الرجال . كذلك كان الناس يحكمون على أعمال الطفل ، ويقيسونها بمقاييس أعمال الراشدين ، فيصفونها بالخير والشر ، والصواب والخطأ حسب المعايير التي وضعها المجتمع للناضجين المكلفين .

لقد ظهر كثير من المربين قبل روسو [1] ولكن من اليوم الذي كتب فيه هذا الفيلسوف الفرنسي كتابه (أميل) ودعا الناس إلى تفهم الطفل والعناية به ، تغيرت آراء الناس تدريجاً ، وأخذت الابحاث تكثر في تفهم هذا المخلوق الغريب ودرس طبائعه . فكتب « بستالتزي » [2] و « فريبل » (١٧٨٢ — ١٨٤١) و كان لهما ضلعاً كبيرة في تغيير الرأي السائد في تربية الأطفال وفي طرق تعليمهم ، ثم تزايدت العناية بالأطفال وشئونهم زيادة كبيرة ، ورصد كثيرون من العلماء والباحثين جزءاً كبيراً من وقتهم على درس الطفل درساً علمياً صحيحاً ، فنشأ من ذلك أبحاث كثيرة نجم عنها موضوع جديد مستقل بنفسه هو (دراسة الأطفال) ، كان لتقدم علوم الحياة ، ووظائف الأعضاء وعلم النفس ، وعلم الانسان ، ومذهب النشوء والارتقاء أثر كبير في تقدمه هو . ومن ذلك كله تبين للناس أن الطفل ليس مختصر رجل ، بل هو مخلوق آخر يكاد يكون مستقلاً عنه الاستقلال كله . فهو يخالف الرجل

---

(١) كاتب وفيلسوف فرنسي كبير ، عاش في القرن الثامن عشر ١٧١٢ — ١٧٨٤ كان لكتاباته الاجتماعية والفلسفية أثر كبير في الثورة الفرنسية . وقد أخرج كتابه « أميل » أو « في التربية » سنة ١٧٦٢ فكان له فيها أفضل الاثر على الرغم مما فيه من المتناقضات والمغالاة .

(٢) كان لبستالتزي (١٧٤٦ — ١٨٢٧) طفل عكف على درسه وملاحظة نموه وتدوين ما يعتريه من التغيرات .

الراشد كل المخالفة في نمو جسمه ، وفي تناسب أعضائه ، وفي طرق تفكيره ، وفي وجدانه ، وإرادته وميوله وطرق التعبير عن حاجاته المختلفة اللازمة له .

فهو لا يرى هذا العالم بالعين التي يراه بها الرجال ، بل هو لديه عالم آخر لا يدرك الرجل حقيقته إلا إذا وضعوا أنفسهم موضع الطفل فتذكروا طفولتهم في الماضي وتدلوا إلى مستواه ليدرسوا طباعه . وعالم الطفل هذا يتغير في كل دور من أدوار نموه العقلي والجسمي . فالعين التي ينظر بها اليه في سنته الثامنة عشرة . غير العين التي ينظر بها إليه في سنته التاسعة عشرة

فالطفل طفل دائماً ، وليس مصغر رجل ، ولا يبلغ دور الرجال إلا تدرجاً وبعد أن يمر في نموه وترقيه بعدة مراحل متصلة بعضها ببعض أتم اتصال ، ولكل منها مميزاتها الخاصة بها . ولا يكون ترقي الطفل صحيحاً إلا إذا أخذ حظه من كل مرحلة من هذه المراحل كاملاً . ومن المقرر الآن في علم النفس أنه كلما كانت حياة الطفل حياة طفولة حقاً من غير أن تثقل بواجبات الرجال وتكاليفهم كان ذلك أفضل له وأفيد في رجولته . فالطفولة مرحلة من مراحل النمو قائمة بذاتها ، ولها أهمية في نفسها ، لا لأنها طريق إلى مرحلة أخرى أهم منها — مرحلة الرجولة — فينبغي أن يترك الطفل يحيا حياة الأطفال ويستمتع بها قبل أن يحيا حياة الرجال .

لقد كانت هذه الحقائق مجهولة قبل أن يهيب «روسو» بالناس إلى تفهم أطفالهم ودرسهم ومعاملتهم كأطفال ، فأحدث كتابه (اميل) ثورة في عالم التربية الحديثة . فأصبح «الطفل» نفسه هو موضع العناية والاهتمام بدل أن كانت «المادة» التي يراد تعليمها . وذلك مما يميز التربية الحديثة الآن عن التربية القديمة كلها . فلم يعد التدريس للأطفال يسير على نمط التدريس للكبار بل ان

كل رحلة من مراحل النمو لها طرق خاصة في التدريس . وذلك لاختلاف كل مرحلة عن الأخرى فأصبحنا الآن نهتم بغرائز الطفل وميوله العامة ، وما يتجلى فيه من النزعات ، وطرق تلبيته لما يستثيره من العوامل المختلفة ، وكيفية إدراكه وتفكيره . ولقد بلغ الاهتمام بذلك درجة قصوى حتى سمّي العصر الذي نحن فيه « بعصر الطفل » .

على أنه يجب ألاّ نقصر كل اهتمامنا في هذه الأبحاث الجديدة المتعلقة بالطفل عَلَى درس طبائعه وغرائزه الحيوانية وميوله الفردية وحدها ، بل لا بد لنا من أن نعرف كيف نجعل هذه الطبائع والغرائز صالحة لعصرنا الحاضر ملائمة لنظامنا الاجتماعي فالوسط الذي نعيش فيه الآن يخالف الأوساط الطبيعية والاجتماعية السالفة التي كان يعيش فيها أجدادنا الأولون الذين ورث الاطفال عنهم أكثر غرائزهم وميولهم . فالواجب علينا في التربية أن نجعل نصب أعيننا شيئين متلازمين هما :

١ — ترقية الطفل من كل الوجوه مسترشدين في ذلك بأطوار نموه وترقيه .

٢ — ان هذا الطفل سيعيش في المستقبل في وسط اجتماعي راقٍ ، فلا بد أن يتهيأ للمعيشة في ذلك الوسط ويُعد له . وذلك لا يتيسر إلا بعد أن ندرس الطفل دراسة علمية صحيحة مفصلة . لهذا اصبحت الآن هذه لدراسة من أهم ما يزود به المدرس ، ويُدَرّب عليه .

٢ — معنى الطفولة واهميتها

« الطفولة هي المدة التي يقضيها أبناء الانسان والحيوان وهم معتمدون كل الاعتماد على والديهم في الحصول على مطعمهم ومشربهم وعلى الدفاع عن حياتهم » . وتختلف

هذه المدة باختلاف أنواع الحيوان ، فالسمكة لا طفولة لها ، وصغار الطير تتم نضوجها في مدة وجيزة .

وأما الطفل البشري فيولد لا حول له ولا قوة ؛ لايستطيع إطعام نفسه ، أو التحرك من مكانه مدة ليست بالقصيرة ؛ ويظل جسمه غير تام النمو سنوات طويلة لا تقل عن الخمسة والعشرين ؛ فالإنسان أطول الحيوانات طفولة ولكنه في الوقت نفسه أرقاها جميعاً مرتبة وإدراكاً وأكثرها ذكاء . من هذا استنتج الباحثون : أنه كلما ارتقى جنس الحيوان طالت مدة اعتماد صغاره على كباره أي طالت مدة طفولته، فطول مدة الطفولة يصحبه رقي في الادراك ، فالانسان أرقى جميع المخلوقات من حيث نشوء أجسامها ، وعقولها ، وصغاره أطولها [1] طفولة ، وهو اكثرها ذكاء وأقواها إدراكاً .

فليست العلاقة إذن التي بين الذكاء وطول عهد الطفولة عرضية . فالطفولة مجال فسيح للرقي العقلي . وذلك لأن أجسام الصغار وعقولها في ذلك العهد تكون مرنة ، فيمكنها عندئذٍ التعلم والتدرب في كنف آبائها ، على ما يجعلها فيما بعد صالحة للمعيشة في بيئتها . وهي شديدة الحاجة إلى هذا التمرن لأن غرائزها وميولها ليست ثابتة كثبات غرائز كثير من الحيوانات الأخرى . فلا غرو أن يولد الانسان ، وهو أطولها طفولة ، مزوداً بميل كبير وقابلية عظيمة للتغير والتعلم حتى يستطيع جعل نفسه صالحاً للمعيشة في بيئته الكثيرة التغير كذلك . وفي ذلك نفع عظيم للجنس البشري ، إذ به يستطيع أن يصبح قادراً على تغيير عاداته وميوله كما يقتضيه تغير أحوال بيئته التي يعيش فيها ، وكما تقتضيه

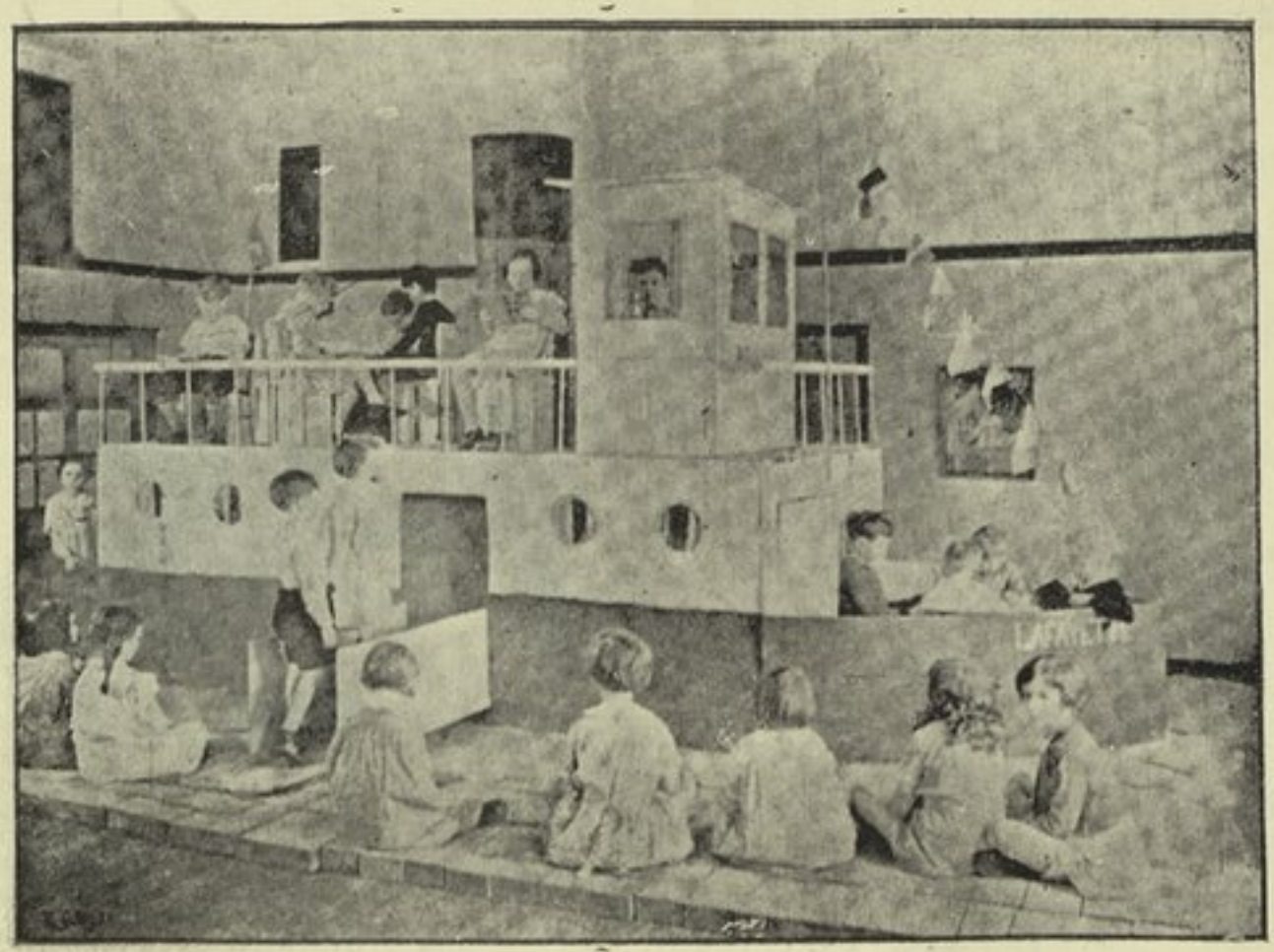
(١) بالاضافة إلى عمره

أيضاً سنة التقدم والعمران . ولولا هذا لوقف الإنسان عن الرقي واستوى في ذلك مع الحيوانات الأخرى .

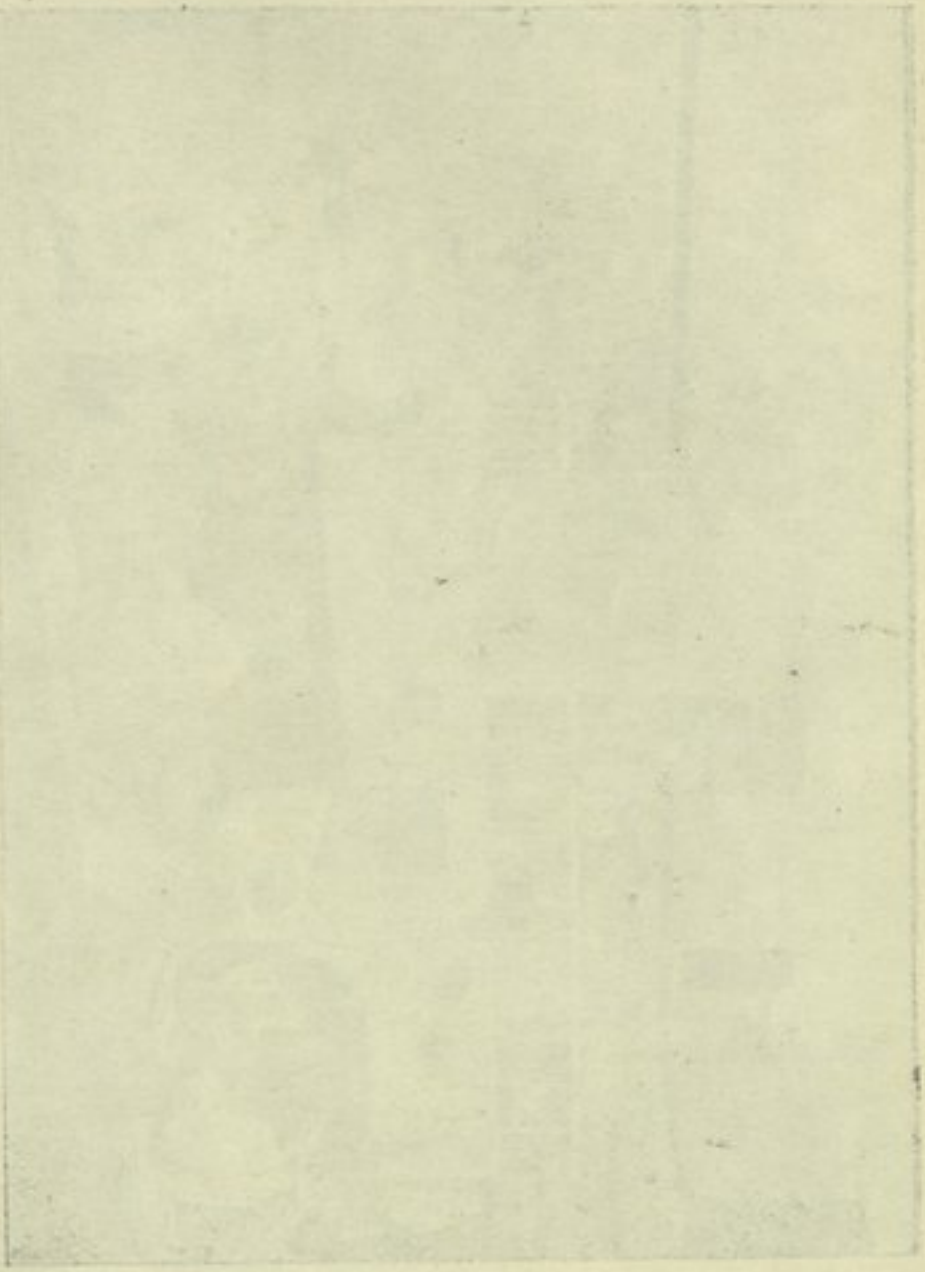
وتكون هذه القابلية العظيمة التي لدى الانسان على أشدها في أوائل العمر ؛ ولا تكمل مميزات الانسان الراشد ويتم نموه إلا بعد خمس وعشرين سنة . وعهد الطفولة يكون في المجتمع المتحضر الراقي أطول منه في المجتمع القريب من البداوة والفطرة . فكلما ارتقى الانسان في العمران ، واتسعت حضارته ، وزادت حاجاته ، زاد عهد طفولة أبنائه طولاً ، حتى يكون المجال لديهم كبيراً والوقت فسيحاً للتدرب والتعلم . فدور الطفولة هو دور الاستعداد والتهيؤ للحياة .

من ذلك يتضح لنا أهمية هذا الدور . فيحسن أن نطيل عهده في كل فرد، حتى يتمكن من أن يتغير ، حسب ما تقتضيه بيئته . أي أنا بدلاً من أن نأخذ الأطفال ونضطرهم إلى العمل لاكتساب عيشهم ، ندعهم يتعلمون في المدارس إلى أقصى حد تسمح به الظروف الاقتصادية للابوين وللمجتمع ؛ فإن الشخص الذي يبدأ فى كسب عيشه قبل تمام نموه ، ربما وقف عن النمو فيخسر خسارة كبيرة ، ولا يستطيع مجتمع رشيد أن يدع ذلك النمو يقف لقاء عدة سنوات يعملها الفرد في عمل كثيراً مايكونُ قليل القيمة والقدر .

وفضلاً عن هذه الأهمية السابقة فإن كثيراً من الفضائل الاجتماعية في الانسان قد نشأ من طول اعتماد الصغير على أبويه . فالمرأة كانت بطبيعة أحوالها مجبرة على البقاء مع أطفالها المعتمدين عليها الاعتماد كله ، فأصبح الرجل بذلك حامياً لهم ، يسعى لكسب عيشهم ومن طول هذه المعاشرة الاضطرارية تكونت الأسرة ؛ ثم



حديقة الأطفال يقوم الصغار بمشروع بناء سفينة



من الأسرة نشأت القبيلة ، ثم الحكومات فيما بعد .

و كذلك الحال في كثير من الفضائل النفسية الاجتماعية كالمحبة ، والعطف على الضعيف ، ونصرته ، والتعاون ، والتضحية ، والشجاعة ، والاخلاص في الذود عن الحرمات ، فإنها كلها نشأت في الأسرة بضرورة الحاجة إليها ؛ ثم تحولت إلى حد كبير في العصر الحديث إلى محبة الأوطان ، والاستماتة في الدفاع عنها ، أو إلى محبة الحق والعلم والدفاع عنهما والتضحية بكل عزيز في سبيلهما .



في سبيل الطفل

منذ أوائل القرن الحالي شهد العالم حركة تجديد في التربية لم يسبق لها مثيل . فقد أتى على المدارس حين من الدهر لم تكن وظيفتها تعدو تزويد الطلاب بقدر من العلوم النظرية ، يتخذها أبناء الأغنياء حلية في مجتمعاتهم ، وينقطع لها نفر ممن لديهم استعداد خاص لدراستها فتصبح صناعة حياتهم . ولم يكن من المهم في هذه الظروف أن تكون للتعليم علاقة بالحياة العملية ، أو أن تعنى المدرسة بغير الناحية الفكرية من شخصية المتعلمين . ولكن في القرن الثامن عشر ، تنبه كثيرون من المصلحين والسياسيين إلى أن التعليم أداة للاصلاح الاجتماعي عظيمة الشأن ، فأخذت الحكومات تعنى به وتضع له أنظمة قومية ، بعد أن كان وقفاً على الهيئات الدينية والخيرية وعلى جهود الأفراد الخاصة . ولم ينته القرن التاسع عشر إلا وقد عممت المرحلة الأولى منه في كثير من بلاد الغرب . وعندئذ ظهر بجلاء أن نظم التعليم المألوفة لا تلائم مختلف فئات التلاميذ الذين أصبحوا يؤمون المدارس العامة ، ولا تعدهم لأن يأخذ كل منهم مكانه اللائق به كعضو نافع في المجتمع . فلم يكن ثمة مفر من تغيير تلك النظم حتى تتمشى مع تطور حاجات المجتمع ، إذ لم يعد كافياً أن تعلم المدارس تلاميذها القراءة والكتابة وبعض العلوم النظرية ، وإنما أصبح المطلوب أن تعدهم للحياة من جميع نواحيها .

وقد ساعد على هذا التحول في التربية حركة أخرى ، بدأها جان جاك روسو ، ثم قويت واشتدت بتقدم العلوم البيولوجية والأبحاث النفسية في القرن التاسع عشر ، وهي

الحركة التي ترمي إلى جعل الطفل، لا المواد الدراسة المحور الذي تدور عليه عملية التربية. وقد يبدو لأول وهلة أن هذه الحركة، بما تنطوي عليه من العناية بالفرد، تناقض النزعة الاجتماعية السابقة، ولكن هذا التناقض يزول عند تدقيق النظر. فإن خير ما يمكننا عمله لاعداد الفرد لخدمة المجتمع هو أن نتعهد القوى والميول الطبيعية التي أودعها الخالق في نفسه. لنساعد على تنميتها وتكوين شخصية صالحة متزنة منها.

والشخصية لا تنمو في أية ناحية من نواحيها بفرض معلومات معينة أو أنواع من السلوك خاصة على العقل من الخارج، بل بنشاط الفرد نشاطاً حراً يقصد به إلى سد حاجاته النفسية الداخلية. وللنمو مراحل متعددة، لكل منها وظيفة هامة في حياة الفرد. فالطفل يجب أن يكون طفلاً قبل ان يصير رجلاً وهو لا يصير رجلاً مكتمل الرجولة إلا إذا أشبع حاجات نفسه في كل مرحلة من المراحل التي يجتازها قبل ذلك. من هذا يتبين لنا خطأ المدارس التقليدية، التي يدفعها تلهفها على نتائج النمو النهائية إلى أن تهمل عملية النمو نفسها ومراحله الأولى الضرورية. فتجعل أساس التربية المواد العلمية التي تمثل منطق الكبار وخلاصة تفكيرهم، بدل أن تبنيها على ميول الطفولة وغرائزها وتجاربها الحية. فهي بمحاولتها أن تصب في عقول الأطفال حقائق لا تتصل بحياتهم ولا يشعرون بالحاجة إلى تعلمها، وبمعارضتها لنزعاتهم الغريزية وإهمالها لقوى الابتكار الكامنة في نفوسهم، تعوق نموهم العقلي والخلقي، وتنفرهم من العلم، ولا تعطيهم في مقابل ذلك إلا معلومات جامدة، تبقى في عقولهم مدة حائرة غير مستقرة، إلى أن تذهب بها يد النسيان ولم تترك في تفكيرهم ونظرتهم إلى الحياة أثراً.

والخلاصة أنه، مهما تكن الزاوية التي ننظر منها إلى نظم التعليم التي كانت شائعة في القرن الماضي، فإنها تكشف لنا عن خطأ وقصور عظيمين. وقد أدى هذا

إلى ثورة عنيفة على تلك النظم ، ودفع فريقا من المفكرين في مختلف البلدان إلى ابتكار أساليب جديدة للتربية . ولم يكتفوا بالقول النظري ، بل انشأ الكثيرون منهم مدارس لتطبيق آرائهم واختبارها . ومع أن هذه الاساليب تختلف كثيراً فيما بينها ، إلا انه قد امكن الوصول إلى بعض مبادئ ونزعات أساسية تتمشى فيها جميعاً وتصبغها بالصبغة التي تميز التربية الحديثة عن تربية العصور السالفة .

ولم تشذ بلادنا عن القاعدة العامة ، فقد تعرضت نظم التعليم فيها لنقد مرير ، وتناولتها يد التبديل والتعديل عدة مرات . ولكن الحال لم تتحسن ، والشكوى لم تنقطع . ولعل من أسباب ذلك ان كل ما اجري من تغيير كان سطحياً لايمس الروح والاسس ، وانه كان محصوراً في حدود دائرة التفكير القديمة فلم يتأثر كثيراً بتطورات التربية التي مر وصفها ، وانه لم يبن على نظر شامل وفحص للموضوع من جميع نواحيه ، وإنما كان مجرد حلول تحسسية لمشا كل جزئية متفرقة ، وبالاجمال إنه لم تكن لنا فلسفة للتربية توفق بين أحدث الآراء في العالم من جهة ، وأغراض النهضة القومية التي لاج فجرها في بلادنا من الجهة الاخرى ...



الطفل والمدرسة

ذهاب الأولاد الى المدرسة

إن انفعال الولد من المدرسة أول ما يذهب إليها لأكبر دليل على ذوق الآباء . فمن الأولاد من تكون المدرسة عنده كالحديقة يقبل عليها مسروراً متهللاً بصدر مشروح . ومنهم من ينفر منها ويتولاه الخوف من الذهاب اليها كانه ملاق فيها عقاباً شديداً أو عذاباً عسيراً . وبين هؤلاء وأولئك نفر من الأولاد يذهبون الى المدرسة بغير اكتراث وبلا مبالاة .

فالذين يقبلون على المدرسة مسرورين هم الذين تعهدهم آباؤهم بالترغيب فيها بطرق مختلفة تجعلهم يرجون منها خيراً عظيماً .

والذين ينفرون منها هم الذين أهمل آباؤهم أن يمهدوا لهم الطريق اليها بل هم الذين نفرهم آباؤهم منها فترى الأولاد يتوقعون منها شراً مستطيراً .

ويمكنك أن تتصور طفلاً يرغبه أبوه في روضة الأطفال مثلاً بما يذكر له عنها من الحكايات المشوقة وبتفهيمه أنه واجد فيها أشياء مختلفة يلعب بها وأنه واجد فيها أيضاً أولاداً مثله يلعب معهم ، وهكذا مما يشوقه اليها .

ثم تقابل بين هذا الأب وبين من يرسل ولده اليها بغير ان يمهد له الطريق اليها فيدخل الطفل ولا يدري الى أين هو داخل ويقابل وجوهاً غريبة لم

يألفها ولم يعرفها فيتولاه الخوف ويأخذ في البكاء وهيهات أن تنزع منه ما ارتسم في مخيلته .

وأما الذين لا يفرحون بالذهاب الى المدرسة ولا يخافون منها فهم الذين أهمل أمرهم . ولست أقصد باهمال أمرهم الى اهمالهم من حيث التغذية الجيدة والعناية باجسامهم وملابسهم وما الى ذلك لكني أقصد الى اهمال تثقيف فكرهم وانماء روحهم فتراهم لا يعلمون عن المدرسة لا خيراً ولا شراً .

فاذا دخل الطفل المدرسة فلا بد من النظر في ما قد يكون من الارتباط بين صحته وسيره في المدرسة . ولست بحاجة الى أن أقول إن سوء التغذية ومرض اللوزتين ، واضطراب الغدد ، والأورام الأنفية والحلقية ؛ والخوريا ، والصرع ، إن كل هذه تجعل الصبي أقل استعداداً لتلقي الدروس واكثر شكاسة وعبوساً . وهذا مما يقتضي أن يدخل الصبي المدرسة وصحيفته الصحية بيضاء نسر المعلمين .

ومن اكثر الآفات شيوعاً واشدها تأثيراً في سير الأولاد في المدرسة عيوب البصر . وكثيراً ما تخفى هذه العيوب فلا يعرف أمرها في بدء الدراسة . واذا عرفت بعد ذلك فقد تنسب الى اجهاد البصر من العمل في المدرسة مع أن هذه العيوب اكثر ما تكون خلقية . ويصح ان يكون لاجهاد البصر بعض التأثير فيها .

ولقد وجد القوم في البلاد الراقية أن عشرين في المئة من الأولاد في حاجة الى تقويم بصرهم لتحسين نظرهم . فاذا لم تتخذ الوسائل الضرورية لهذا

الغرض لا يكون السير في المدرسة حميداً . وكثيراً ما لاحظ المعلمون تقدماً في السير مع تحسن البصر بتقويم عيوبه . وما أتعس التلميذ الذي يكون قصير البصر فلا يستطيع ان يرى ما على السبورة إلاّ بمشقة ، ولا يستطيع ان يقرأ ما في الكتاب الا اذا ادناه من وجهه .

يحكى ان غلاماً وصل الى الرابعة عشرة من عمره ولما يستطع أن يحسن المطالعة . وكان جيد الأخلاق مواظباً على عمله لكنه لبث عبئاً ثقيلاً على معلميه سبع سنين لانه كثير الخطأ في تهجئة الكلمات كثير الخطأ في المطالعة فلا يستطيع أن ينطق جملة بغير غلط وكان اذا كتب رأى الشيْ شيئين . وصبر على بلواه ولم يبث لأحد شكواه لأنه اعتقد أن ذلك طبيعي في كل الناس . ولقد فطن احد معلميه لأمره فعرضه على الطبيب فاتضح عيب بصره . ولما أن عولج العيب وقوم البصر ظهر التقدم في سيره بالرغم من أنه مكث زمناً طويلاً .

وعيوب البصر لا يقتصر ضررها على ما تحدثه من تأخير السير ومن الوقوف في سبيل النجاح بل إنها تؤدى الى التنافر ، لأنك كثيراً ما ترى ضعيف البصر واغر الصدر على رفقائه يكاد ينشق من الغضب ويتميز من الغيظ ويدخل بعضه في بعض . من ذلك ما يحكى عن صبي في السابعة من عمره كان يحسبه معلموه مشكلة المشكلات لأنه كان فظاً غليظ الطبع في معاملة رفقائه يتعرض لمعلميه بوقاحة ويتشاجر مع الجميع لغير ما سبب . ولقد اتضح من الفحص عنه أنه كان مصاباً بقصر شديد في البصر تتبهم معه

الأشباح الماثلة أمامه . فكان رفقاؤه يضحكون منه أحياناً وكان يعلم ذلك . لكنهم كثيراً ما كانوا يضحكون من أشياء أخرى فيعتقد لعدم رؤيته سبب ضحكهم أنهم ساخرون . فاذا تصور ذلك ورأى من معلميه تغاضياً عن زجرهم اشتد غيظه منهم جميعاً وخرج عن حدود الادب معهم .

ولما أن قوّم البصر بالنظارات رأى الأولاد يضحكون ورأى ما منه يضحكون وعلم أنهم لا يضحكون منه فصار معهم من الضاحكين .

وكذلك عيوب السمع لها تأثيرها وإن كانت أقل شيوعاً فهي بنسبة ٥ في المئة من الأولاد ووقر السمع يقتضي إجلاسهم في مجالس أمامية مخافة أن يتأثر سيرهم ونجاحهم .

ولتعلم ان وقر السمع قد يؤدي الى شيء من التنافر كالذي يحدث من غيوب البصر وهو يجعل الولد بليداً متخلف الذهن مطفأ شعلة الذكاء لا يكاد يفقه قولا .

وعلى المعلم أن يلتبس في شرود الفكر الذي يعتري بعض الأولاد فيحسبه وقراً في السمع . واقصد بشرود الفكر الى عدم الالتفات الذي يجعل الصبي لا يكاد يعي ما يقال وان كان يحسن السمع . ومن الضروري مقاومة هذه العادة الرديئة لأنها لا تقل ضرراً من وقر السمع .

الولد العصبي

... والمجموع العصبي في الأولاد يتأذى بسهولة ولا يعالج الاّ بصعوبة وهو فيهم أقل رصانة وثباتاً وأقرب تنبهاً وأسهل انفعالاً . فترى الأولاد

ينفعلون سريعاً من المؤثرات والظروف غير الصحية كسوء التغذية ، والأمراض الحادة والمزمنة ، والعادات الرذيلة ، والسهر والتعب والمهيجات المنعكسة مما ينشأ عن أجهاد العين والأورام الحلقية الأنفية ونخر الأسنان ؛ فكل ذلك يؤثر في الأولاد تأثيراً عظيماً .

وللوراثة شأن عظيم فترى الطفل يستقبل هذه الحياة وهو شديد الإحساس سريع الغضب سيء الحظ لأن ظروفه لا تكون إلاّ ضغثاً على إبالة من عصبية أحد الأبوين أو كليهما فإذا ما هاج هائجها او ثار ثائرهما بسبب حالتهما العصبية امتلأ الولد غيظاً وفار من الغضب وقد يتأثر الولد وهو في بطن أمه بما تتأثر به في أثناء الحمل من هموم الحياة وشواغلها المختلفة .

والأولاد العصبيون نوعان : نوع يكون سريع التأثر سريع الغضب يتلظى من أقل سبب وينفعل من الانتقاد ميالاً للحنو والرأفة تواقاً الى المدح . وأمّا النوع الآخر فهو النفور الخجول يتهيب الناس ويتجنبهم ويكون ضحية أوهامه وخيالاته .

ولا بُدّ لتنشأة المجموع العصبي في الولد تنشأة صحية من سكون الحياة وهدوئها وانتظام المعيشة وترتيبها ، واجتناب كل ما عساه أن يؤثر في المجموع العصبي تأثيراً سيئاً كمطالعة الكتب المهيجة ومشاهدة الصور المتحركة « السينما » المؤثرة .

من أهم ما ينفع الولد العصبي الراحة ونوم ؛ فعليه أن يتعود الذهاب الى الفراش عقب العشاء بقليل ، وان يقيل بعض الوقت كل يوم . وكذلك

تنفعه الألعاب الرياضية والرياضة البدنيـة في الهواء الطلق بغير ان يشق على نفسه .

ومن الضروري أن يروض الولد العصبي نفسه على ضبطها مما يتم بعناية الأم وثباتها وعدم اجابة غير المعقول من طلباته وللمدرسة أثر عظيم في تهذيبه بمساواته مع زملائه وضياع شخصيته وهو في الفصل معهم .

التلعثم في الكلام

هو اضطراب عصبي يعرض للطفل بين الرابعة والعاشرة من عمره فيجعله يتوقف في الكلام ويتلكأ إما عن عدم القدرة على النطق وإما من ترديد المقطع الهجائي أو جزء الكلمة بغير أن يستطيع ان يتمها وينشأ التلعثم عن عدم تدريب الطفل على الكلام وتمرينه على جودة النطق ، وعن اجهاد مركز الكلام في المخ والطفل ضعيف بسبب أي مرض من أمراض الطفولة والأغلب ان يكون للوراثة بعض الشأن فيظهر عقب الخوف والفزع وقد يحدث التلعثم تقليداً .

ومن نكد الدنيا على الطفل أن يصاب بالتلعثم لأنك كثيراً ما ترى زملاءه في المدرسة يتغامزون عليه ويتهامسون ويتخذونه هزواً وسخرية ضاحكين منه إذا تكلم فيلعثم حتى تصبح الحياة عليه عبئاً ثقيلاً .

وقد يتغيب الصبي من المدرسة بسبب هذا الاضطراب وقد يكون كل ذلك ولا يعيره الأب التفاتاً مع أنه جدير بعنايته خليق برأفة المعلمين عليه حقيق بالا يضحك منه أو يعاب عليه في اثناء الكلام لكيلا يزداد ارتباكاً وتلعثماً .

وخير ما يعالج به التلعثم في الكلام أن يتعاون الآباء والمعلمون على تدريب الطفل على جودة الكلام بجعله يتنفس تنفساً غائراً بطيئاً وبتشجيعه على الكلام متأنياً وعلى رفع صوته عالياً والطفل منفرد أو بين سامعيه . ومن الضروري تقوية الصحة العمومية بالراحة وبالرياضة بالهواء الطلق وبالغذاء الجيد . ومن المتوفرين على علاج التلعثم من يطلب من الصبي أن ينذر للتمرين صوماً فلا يكلم انسياً نحو سبعة أيام سوياً .

من ذكريات الصبا

سأحدثك بنبأ تلك الأيام الخالية ، حينما كانت سحب الخريف تتلبد في السماء ، والأشجار تهتز فرقاً من لفحات البرد القارس ، وأوراقها تصفر وتذبل .. وحينما كنا نتناول الأكلات الأولى من اليوم ، تحت نور المصباح لاشتداد الظلمة إذ ذاك وانعدام الضوء .

وسأحدثك أيضاً بما كنت أراه أثناء اختراقي لحديقة اللكسمبرج ، في الأيام الأولى من شهر اكتوبر حينما كانت اوراق الشجر ، تتساقط واحدة بعد الأخرى ، لتتخذ لنفسها مكاناً أميناً على ظهور التماثيل الناصعة البياض .. وسأقص عليك خبر ذلك الفتى الطيب القلب ، من اعتاد أن يخترق اللكسمبرج كل يوم في طريقه إلى الجامعة ، وقد وضع يديه في جيوبه ، وشد حافظة كتبه إلى ظهره ، وأخذ يثب إلى هنا وهناك كأنه عصفور صغير .. نعم إني لأراه الآن صورة مجسمة لشبح الماضي ، أراه بعين الذاكرة التي لاتغفل .. لان ذلك الشبح ، وذلك الخيال لم يكن إلا شخصي القاصر ، منذ خمسة وعشرين عاماً !!

يعلم الله كم يسرني أمر هذا الفتى ، الذي ما اهتممت له من قبل ، وما نال من عطفي شيئاً ! ولما انقضى وعفت آثاره ؛ اصبحت أشعر له بميل وعطف عظيم ! وآسفاه ! لقد كان صورة كاملة للفضيلة والخير ، صورة فاقت في جمالها أي صورة لشخصي ، في أطوار الحياة الأخرى .. حقيقة ، كثيراً ما

كان ذلك الفتى يشرد بذهنه عن حاضره ، يهيم هنا وهناك ... إلا أنه ما كان يوماً فتى شريراً أحمق . والحق انه لم يخلف لي في صفحة الذاكرة البيضاء نقطة واحدة سوداء ، أشعر لها في نفسي بالخجل والعار ! لقد ذهب الفتى الطيب البريء ، وفقدته إلى الأبد ، فكان حقاً على أن أبكيه ، وكان حقاً علي أن أخلده بالذكرى ...

منذ خمسة وعشرين عاماً ، كان الفتى يجتاز حديقة اللكسمبرج ، قبيل الساعة الثامنة ، بقلب حزين ... لايفكر إلا في ميعاد العودة وانتهاء ساعات الدرس ... يسير بخطى بطيئة ، وقد حمل كتبه على ظهره ، ووضع « نحلته » الصغيرة في جيبه ، ! ولقد يرفه عن قلبه الحزين ، شعوره بالسرور إذا ضمه وزملاءه فناء المدرسة ، لان عقله الصغير يشغله مائة شيء وشيء ، يريد أن يحدث عنها أصدقاءه وزملاءه ... أليس مهماً مثلاً أن يستفسر من «لابورييه» عن رحلته في غاب «النسر» للصيد ؟؟ اليس من المهم أن يحدث «لابورييه» أيضاً عن رحلته في جبال الاوفرني ، حيث امتطى صهوة جواد ؟؟ إن ذلك لعمري من الأهمية بمكان ، لانه ليس مما يخفى عن الخلان والاصدقاء ؛ بل مما يتحدث به معهم !

ثم إذا به يتذكر « فنتينه » صديقه الصغير ، من لا يزيد حجماً عن الفأر ويسترجع في ذاكرته سخرياته اللطيفة ، ودعابته الجميلة ، فيسرع الخطى ، حتى يحظى بمقابلته ؛ قبل بدء الدرس ... فيجتاز على عجل حديقة اللكسمبرج ، ويلقي نظرة سريعة على ما يحيط به من الأشياء ، التي لاتزال حافظة لعهدها القديم ، فالسماء واحدة ... والارض هي بنفسها قائمة ... ولا تزال جميع

الكائنات الأخرى ، كما كانت عليه من قبل ، مبعث سروره ، حينما كان فتى يافعاً ، ومبعث ألمه وشقائه لما أصبح شيخاً فانياً .

* * *

ولو قدر لي أن أحيا حياة الطالب الداخلي ، ما حملت في نفسي لعهد الدراسة الغابر إلا اسوأ الأثر ، وأقسى الذكريات ... ولكن حمداً لله ! لقد كفيت مؤونة ذلك ، فكنت طالباً خارجياً بإحدى الجامعات القديمة المتواضعة ! فكنت على اتصال بالطريق الذي أمر به والمنزل الذي أقيم فيه ، فاذددت علماً بالحياة العامة والخاصة التي يحياها القوم ، الأمر الذي يجهله الطلبة الداخليون كل الجهل ، ولا يعلمون عنه شيئاً ! وكذا عواطفي ومشاعري فقد نمت في جو بعيد عن الاسترقاق والاستعباد ، واتخذت لها طريقاً قوياً جميلاً ، شأن كل عاطفة تتمتع بنسيم الحرية وعذوبة الاستقلال ! ولكن تلك العاطفة القوية الجريئة كانت بمعزل من أن تشوبها شائبة من البغضاء أو المقت ! . بل كان حب الاستطلاع الذي يتأجج بين جوانحي ، لا يرمي إلا إلى غاية جميلة ، ومقصد محمود . . هو حب وألفة الأشياء التي يقع عليها ناظري ! فما كنت لأرى الأشياء التي تمر بي في طريقي : من انسان وحيوان وجماد ، حتى أشعر بالرغبة في الوقوف على كنهها ، حتى تبدو أليفة جميلة امام ناظري تشعرني بما لها من قوة وجمال وبساطة !..

لا يوقف الطفل على سر الحياة الاجتماعية ، ودولاب الأمور إلا الشارع ... الطريق الذي يمر به الولد الصغير ... انه لمن المهام الأولي أن يرى الطفل صباح كل يوم بائعات اللبن الذي يشربه وحاملي الماء الذي يحتسيه

وبائعي الفحم الذي يستخدمه .. وانه لمن الواجبات الأولى أيضاً أن يلم الطفل بشيء عن حانوت البقال وبائع اللحم ... وانه لمن الامور الأولى ايضاً أن يتفهم الطفل الروح التي تسود على من في الشارع من القوم ، حتى يشعر بأن السلطان الأعلى الذي يخضع له الجميع هو العمل .. ، وأن كل شخص قد وجد في الحياة ، ليقوم بدوره فيها ..!!

ولقد تملكتني رغبة قوية في الوقوف على سر الحرف والصناعات وأربابها الذين طالما مررت بهم اثناء ذهابي وعودتي من الجامعة ، إلا أني أعترف لكم أني ما كنت أضمر لهم في نفسي حباً وشغفاً متساوياً .. بل كان لبعضهم عندي منزلة تفوق البعض الآخر .. فكان لعمال الورق الذين يعرضون في مقدمة حوانيتهم ، صوراً تمثل سكان جبال الفوج ، المنزلة الاولى في نفسي ..ولطالما دققت النظر في تلك الصور الرائعة ، فتمثلت في مخيلتي المأساة العظيمة التي حلت بهؤلاء القوم يوماً ما..

وبعد فترة قصيرة من الزمن ازددت علماً بالحياة !... ولكن كان يشغل عقلي الصغير بضعة أمور رأيتها غريبة عني ، لاتألفني ، ولا آلفها !.. إنما أوجدت في نفسي تلك العاطفة ، بل الموهبة ، التي بدونها لا يمكن للمرء أن يقف على كنه شيء أو حقيقته مهما أوتي من العلم والتجربة ! فلقد علمت من هذه الأشياء الصغيرة ، ولأول مرة في حياتي ، أقسى شيء يرهبه المرء . بل قل الشيء الوحيد الذي يخافه ... ألا وهو القدر ... بل القضاء !

ولقد مرت أربعة عشر عاماً ؛ أو ما يزيد ، مرت خلالها على تجار

لقد أخذنا عن المدرسة ضروب العالم العالي الصحيح .. ولكن عن المنزل أخذنا أشياء كثيرة لها قيمتها من النفع ومنزلتها من الأهمية ، لقد يفهم الطفل وهو جالس بين والديه واخوته ، تضمهم مائدة واحدة قد فرشت بغطاء أبيض جميل ووضعت عليها أواني المياه البيضاء اللامعة وقد جلس الجميع بقلوب هادئة مطمئنة ، معنى جمال الحياة المنزلية والسعادة المطمئنة ، .. وإذا أسعده الطالع ، ووجد بين والدين صالحين ، على درجة من الذكاء ، بعثت في نفسه المائدة روح محبة العدل والناس .. إذ يرى أنه يتناول بيده من ذلك الخبز ، الذي أنزله الله على عباده من الحجاج المسافرين إلى دمشق .. فلا يسعه إلا أن يقول بدوره ، كما قالوا من قبل « رباه .. أن قلبي ليحترق بين جوانحي ... »

فما أجدى وأنفع مدرسة المنزل ؟! وكم ينقص المائدة المدرسية ، التي يجلس إليها الطلبة الداخليون ، ذلك البشر وذلك السرور وتلك الفضيلة .

* * *

لقد خيم المساء على حديقة اللكسمبرج ؛ وغاض شبح ذلك الفتى ؛ في جنح الظلام المنسدل ؛ فوداعاً أيها الصغير ؛ يامن فقدتك إلى الأبد ؛ ويامن سأظل أبكيه ؛ حتى يرزقني الله طفلاً يكون صورة أخرى منك ؛ ومثالاً لعهد الصبي الغابر .

« ملخصة عن السياسة الأسبوعية » أحمد صادق اسماعيل

التلميذ والمعلم

قد يتعجب البعض من هذا العنوان وذكر المتعلم فيه قبل المعلم ، ولكننا إذا فكرنا قليلاً في الغاية المقصودة من التهذيب والتعليم وعرفنا بأن المدرسة لم تخلق إلا لصالح التلميذ وحده انكشف لنا السر في تقديم الطالب على الأستاذ .

إنه حقاً لما يخفف قليلاً عن المعلمين ثقل العبء الذي يتحملونه ومما يزيل شيئاً من مرارة الكأس التي يتجرعونها أن يقدر الشعب قيمة جهودهم ويعرف لهم مكانتهم — ولكن ذلك فصل آخر خاص لا نتعرض إليه الآن ، وإنما نريد أن لاينسى المعلمون من جهة أخرى بأن ما ينبغي لهم من تكريم واجلال وما يستحقونه من عطف واحترام ليس موجهاً في الحقيقة إلى أشخاصهم لمجردة بل ان السبب إلى قيامهم بمهمة من اشرف واسمى الواجبات الكبيرة في حياة الشعوب هي تثقيف الناشئة وقيادة الحركة الفكرية في البلاد .

فالمعلم إنما وجد لأجل التلميذ ولذلك يجب عليه أن ينصرف بكل جوارحه وعواطفه وأفكاره إلى الاعتناء بهذه الوديعة والاهتمام بأمرها .

إنه هو المسؤول قبل غيره عن تقويم خطى الشبيبة وعن انكشاف مواهبها وتنمية ملكاتها .

ومن واجبه أن ينير لها الطريق إلى الحياة بجهزها بما يلزم لتذليل العقبات

واقتحام الصعوبات على هذه الطريق الوعرة جداً ...

لايستطيع المعلم أن يقوم بهذه المهمة حق القيام إلا إذا توفرت لديه الشروط والأسباب اللازمة . وليس يكفيه في ذلك العلم الغزير الصحيح والرغبة الخالصة في تعليم الأطفال وتهذيبهم بل يجب عليه قبل كل شيء أن يكتسب قلوب تلاميذه وأن يعرف الطريق إلى عقولهم وأفئدتهم .

تعتني كتب التربية والتعليم بالبحث عن المعلم وعن التلميذ كل على حدة ولكنها لا تفرد فصلاً خاصاً لمعالجة علاقة أحدهما بالآخر رغم أن ذلك من أهم المواضيع في حياة المدرسة .

فإن المعلم لايتسنى له أن يفيد تلاميذه وأن يكون لهم مرشداً إلا إذا أقبلوا عليه بكليتهم وتركوا له المجال إلى الاهتمام بهم . وهذا يتوقف على وجود علاقات حسنة بين الطرفين .

فكيف تنشأ هذه العلاقات الحسنة ؟ ولماذا نرى بعض الأساتذة تطير اليهم قلوب التلاميذ سراعاً وتنقاد لهم مطيعة مختارة تبتهج لقدومهم وتعمل بإشارتهم ؟ في حين أن غيرهم من المتعلمين لايستطيعون مهما حاولوا أن يظفروا بثقة الطلاب يسيئون الظن بهؤلاء المعلمين ويشعرون عن فطرة بأن أحدهم لا ينظر اليهم بعين الاحترام . إنهم يتهمونه بالاستخفاف بهم واعتبارهم أطفالاً غير عاقلين وبمعاملتهم كقاصرين لايستحقون شيئاً من الاهتمام .

أرجو هنا من القراء أن لايسيئوا الفهم فيما أقصد إليه .

إن التلميذ ، نعم كل تلميذ ، طفل ، مهما كان عمره . ويجب الإلحاح

على المعلمين في مطالبتهم بمراعاة هذا الأمر وأن لاينسوا ابداً نفسية الأحداث الخاصة والفرق بينها وبين حالة الكبار الروحية . ولعل أهم صفة يمتاز بها الأطفال هي أنهم لايزالون في طور التكوين والنشوء ويسهل تكييف طباعهم وتغيير عاداتهم فيجد المعلم مجالاً واسعاً لخلق رجال منهم حسبما يريد وهويشعر بلذة عظيمة في إبداعهم كيفما يريد ... ولكن كل هذا ليس معناه أن الأطفال لاشخصية لهم يعرفون قيمتها ولا كرامة ذاتية يفتخرون بها ويتألمون إذا ما حاول أحد انكار ذلك عليهم .

إن اكبر إهانة هي أن يقال عنهم إنهم أولاد قاصرون وأطفال طائشون بعيدون عن العقل والتروي والادراك .

إن المدارس قد أنشئت لأجلهم . فهل يجوز بعد ذلك أن يهمل المعلمون شخصياتهم وأن لايسعوا لفهم نفسيتهم وأن لايتنازلوا لمباحثتهم والمناقشة معهم والأجابة على جميع أسئلتهم وشكوكهم ومساعدتهم على حل المعضلات التي تعترضهم .

كثيرون هم الأساتذة الذين يعتقدون بأنه لايتفق مع وقارهم ومكانتهم أن يجادلوا التلاميذ وأن يستمعوا إلى أقوالهم وآرائهم واعتراضاتهم .

على أن المعلمين يجب أن يكونوا أبعد الناس عن هذه العقيدة الفاسدة المتأصلة في معظم النفوس من الذين يقال عنهم كبار راشدون .

فإن مهمة المعلم السامية في الحياة تفرض عليه التزام جانب الأطفال وعدم مشاركة الآخرين في غمط حقوقهم .

وكثيراً ما يكون السبب في الازدراء بعواطف الأحداث وآرائهم ليس

إلا حب الكسل والراحة عند الكبار . إننا نرغب ولا شك في التمسك بأفكارنا الذاتية الجاهزة ونفضل ذلك بطبيعة الحال على الأخذ والرد في المناقشة مع الاولاد الصغار الذين لانتصفهم في أكثر الاحيان إلا بالبلاهة والخبث ونظن أنهم لايزالون قاصرين عن الفهم والإدراك .

والنتيجة الطبيعية المؤسفة لموقفنا هذا هي أن يحتفظ الولد بأفكاره وآرائه لنفسه ويقيم سداً منيعاً بينه وبين الكبار الغاشمين سواء كانوا أهله أو أساتذته . وفي ذلك فساد التربية وعقمها ، لأنه يصبح من المستحيل النفوذ إلى روح التلميذ والتأثير عليه .

إن كل من درس نفسية الأحداث يعرف فيهم الميل الشديد إلى رفع حاجز كثيف بينهم وبين الكبار . وهم كثيراً ما يلجأون إلى ذلك مرغمين لما نظهره نحن لهم من تثبيط لهممهم واستخفاف بأمانيهم وآمالهم .

وما هي حجتنا ؟ إنما القياس مع أنفسنا ناسين بأن أحدنا قد تعاقبت عليه صدمات الحياة فخابت أمانيه وانهارت القصور التي بناها في مخيلته ولم يتوصل إلى سوى مقام معلم بسيط ... وبعد ذلك من أين يحق له أن يستصغر عقول تلاميذه إذا رآهم يتدفقون نشاطاً وإقداماً ويتعلقون بآمال يعتبرها هو من عالم الخيالات ؟ وهل يجوز له أن ينتهرهم على عدم اقتصارهم على دروسه المحدودة التي ربما تكون فوق ذلك جافة أيضاً ، ويؤاخذهم على تطلعهم إلى ما وراء جدران المدرسة أو فوق سمائها ؟

ثم أليست أسعد ساعات حياتنا هي أن نظفر بخلوة نرجع فيها بانفسنا إلى أيام الطفولة العذبة ؟ فماذا يشجينا إذ ذاك سوى الآمال التي كنا نحلم بها

والأغراض السامية والأهداف البعيدة التي كنا نتطلع اليها في صفوف المدرسة الضيقة ومحيطها المحصور ؟

إننا ننسى كل ذلك ونسعى لتحكيم سلطان العقل وحده علينا وعلى التلاميذ سواء دون أن نحترم حق الأطفال الذين وإن كانوا غير ناضجين ، إلا أنهم يريدون مجابهة العالم جميعه بسواعدهم الفتية وقواهم النامية التي لاتزال بعيدة عن الفتور والاندحار بسرعة .

ومن يدرينا أنهم لن يقدروا على اقتحام كل العوائق حتى نسعى لتثبيط هممهم ؟.

نعم إنه يمكننا تحذيرهم والنصح اليهم - ولكن أليس الشرط الأول هو أن نفسح لهم المجال للبحث معنا في كل ما يخالج ضمائرهم ويجيش في صدورهم ؟

ما أقل الأساتذة الذين يمكنهم القول بأن الطلاب يتقربون اليهم لهذه الغاية ويكاشفونهم أسرارهم بصراحة !

إنه لا فائدة من التربية والتهذيب إذا فقدت الثقة غير المتناهية بين المعلم والتلميذ .

وبدون هذه الثقة المتبادلة لا يمكن للأستاذ أن يعرف الأهداف التي تتجه إليها أنظار تلاميذه والآمال التي تجيش في صدورهم حتى يستطيع بعد ذلك الأخذ بناصرهم والسير بهم نحو غايتهم .

إن اكبر غاية للتربية والتعليم هي أن ينفخ المعلم الحياة في تلاميذه -

الحياة الجائشة القوية ، المتدفقة ، ولو انقلبت على المعلم نفسه أحياناً وجرفته معها .

إن هذه الثقة لا يمكن أن تنشأ إلا بين أشخاص ينظر أحدهم إلى الآخر كرفيق له . وهكذا ينبغي أن يكون المعلم : ليس سوى الرفيق الودود للتلميذ . رفيق ينصت إلى اقوال رفيقه ويتبادل معه الرأي — رغم التفاوت في السن .

إن معنى ذلك السماح بقسط وافر من الحرية والإستقلال للاطفال وحقاً ان هناك خطر الاندفاع والتشرد . ولكن اناساً في هذه الحالة لا يستحيل خلق النظام والترتيب فيهم بخلاف التلاميذ الجبناء ، الخاملين ، المستعبدين فإنه لا يمكن أن يصيروا رجالاً أحراراً صريحين مقدامين .

وقد توصل علم التربية والتعليم الحديث إلى معرفة الحقيقة في أن أحسن خدمة للمجتمع هي السماح للتلميذ أن ينشأ ويتعلم حسب مزاجه وطبيعته وميوله وان الأحداث إنما يسهل انقيادهم إلى النظام والصرامة إذا تعودوا على ذلك من أنفسهم وإذا سمحنا لهم بقسط وافر من الحرية والاستقلال .

ان علاقة الصداقة والرفاهة بين التلميذ والمعلم ، كما بين الأولاد والوالدين، تمنع حدوث كل سوء ظن وعدم ثقة واطمئنان .

وفي الأخير يجب أن يتذكر المعلمون بأنهم هم أيضاً تلاميذ إلى الأبد يحتاجون إلى التعليم والاقتباس دوماً . وأن اهتمامهم ينبغي أن يشمل جميع الطلاب كل واحد على حدة . وهم لايستطيعون القيام بمهمتهم الشاقة ، ولكن السعيدة،

إلا إذا تجهزوا بالعلم الغزير الصحيح وعلى الأخص في دائرة اختصاصهم ثم إذا سعوا لمعرفة الحياة العصرية وقبل كل شيء إذا فهموا نفسية الناشئة واجتهدوا في أن يكونوا قدوة حسنة لها في الثبات والطموح – وأن يكونوا لها في جميع ذلك رفقاء نصوحين ...

الدكتور : كامل عياد



مركز الطفل في الأسرة

يؤكد الدكتور بنزيون ليبير في كتابه (الطفل والبيت) أمراً أغفله الآباء كثيراً . إلا وهو أن الطفل ليس متاعاً أو سلعة تمتلكه الأسرة . ويوغل الدكتور في هذه الحقيقة ويتكئ عليها كثيراً بحيث يشرف على التطرف . أوغل فيها بشكل دعا معارضيه إلى رميه بأنه يريد أن يكون الإيوان ملكا للطفل يلهو بها ويلعب ولكن رغماً عن هذا الإتهام الذي يصمه به معارضوه نرى نحن في حاجة إلى توكيده وإلحافه وإلى أكثر من هذا التوكيد وذاك الإلحاف. نحن في بلادنا أكثر من غيرنا في حاجة لأن نفهم أن الطفل ليس متاعاً للوالدين يلهوان به ويتمتعان .

الحق أن الطبيعة لم ترزق الناس أولاداً لتسرهم أو تسليهم أو تخفف عنهم مشاق العيش وتكاليف الحياة . ومع ذلك فقد درجت الناس على جعل الاطفال في هذا الوضع ؛ وضع المهرجين الذين خلقوا ليتحركوا وينشطوا ويتعلموا فيقهقه الآباء إعجاباً وسروراً . أما إذا أراد الطفل أن يفعل ما يريد . إذا رغب في أن يسر نفسه وليس الكبار . إذا شعر أن له أيضاً ميولاً يريد أن يتفقدها ويستجيب لها . فلا . انه في هذه الحالة يكون عاصياً . وليس يعدم الآباء حيلة في معاقبته على عصيانه وليس المؤلف مبالغاً في هذا أو متعسفاً فقد حصل أمامه بحرفه . وإليك التفصيل :

ذهب الكاتب لزيارة إحدى الأسر الراقية . وكان لها ابن في الثالثة

أو الرابعة من عمره . وقد حدث لسوء حظ هذا الطفل أو لحسنه أن كان قد تعلم أن يقلد بعض الرجال الذين اعتادوا زيارة هذه الأسرة تقليداً مضحكاً فكهاً يدل في الواقع على أنه قوي الملاحظة . أراد الأب أن يري الكاتب مهارة ابنه فى هذا الضرب من المحاكاة . ولكن الولد كان في دنيا غير هذه الدنيا . كان منهمكاً في تنضيد ألعابه وصفها إلى بعض . وكان هذا يستغرق كل ما يملك من انتباه وحس . أراده الوالد على أن يترك كل هذه ليهرج أمام الكبار ويسرهم ويضحكهم ويسليهم . وأراد الولد أمراً بخلاف هذا . فضل أن يظل بقرب ألعابه ليسر نفسه ويشبع أهواءه وميوله فما كان من الوالد إلا أن عاقبه على ذلك . ولما لامه الكاتب اجاب بقوله: «لا . اسكت . يحسن بالأطفال أن يطيعوا إذ يؤمرون » فقال الكاتب : « كلا . كلا . يحسن بهم أن لايكونوا سوى آلات صماء في أيدي الآباء لايفعلون غير ما يريدونهم أن يفعلوا» .

هذا نوع من التملك للأطفال لايترك لهم مجالاً لينموا ويكبروا . كأنهم ما خلقوا إلا ليسروا عن نفوسنا مللها وتبرمها بالحياة . أما الأطفال أنفسهم فيجب أن لايكون لهم رغائب وأهواء يسعون وراءها . ثم إن هناك ضرباً آخر من التملك يفسد على الأطفال حياتهم وينغص عليهم عيشهم . وذلك هو محبة والديهم لهم . وفي الحق أن المحبة التي هي أفضل العواطف الإنسانية وأسماها والتي تعتبر بحق من الغايات الكونية القصوى . هذه المحبة تكاد في حالات كثيرة تنقلب إلى حب التملك الذي هو في آخر مداه

نوع من حب النفس . وظاهرة هذا النوع من المحبة تتبين من علاقة الوالدين بأولادهم في حالات كثيرة .

فما دامت الأم مثلاً ترغب في تقبيل ولدها دلالة على حبها له يجب أن يكون الولد راغباً في ذلك أيضاً في نفس الوقت . ومتى شعرت الأم أنها تميل إلى التعبير عن ذلك الحب بقبلة يجب أن يتقبل الطفل ذلك بنفس رضية متهللة فرحة في جميع الأوقات . وبالاختصار يصر الوالدون على حب الأطفال والتعبير عن ذلك الحب بالطريقة التي تعجبهم هم بغض النظر عن ميول الطفل في ذلك الوقت وبغض النظر عن ظرفه الذي يعيش فيه . نحن لا نعترض على المحبة الوالدية ولكنا نعترض على زعم الوالدين أنه متى شعروا بضرورة شيء أو برغبتهم فيه يتبع ذلك حتماً أن يشعر الأطفال مثل هذا الشيء .

ثم إن محبة الوالدين للأولاد تكون في كثير من الحالات أو في أغلبها عبارة عن عاطفة صرفة ليس للعقل دخل فيها . والعاطفة من غير العقل عمياء وجاهلة ومتقلبة ومندفعة وشديدة الخطر . ولا يستطيع الانسان أن يوجهها وجهة معلومة بل نستطيع أن نقول إنها هي التي توجه الانسان إلى حيث تريد . فيصير مطية لها تقوده بزمام إلى حيث لا يمكنه ان يذهب فيما لو كان ينقاد للعقل . ولأن العاطفة قلب فهي لا تستقر على حال وتجدها تتحول من النقيض إلى النقيض في لمح البصر . فبعد أن كانت رقيقة كالنسيم تراها كالبركان ينفجر من هنا ومن هنالك وتصيب ماتصيب ومن تصيب من غير مبالاة أو ترو .

ولكم من مرة ترى الأم تسيل رقة وحناناً وعطفاً على ولدها في

وقت ما . ثم تثور عليه متى جن جنونها وتنهال عليه لكزاً . وذلك لأنها تتبع الغريزة والفطرة فقط في حبها وفى غضبها فهي تتبع الغريزة والفطرة فقط في كلتا الحالتين . وليست بمستطيعة ان تفعل غير هذا إذا ما اسلست قيادها كله للعاطفة من دون العقل والفكر . نقول إن هذا النوع من المحبة غريزي غير متأثر بحكم العقل والفكر . وهو مدعاة إلى الأسف الشديد . وبالطبع لسنا في حاجة كبيرة إلى تبيان ما في هذه الميول من الأخطار على تربية الأولاد الأخلاقية . تقول السيدة تيودور برني في هذا الصدد : « ينجم عن فكرة ملكية الأطفال كثير من الأخطاء في تربيتهم . أما لو تغلبت فكرة الوصاية عليهم على فكرة التملك هذه لأمكن أن ينالوا بعض الاحترام والتقدير الواجبين لهم . ولاستطاعوا أن يفهموا العدل على وجه أتم وأن ينجزوا دور الابوة والأمومة وحب الوطن . أما فكرة التملك فهي تغدق عليهم العواطف الحسنة حيناً لتنهال عليهم بالعقوبات الشديدة حيناً آخر » .

ونستطيع أن نقول إن إغداق العواطف الحسنة حيناً والإنهيال بالعقوبات حيناً آخرهما الطريقتان المتبعتان في مصر في هذا الزمان . أما القصد والاعتدال في الإثنين فليس لنا منهما نصيب كبير أو صغير . لسنا نقتصد ونعتدل في حبنا لاطفالنا أو في عقابنا لهم على السواء . لسنا نفهم للتوسط معنى . فإما هذا أو ذاك وليس غير .

وبينما نحن نتردد في اتباع الدكتور بنزيون لبير إلى آخر شوطه وذلك تبعاً للعرف والعادة أكثر من أي شيء آخر . إلا أننا لانذهب مذهب كثير من

العائلات في بلادنا في هذا الامر . إننا نميل لان نعتبر الولد حراً اكثر منه ملكاً لوالديه أو ما أشبه ذلك . حقاً ان بلادنا ملأى بأمثال استيفينس الذي كتبت عنه دوروثي كانفيلد في كتابها « The home Maksr » وإن أنسى لاأنسى ماقاساه استيفينس هذا من خيبة الأمل والتعاسة اللذين نتجا عن حب والدته له وغيرتها على صالحه المزعوم . ومع أن أمثال هذه الأم كثير إلا اننا لانستطيع ان نزعم أنهن لايحببن أطفالهن رغماً عما يقوم في أذهان الأطفال انفسهم أمثال استيفينس وأضرابه من التنكر لهذه المحبة .



الطفل وغريزة حب الاستطلاع

مما يدعو إلى كثير من الاطمئنان ، ويقوي أملنا في المستقبل ، أن أصبح الكثير منا يلقي على الطفل نظرة امتازت بالسمو من حيث غرضها ومعناها وامتلأت رغبة في إسعاد هذا المخلوق الصغير الذي لم تعره الأمم – من قبل – هذا الاهتمام الذي نحبوه به اليوم . كذلك نلاحظ أن اكثر الأمم تقدماً ورقياً ، هي أيضاً أسبقها في تقديم شئون الطفل على غيرها من الأمور . فلا أن يوجد هناك ما يدعو إلى ذلك . والحق أن لدى الطفل استعدادات طبيعية هي بمثابة كنوز تمتاز عن تلك الكنوز التي نسمع عنها ، بما يجري فيها من حياة ، وما ينبعث منها من نور . لذا وجب استغلال هذه الاستعدادات الطبيعية ، لأنها هي السلاح الوحيد الذي سيعاون الطفل على قهر صعوبات الحياة – التي هي بلا شك – في انتظاره يوماً من الأيام . ولا يخفى على انسان أن الطفل يأتي إلى هذا العالم جاهلاً بكل ما فيه ، لا يعلم من أمر مفاجآته شيئاً . وقد فرض عليه في الوقت نفسه أن يعيش فيه ، فمن الطبيعي وجب أن تخلق بين الطفل وهذا العالم صلة تعارف متينة . ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ هل هناك وسيلة توءهل الطفل ، وتساعد القائم على تربيته ، على تحقيق هذه الغاية ؟ في الواقع أن الطبيعة نفسها منحت الطفل كل ما قد يحتاج اليه في هذه الحياة . فقط على المربي أن يتلمس الطرق الصحيحة لينير للطفل ظلمته ، ويهيئ الفرص له . فمثلاً تجد أن الطبيعة قد منحت الطفل غريزة التشوق إلى

معرفة كل ما يقع عليه بصره وما تلمسه يداه وما تسمعه أذناه . وباختصار نلاحظ أن حواسه من سمع وبصر الخ ، هي التي تزيد تشوقه إلى معرفة كل شيء . كما أن هذه الحواس نفسها هي التي تشبع هذا التشوق إلى المعرفة . وهذا ما يسمى عادة بغريزة حب الاستطلاع .

كثيراً ما تظهر على بعضنا علامات الاستياء ، إذا طلب الطفل منا ان يمسك الشيء بنفسه ويلمسه بيده – عدة مرات . ولكن دعنا نفهم غرضه أولاً قبل أن نستاء . إن غرضه الوحيد والعامل الذي يدفعه إلى عمله هذا هو حب المعرفة واشتياقه إلى فهم الغامض عليه – وبما أن قواه العقلية في هذه السن الصغيرة لا يمكنها الاقناع بالشرح المنطقي فقط . لذلك يضطر إلى إمساك الشيء ولمسه بنفسه وبذا يروي غريزة حب الاستطلاع . وتكون النتيجة اضافة شيء جديد إلى قاموس علمه الصغير . وبإرضائه هذه الغريزة تهيء الفرص نفسها لتمرين الحواس التي يضطر الطفل إلى استخدامها في سبيل الوصول إلى غرضه . ومن هنا يجب علينا أن نشجع الطفل على السؤال ولمس الأشياء إذا أمكن . فيمسكها بيده – إن لم يكن هناك ضرر من ذلك ، حتى تأخذ معلوماته عن هذا العالم الذي يحيط به في الزيادة . وفي ذلك تمرين وتنشيط لقواه العقلية . ذلك بسبب أسئلته العديدة لنا . ثم فهمه لاجابتنا عنها . ولكن كيف السبيل إلى تشجيع الطفل في هذا الطريق والعمل على أن نجعله يشتاق من تلقاء نفسه إلى معرفة كل ما يجب أن يلم به ؟

اولاً – يجب أن تكون هناك صلة كبيرة بين الطفل والأشخاص المحيطين به والمتعهدين بتربيته حتى لا يتردد في الالتجاء إليهم وسؤالهم عند الحاجة . وطبعاً إيجاد أو خلق هذه الثقة ، هو من عمل المربي . والمقصود هنا بالمربي هو كل شخص يهمه أمر

الطفل ، وليس فقط المدرس أو المدرسة كما يعتقد الكثير . فلكي توجد هذه النقطة الأساسية ، وهي ثقة الطفل في المربي ، يجب عند ما يسأل الطفل عن شيء أن يقنعه المربي بمعلومات صحيحة ، لاشيء فيها ولا إبهام ، ويشرحها له بطريقة تناسب العقل الصغير ، وبمعنى آخر ، يجب أن ينزل المربي بعقله الكبير ، عدة درجات ، ليلتقي بعقل الطفل الصغير ، وهنا يتفاهم الاثنان ، فينجح كل منهما في الوصول إلى غايته ، مما يستلزم مجهوداً ليس بالهين على الكثير منا . إنما الذي يشجعنا على القيام به والإقدام عليه هو ما يتخلله من غرض سام بالنسبة للطفل ، وسعادة غالبة للمربي والطفل معاً .

أحياناً يسألنا الطفل عن شيء ، وقد لانعلم الكفاية عن حقيقته . فما العمل إذاً ؟ وما الموقف الذي يجب أن نقفه إزاء هذا الطفل ؟ هل نعترف له بالحقيقة ؟ أم نحاول الاجابة ؟ لقد سبق القول إنه إذا سألنا الطفل عن شيء ، وجب إقناعه بمعلومات صحيحة بطريقة يقبلها عقله . وبما أننا لا نعرف الكفاية لاقناعه ، فمن الخطأ ، بل من الخطر أيضاً ، أن نحاول الاجابة عن سؤاله ، إذ فضلاً عن أننا سنضلله لأننا لانعرف الكفاية ، ونتظاهر أننا نعرف الكثير ، فإن هذا العمل سيحمل الطفل حتماً على الشك في أقوالنا إذ أنه عاجلاً أو آجلاً سيعلم حقيقة أمر الشيء الذي سبق ان سألنا عنه وسيجده مخالفاً لاجابتنا عنه . وعلى ذلك يتكون عند الطفل اعتقاد بأننا لسنا أهلاً لامداده بما يشبعه من معلومات صحيحة . فتقل ثقته فينا شيئاً فشيئاً . وزيادة على ذلك تنشأ عنده بمرور الأعوام القليلة عاطفة استهزاء بنا وعدم تقدير لكلامنا . وبالاختصار يعتقد انه أصبح في غنى عنا قبل الأوان فنحزن نحن لذلك ، ولو فكرنا في الأمر

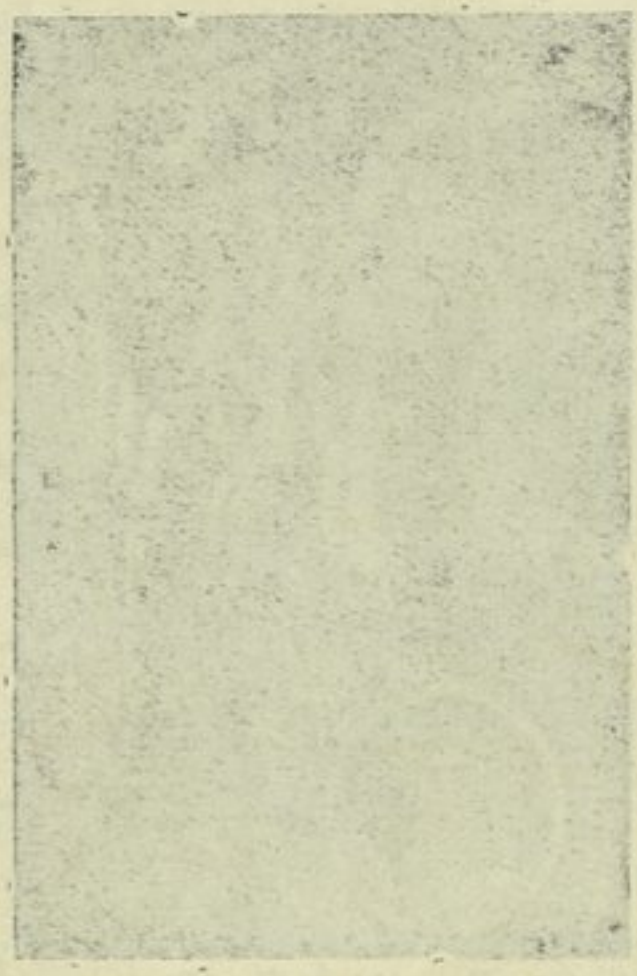
لادركنا أننا جنينا على أنفسنا بأيدينا وقد كان الاوفق أن نقر للطفل ، ونعترف له بصراحة ، اننا لا يمكننا الاجابة عن هذا السوءال . ولكن لكي نقوم بالواجب علينا نحوه يجب أن نعده بأننا سنبحث الموضوع . ثم نعود إليه فنشرحه له ، ومتى وعدنا فيجب ألا ننسى أننا فرضنا على انفسنا التنفيذ وإلا سقطنا في عين الطفل وخسرنا ثقته فينا بل وخسرناه هو ايضاً . فضلاً عن انه سيقلدنا في عدم الوفاء بالوعد وهي عادة يقاسي ضررها كثير منا . لكن إذا كان الطفل يستطيع القراءة كان الأفضل أن نطلب منه البحث بنفسه ثم يأتي الينا بالمعلومات الجديدة فيشرحها لنا . إذ في هذه الطريقة تهذيب عظيم له ، وتمرين على الاعتماد على نفسه فضلاً عن زيادة ثقته بنفسه .

كذلك من ضمن الوسائل التي تشجع وتساعد الطفل على الاستفادة من غريزة حب الاستطلاع هو أن نهيء له الفرص فندعوه للاشتراك في رحلاتنا حيث يجد الكثير مما يلفت نظره ويحمله على السوءال فنستفيد باتساع دائرة معلوماته ، وباتساع دائرة معلوماته يسهل عليه القيام بواجباته لأن من فوائدها تنشيط القوى الفكرية التي ستقوم حينذاك بما يطلب منها خير قيام وعلى وجه السرعة .

أظنكم تتفقون معي في هذا وهو أننا كثيراً ما نلاحظ أن درجة ميل الطفل للاشخاص الموجودين معه في نفس البيت تتفاوت مما يسبب الدهشة لذلك . ولكن هل فكر هؤلاء الأشخاص في الدافع الذي حمل الطفل على تفضيل هذا الشخص على غيره من الأشخاص ؟ على أنه أحياناً قد لا يكون من أقرب الناس إليه ، ولكن مع كل هذا ، يلجأ إليه للاستفادة عما يكون قد رآه أو سمعه من امور صعب



حب الاستطلاع



عليه إدراكها . وهنا نتساءل لماذا يخص الطفل هذا الشخص بالاستفهام ؟ ولا يلجأ إلى أحد الأشخاص الموجودين معه في نفس المنزل ليستفهم منهم عما يريد معرفته ؟ الجواب عن ذلك هو أن هذا الشخص الذي امتاز عن باقي من بالمنزل بميل الطفل : كان يظهر له اهتمامه بكل ما يتحدث به إليه ، وكذا إعجابه حتى بأبسط ما يبذله من مجهود . هذا فضلاً عن عطفه عليه وتقديره لشعوره بدلاً من عدم الاكتراث له والالتفات إليه . هذه الأمور المتقدمة كلها هي التي كانت سبباً في اتجاه الطفل إلى هذا الشخص والاستفهام منه عن كل ما تدفعه إليه غريزة حب الاستطلاع ، ويا حبذا لو اجتهد باقي الأشخاص المحيطين بالطفل على أن يتمتعوا بنفس هذا الامتياز بأن يلجأ اليهم كلما شعر بانه في حاجة إلى معرفة شيء تعذر عليه إدراكه وبذلك يستفيد من غريزة حب الاستطلاع .

زكية عزيز

تأثير البيئة في الناشئين

يريد علم التربية تهيئة شخصيات بشرية تقدر على خوض معترك الحياة والقيام بالواجب في الحياة الاجتماعية والقومية وتستطيع خدمة الحضارة الإنسانية . وهو يبحث لذلك في الأساليب والوسائل اللازمة لتعليم الناشئة وتثقيفها ويفتش عن أحسن الطرق للتأثير في هذه الكائنات الصغيرة ، الغريبة التطور ، السريعة النمو التي نسميها الأطفال والاحداث والشباب وتجهيزها بالمعلومات والملكات الضرورية لتستطيع مجابهة ما ينتظرها من المهمات ، والتغلب على ما يعترضها من العقبات . وقد أدى البحث إلى أن هذه الكائنات الناشئة ليست من البساطة بقدر ما يتبادر إلى الاذهان لاول وهلة وان التأثير فيها ليس من الامور السهلة وأن التربية لا يمكنها ، لهذه الاسباب ، تحقيق أهدافها الا بعد جهود عظيمة تصرفها في مشاهدة هذه الكائنات ودراستها ومعرفة طبيعتها والعوامل المختلفة المؤثرة فيها والقوانين المسيطرة عليها ثم التفكير في الوسائل اللازمة لمجاراة هذه الطبيعة ومراعاة قوانينها واستخدام العوامل المتصلة بها أو مقاومتها وأخيراً العمل بما ينبغي من المهارة والدقة والتؤدة حسب ما نتوصل إليه بعد تلك المعرفة وهذا التفكير من الحقائق وبعد القيام بالتجاريب والاختبارات والتمارين الكثيرة الضرورية .

إن الأسس التي يجب على علم التربية أن يستند إليها قبل الوصول إلى هذه الغاية فيمكن تلخيصها ضمن ثلاثة أركان اصلية هي :

(١) الأُسس الحياتية من تكوين الجسم وظائفه وقواعد نموه والأطوار التي يجتازها والحالات غير الطبيعية التي تعرض عليه .

(٢) الأُسس النفسية لتكوين الحواس والشعور ومختلف القوى النفسية ومظاهرها وقوانينها وما يحدث فيها من تطور وما يطرأ عليها من تقلبات .

(٣) الأُسس الاجتماعية مثل علاقة التربية بالأُسرة والدولة والطبقات الاجتماعية والطوائف الدينية وغير ذلك .

وموضوعنا في هذا البحث يتعلق بالاسس الاجتماعية للتربية ويدور حول البيئة ، كعامل اجتماعي ، وتأثيرها في تطور الناشئين .

استعمل مفهوم البيئة كاصطلاح علمي قبل كل شيء في علم الحياة عندما بدأ رجال هذا العلم يقومون بالمحاولات الأولى لتأسيس نظرية التطور الحديثة . وكان لامارك (١٨٤٤ - ١٨٢٩) ، وهو أول من بحث في هذه النظرية بحثاً علمياً ، يعتقد أن البيئة قادرة على تكوين أنواع جديدة من الكائنات الحية وذلك بمساعدتها على استخدام عضو أو جزء من عضو أو على إهماله ، وبالتالي بتأثيرها في نموه وتكامله أو تحويره أو في تأخره وضموره ثم تلاشيه بعد أجيال كثيرة . هكذا أصبح للزرافة ، على رأيه ، عنق طويل لاضطرارها إلى تناول أوراق الاشجار من ارتفاع متزايد .

ورغم ما جاء به داروين بعد ذلك من البراهين على نقض هذه النظرية فقد عاد إلى الاخذ بها كثير من العلماء الى ما قبل زمن قريب . فكان هؤلاء يقولون : إن تكوين عيون المغول نتيجة لمؤالفة شروط الصحراء التي

يعيشون فيها ؛ وإن السبب في قصر أعناق التاتار يرجع إلى اعتيادهم اخفاء رؤوسهم بين الاكتاف لاتقاء شدة البرد ؛ وان الشعوب التي تعيش في بلاد معرضة للرياح الشديدة والثلوج العاصفة تصبح عيونهم صغيرة ، خوصاء وحواجبهم كثيفة ، ضخمة ؛ وان الخيول العربية التي نقلت الى « نيوجرسي » قد ازدادت خواصرها ضخامة تحت تأثير البيئة الجديدة .

على أن مثل هذه التبدلات المهمة نادرة من جهة ، وهي من جهة أخرى لم تدرس بالدقة اللازمة لتعرف كافة العوامل المشتركة في تكوينها . والعلماء الحديثون يفضلون ، عند تعليلها ، نظرية (داروين) في الاصطفاء الطبيعي على نظرية (لامارك) في مؤالفة البيئة .

ولكن ليس معنى ذلك أن علم الحياة في الوقت الحاضر ينكر تأثير البيئة ، بل هو يعترف أن لهذا التأثير قسطاً كبيراً في تكوين الصفات الخاصة لكل نوع من الأنواع .

يخضع الإنسان ايضاً ، بصفته أحد الأنواع في عالم الحيوان ، لقانون التطور وتأثير البيئة . والفروق الظاهرة بين انسان وآخر تابعة في الاكثر الى تأثير البيئة . وانما لا نستطيع القول ان هذه الصفة من صفات الانسان ناتجة من المواهب الفطرية وان تلك ترجع الى تأثير البيئة . لانه من الضروري اشتراك المواهب الفطرية والبيئة معاً في نشأة كل صفة بارزة . والوراثة لا تنقل المميزات البارزة ، « المستحكمة » بل هي تقتصر على كيفية القيام بالافعال العكسية أي أن ما يتوارث ليس سوى طريقه الجواب على الحوافز الخارجية .

ولهذا لا يمكن أن تنكشف المواهب والاستعدادات الفكرية دون تأثير الحوافز الخارجية أو بتغيير آخر : دون اشتراك عمل البيئة . فيجب أن تصادف الموهبة الوراثية عاملا ملائماً لها في البيئة يؤثر فيها حتى تنشأ من ذلك صفة بارزة .

بالاستناد إلى ذلك نقول إن الجدال الذي كان يدور منذ القديم حول السؤال عن العوامل الاصلية في تكوين الخلق ، هل هي ترجع الى البيئة أو إلى الوراثة ، لم يكن في محله . فانه من الضروري اشتراك المجموعتين من العوامل وليس هناك اليوم اختلاف الا في معرفة كيفية الاشتراك في التأثير بين عوامل الوراثة وعوامل البيئة وتحديد أهمية كل واحدة من المجموعتين في كل حالة من الحالات .

إن الظواهر تدل على وجود عناصر في الشخصية الانسانية خاضعة لتأثير البيئة اكثر من غيرها . فاننا نرى جميع الأفراد من العرق الواحد يتشابهون في الخطوط الاساسية للتكوين الجسمي بينما هم يختلفون كثيراً ، حسبما يظهر ، في الصفات النفسية — الفكرية تحت تأثير اختلاف البيئات .

والتربية ، بالمعنى الثقافي ، إنما تستند إلى المشاهدات والتجاريب التي تثبت سهولة التأثير على الافعال والوظائف النفسية . الفكرية . ومن المحقق ان الطبقات النفسية المتصلة مباشرة بالحياة العضوية مثل الميول الطبيعية من غذائية وجنسية ، أشد مقاومة للتأثير الخارجي من الميول النفسية « العالية » الخاصة بالانسان . وهل إن ما نسميه ذاكرة سوى اكتساب صفات ومميزات جديدة تحت تأثير البيئة وهل التعليم شيء آخر غير الاقتباس من تأثيرات البيئة ؟

ثم إن الافراد يختلفون في درجة قابليتهم للتأثير . فالإناث بصورة عامة اكثر استعداداً من الذكور للتأثر من البيئة . وكذلك الحال مع الاطفال بالنسبة للكبار ، والضعاف بالنسبة للاقوياء . ومن أقرب الاحتمالات أن كل طور من أطوار العمر يمتاز بشدة التأثر في ناحية خاصة : الطور الطفولي الأولي مثلاً في الناحية اللغوية وطور المراهقة في الناحية الدينية والبديعية و (بالطبع) الجنسية . وهكذا نرى أن بعض العوامل التي لا تحدث أي تأثير في طفل ، وهو الحادية عشرة من عمره ، يمكن أن تطبع ، هي نفسها ، أخلاق هذا الطفل وتعيين اتجاه حياته المستقبلة إذا تعرض لها بعد سنة واحدة ، عند دخوله سن البلوغ .

ومن المهم في هذا البحث تحديد مفهوم البيئة ومعرفة مقدار شموله . فإنه عندما نذكر البيئة نقصد أحياناً كل ما يحيط بالكائنات الحية من العوامل سواء كانت تؤثر فيها أم لا ؛ وأحياناً نقتصر على العوامل المؤثرة ولكن دون أن ننظر فيما اذا كانت تدخل في نطاق الشعور أو لا تدخل . ولنضرب مثلاً لذلك المحيط الجغرافي بالنسبة الى الانسان . فان القطعة الارضية التي يعيش فيها تشتمل على عناصر كثيرة مثل تكوين الارض ونوع تربتها ثم المناخ وما يتعلق به من رطوبة وجفاف وما يحدث فيه من تقلبات وغير ذلك ثم الماء ثم النباتات والحيوانات والخ . إن كثيراً من هذه العناصر يؤثر في الانسان سواء من الوجهة العضوية او النفسية . ولكن هناك ايضاً قسماً كبيراً لا تأثير له عليه . ثم اذا اقتصرنا على العناصر المؤثرة نرى أن الانسان يشعر بتأثير البعض منها دون الآخر فهو عندما يقف لمشاهدة هذه الارض ويلاحظ حالات

الجو المتقلبة ويتأمل المناظر المختلفة ويتمتع بجمال الطبيعة فيهـا فإن شعوره يشتمل على مجموعة من العناصر التي يمكن أن نسميها «البيئة الشعورية» . ومن الواضح ان هناك كثيراً من العناصر التي يمكن أن نسميها «البيئة الشعورية» . ومن الواضح ان هناك كثيراً من العناصر المهمة لم تدخل في هـذه المجموعة رغم تأثيرها العظيم في حيـاة الانسان وتكوين خلقه مثل المناخ الذي لا يدركه بالشعور .

ان هناك علاقة قوية بين «البيئة المؤثرة» وبين «البيئة الشعورية» . فاننا من جهـة ، نلاحظ أن عناصر البيئـة الشعورية ليست سوى جزء من «البيئة المؤثرة» ولكننا ، من جهة ثانيـة ، نشاهد أن تلك العناصر الشعورية تستطيع بدورها أن تحدث تأثيرات عظيمة في تكوين الخلق وفي مجرى الحياة بصورة تتعارض مع عناصر «البيئة المؤثرة» الأصليـة وتعدل من تأثيرها . مثـال ذلك : الشعور باضرار عوامـل البيئة المؤثرة والقيـام على أثر ذلك لمكافحتها وإزالة تأثيرها .

ولا شك في أن كميـة العناصر التي تدخل في مفهوم البيئـة المؤثرة وأنواعها تختلف باختلاف الشخص الذي يتعرض لتأثير هـذه البيئة . وذلك لأن هذه العناصر ليست جميعها خاضعة للقوى الخارجية بل إن قسماً منها ناشىء عن احتياجات الشخص المتأثر وميوله واستعداداته . وهكذا تختلف بيئة البنات عن بيئة الصبيان بسبب الاختلاف الوراثي في الظروف الحياتية وفي الاهداف والقابليات . وكذلك تختلف بيئـة طفل موهوب نابه ، عن بيئـة طفل أبله ، خامل . واخيراً يمكن أن تتبدل العناصر المؤثرة في البيئـة نفسها إذا تطور

الشخص المتأثر وصار مستعداً لقبول تأثيرات كانت قبلاً موجودة دون أن يتأثر بها .

إن مفهوم البيئة يلعب دوراً هاماً في علم التربيـة أيضاً كما في علم الحياة وفي مختلف العلوم الاجتماعية . فإن النظريات التي تقوم عليها التربية تستند في الدرجة الاولى إلى إمكان التأثير في الانسان من الخارج أي إلى قابلية التأثر من البيئة . ولولا الاعتقاد بامكان هذا التأثير لما كان للتربية أي معنى .

من واجب المربي أن يدرس كيفية تأثير البيئة في الناشئين ليستفيد من ذلك في معرفة الوسائل والطرق اللازمة للوصول إلى تحقيق أهدافه التربيوية . ولكن من الضروري ايضاً أن يترك البحث في مفهوم البيئـة العام بالمعنى الطبيعي ثم بالمعنى الاجتماعي إلى أرباب الاختصاص في علم الحيـاة والعلوم الاجتماعية ، مع الاستفادة من نتائج مباحثهم ، وأن يحصر هو اهتمامـه وجهوده حول مفهوم البيئة الخاص الذي يتكون لديه عندما يلاحظ الناشئين ويدقق كيفية معيشتهم والظروف المحيطة بهم والعوامل التي تؤثر فيهم بالبيت وبين الرفاق وفي المدرسة — والتي لها علاقة بالعمل الذي أخذ على نفسه القيام به في سبيلهم .

هذه البيئة الخاصة ، التي إنما تؤلف جزءاً من مفهوم البيئة العام ، يمكن تسميتها «بالبيئة التربيوية» .

وينبغي هنا الملاحظة بان هذا المفهوم الضيق لم ينتقل من علم الحياة الى علم التربية ، بل إن تطور أساليب التربية نفسها قـد ادى الى الاهتمام بالمحيط الذي يعيش فيـه الناشئون والى البحث في الفوارق بين محيط المدرسة وبين

محيط الأسرة وتأثير كل منهما في تكوين شخصية الناشئين وأخلاقهم . ومن المعلوم أن هذه الفروق لم تظهر إلا بعد الانقلاب الذي حدث في أساليب التربية بالأزمة الأخيرة . فقد كانت التربية المدرسية من قبل لا تختلف كثيراً عن التربية البيتية ، ولذلك لم يكن رجال التربية القديمة يشعرون بأن لكل بيئة تأثيراً خاصاً . ولكن لما نشأت النظريات التربيوية الحديثة وظهرت آثارها في التربية المدرسية وأخذت المدارس تقطع اشواطاً كبيرة في طريق الاصلاح ، بينما التربية البيتية ظلت بصورة عامة ، متأخرة لم يحدث فيها إلا القليل من الاصلاحات التي اقتصرت ، فوق هذا ، على بعض الطبقات الاجتماعية دون الاخرى – عند ذلك بدأ رجال التربية يلاحظون تأثير البيئة وأصبح موضوع البيئة لديهم في مقدمة المسائل التي تسترعي الاهتمام وتتطلب البحث . ولا شك في أن الفروق الكبيرة التي نشأت بين مختلف الطبقات الاجتماعية بسبب الثورة الصناعية في اوروبا منذ أوائل القرن التاسع عشر قد جعلت رجال التربية ينتبهون بسهولة إلى اختلاف البيئات ويبحثون في التباعد المتزايد بين المدرسة والبيت ثم يتساءلون عن مهمة التربية تجاه التضارب الحاصل بين بيئة الناشىء وبين أساليب المدرسة ومطاليبها وأهدافها . وما زالت الاصوات ترتفع بالشكوى بين المدرسين في البلدان الشرقية منذ سنين كثيرة بان نقص التربية البيتية واهمال اكثر الوالدين لاولادهم (وهم خارج المدرسة) يفسد عليهم ثمرة جهودهم داخل المدرسة .

إن واجب علم التربية هنا هو اولاً : دراسة بيئة الناشئين خارج المدرسة ومعرفة ما هنالك من فروق بين البيئات المتعددة وما تمتاز به كل واحدة من

صفات خاصة وما يشوبها من نقائص اقتصادية وصحية وأخلاقية ثم ثانياً : الاستفادة من هذه الدراسة في بحث النظريات التربيوية وفي وضع الاساليب والخطط العملية .

واهم النواحي التي تحتاج الى الدرس والبحث هي :

(١) الفرق بين بيئة المدن وبيئة القرى بالنسبة للناشئين . فان الفرق بين البيئتين له تأثير كبير في اختلاف تطور اولاد المدن واولاد القرى من الناحية النفسية والعقلية والاخلاقية والاجتماعية حتى أصبح من الضروري أن يكون للناشئين في المدن كتب وطرق تعليمية وأساليب تربيوية خاصة بهم . وكذلك للناشئين في القرى ..

(٢) «البيئة البيتية» لدى الطبقات الفقيرة التي يؤدي سوء حالتها الاقتصادية إلى نتائج وخيمة تفسد عمل التربية ، اذا لم تجعله مستحيلا من بادىء الامر ، مثل : قلة الغذاء وما ينشأ عنه من ضعف البنية واضطراب الحالة النفسية ؛ ثم الاضطرار الى استخدام الاولاد الصغار في كثير من الأعمال سواء في البيت أو خارج البيت مما يمنعهم عن الانصراف الى الواجبات المدرسية والقيام بها كما ينبغي ؛ ثم فقدان المكان والوسائل اللازمة للمطالعة والاستراحة واللعب ؛ ثم عجز الوالدين عن العناية باولادهم وتركهم يتشردون في الازقة والمحلات المشبوهة فتفسد أخلاقهم وينتشر الاجرام بينهم والخ ...

(٣) نظام الاسرة وتطوره وما لذلك من التأثير في بيئة الناشئين العائلية مثل تأثير عدد الاولاد في الاسرة وعلاقة الابوين احدهما مع الآخر ثم صلة كل منهما بالاولاد وغير ذلك وقد اظهرت المدارس المختلفة في التحليل

النفسي ، مثل مدرسة (فرويد) و (يونغ) و (آدلر) إن هذه العلاقات العائلية متنوعة ، مركبة جداً وعميقة الأثر ...

إن هذه النواحي المختلفة لموضوع بيئة الناشئين لا تزال تشغل الباحثين من علماء النفس والتربية والاجتماع ومن أطباء ومدرسين . وقد كثرت المباحث وتنوعت حتى صار البعض يطلبون تنسيقها في علم خاص يسمى « علم البيئة التربيوية » يعتبر فرعاً من علم التربية العامة .

التعاون فى تربية الطفل

بين المدرسة والمنزل (١)

من مظاهر التربية الحديثة أن التعاون في المدرسة يجب أن يحل بالتدريج محل المنافسة ، وأن المدرسة والمنزل يجب أن يعملا يداً بيد في سبيل تربية الطفل تربية يصلح بها للحياة التي تنتظره ، تربية اجتماعية كاملة ، بحيث يتعود التعاون مع غيره من الصغر ، حتى يستطيع أن يقوم بأعمال جليلة في الكبر . قد لا يستطيع الآباء في المنزل أن يروا الغرض من الحياة أو معنى الحياة ، وقد يكونون محبين لأنفسهم ، يأخذون ولا يعطون . وهنا تبدو الحاجة إلى المدرسة ، فإنها تأخذ وتعطي ، وتدرك معنى الحياة ، وتستطيع القيام بمساعدة المنزل في تربية الطفل تربية عملية علمية صحية ، تتفق والبيئة التي ينسب إليها .

وأحسن الوسائل التي بها يستطيع المنزل والمدرسة معاً إعداد الطفل للحياة الكاملة هي :

(١) العناية بالدور الأول من الحياة وهو دور الطفولة ، فإنه هو الأساس الذي يبنى عليه مستقبل الطفل وحياته . ولقد بلغت بالإنكليز العناية بالطفل لدرجة أنهم يفكرون فيه حتى قبل أن يولد بخمسين سنة على الأقل ، فالطبقة الراقية منهم تفكر في أثر الوراثة ، فلا يتزوج أحد من هذه الطبقة بمن به أو بها مرض من

---

(١) من كتاب « نظام التعليم في انكلترا » تحت الطبع .

الأمراض العقلية أو العصبية أو الرئوية ، خوفاً من التسبب في ايجاد طفل معتوه أو مجنون أو مستعد للسل مثلاً .

(٢) أن يعطى الطفل حرية كبيرة لتنمية مواهبه وقواه التي تعد هبة للحياة الاجتماعية ، ولا نقصد بذلك أن ندع الطفل يفعل كل ما يشاء ، بل نعطيه فرصة في أن يعمل ويجرب ، ونراقبه عن بعد حتى يظهر خطؤه ، وندعه يحاول إصلاحه بنفسه ، ونساعده عند الحاجة ، ونعمل على أن يعرف نفسه ، ويعتاد ضبط شعوره وعواطفه ، والصبر ، والتجربة والمثابرة ، والتفكير في الجماعة ، وفي روح الجماعة ، بحيث نضحي في سبيله بكل شيء آخر ، فلا نفكر إلا في الطفل وفي تقويمه وتهذيبه ليكون المثل الأعلى في الحياة

(٣) الاهتمام بالألعاب الرياضية ؛ فإنها أحسن وسيلة لتقويم خلق الطفل وتقوية جسمه ؛ بها نبث فيه حب العمل والتفكير لا في نفسه بل في الفرقة التي يشترك فيها ، وبذلك نميت فيه ذلك المرض النفسي : مرض حب الذات والتفكير في النفس ليس غير .

(٤) الحاجة إلى معرفة أن الطفل يحتاج أحياناً إلى الهدوء والصمت .

(٥) العمل على الإصلاح دائماً . والتفاهم بالمحادثة الودية خير طريقة للعلاج والإصلاح . وإن المراقبة في دور البلوغ ، والمراهقة واجبة ، لأن هذا الدور أكثر أدوار الحياة خطراً .

(٦) العناية بالفنون والأعمال اليدوية كوسيلة للنمو العقلي والخلقي وكسب المهارة .

(٧) يجب أن يتم التعاون بين المدرسة والمنزل ، للوصول بالطفل إلى الكمال .

فإذا لم يكن هناك تعاون بينهما فمن المحال أن نصل إلى الغرض الأسمى من التربية .

وفي الأمم المتمدينة ، وبخاصة انكلترا والولايات المتحدة بأمريكا تجد الثقة متبادلة بين المدرسة والمنزل ، والرابطة بينهما كبيرة ، يتعاون كل منهما على تثقيف الطفل وإفادته ، فليست المدرسة في واد والمنزل في آخر . وإني آسف لأن أقول إن المدرسة وحدها في بلادنا هي التي تجاهد منفردة في سبيل تربية الطفل ؛ فالمنزل في الغالب منفصل عنها كل الانفصال ، وقد يهدم ما تبنيه أحياناً . ولا سبب لذلك إلا انتشار الجهل والأمية وحبذا الأمر لو قامت المدرسة بدعوة المتعلمين من الآباء في وقت معين كل ثلاثة أشهر مثلاً للتفاهم والبحث معهم في الأمور التي تتعلق بشؤون الأطفال ، والنظر في أحوال التعليم ، ومستقبل التلاميذ ، والعمل على رفع مستواهم العلمي والخلقي والصحي والاجتماعي .

وفي (نيويورك) مثلاً تجد المدرسة تعمل على التقريب بينهـا وبين المنزل ؛ فالآباء في الولايات المتحدة بأمريكا أعضاء عاملون في الحياة المدرسية يذهبون إلى المحاضرات العامة التي تلقى في المدرسة ، ويشتركون في مناظراتها ، ويساعدون في مقاصدها ، ويعاونون في محافلها الاجتماعية .

وبأمريكا الآن جمعيات للآباء والمدرسين في كل مكان تلقي فيها محاضرات عن : أعمال المدرسة ، والغرض من المدرسة ، والطفل ، ونفسيته ، وتربيته ، ومعاملته .

والكل يفكر في الطفل ثقة بأن طفل اليوم هو رجل الغد ، وأثر التربية اليوم يظهر في الغد ، وما تزرعه اليوم تجني ثماره غداً . وإن غداً لناظره قريب . والوسيلة الوحيدة لإصلاح الجيل المقبل وترقيته هي العناية بالجيل الحاضر . فإذا عنينا بأطفال

اليوم وتربيتهم تربية صالحة في المدرسة والمنزل ، والملعب ، انتظرنا ثمرة طيبة وشعباً راقياً في المستقبل .

وفي مدارس الأطفال في (وِنِتْكا) بأمريكا يشترط لقبول التلاميذ أن يقبل الآباء معاونة المدرسة والاشتراك مع موظفيها في العمل ، وبغير ذلك لا تقبل الأطفال . وفي إنكلترا قد بذلت جهود كبيرة في السنوات العشر الماضية للتوحيد بين هذين العاملين : المدرسة والمنزل ، وتوثيق عرى الرابطة بينهما . ولقد نجحت هذه المجهودات وأصبح الآباء يعنون بأمور التعليم ، يسترشدون برأي المدرسة ، ويستعيرون من مكتبتها إذا شاءوا ، ويدعون للمجتمعات الموسيقية والتمثيلية والرياضية لكي يروا أبناءهم يغنون أو يمثلون أو يلعبون ، ويشاهدوهم كرجال يقومون خير القيام بكثير من الأعمال من إدارة مطعم ، وتنظيف فصول ، وتنظيم حديقة ، ومراقبة ألعاب رياضية ، وإدارة مكتبات ، وتوزيع الأدوات وجمعها بعد الانتهاء منها ، وإصلاح كل ما يحتاج إلى الاصلاح في المدرسة . فالطفل عضو عامل في المدرسة يعوّد من صغره الاعتماد على نفسه ، والاستعداد للحياة العملية العالمية باشتراكه مع رفقائه في الفصل والمعمل والمصنع والمحفل والملعب الرياضي .

وفي المنزل يجد الطفل الانكليزي مدرسة أخرى صغيرة ؛ فالبيئة علمية ، والجو علمي ؛ أم تعلمه ، وأب يرشده ، وخادم تقرأ له . فالكل يفكر فيه صباحاً ومساء . في الصباح يأتي الطفل إلى أمه بالصحيفة اليومية فتقرأ له الجزء الخاص به من الصحيفة عن الفيل والنمر مثلاً ، فيعرف ما تم من أمرهما . ثم تقطع له هذا الجزء فيضعه بين كتبه الخاصة ، في حجرته الخاصة بكتبه ولعبه ، وفي الساعة السابعة مساء يتناول كوباً من اللبن أو فنجاناً من المرق بعد الاستحمام ، ثم تأخذه إلى فراشه ،

وتقرأ له بعض الحكايات السارة ، وتنشده شعر الطفولة ، وتغني له بعض الأغاني بصوت هادئ جميل حتى ينام ، فتتركه إلى الصباح .

وترحب المدرسة الانكليزية بالآباء ، وتريهم الأعمال التي يقوم بها أولادهم فيها ، وتعمل على إيجاد روح التعاون بينها وبين المنزل .

والمدرس الحازم يستطيع أن يساعد الآباء في معرفة أن الحياة لا تقصد طفلاً واحداً ، أو أسرة واحدة ، أو مدرسة واحدة ليس غير ، بل تقصد المجتمع الذي ينسب إليه الفرد ، والذي يجب أن يقوم الكل بواجبه نحوه ؛ حتى تزول الأسرة التي تظهر في بعض الآباء الذين لا يفكرون إلا في أبنائهم وبناتهم . فالمدرسة تستطيع بمعاضدة المنزل أن تقوم بجلائل الأعمال نحو الأخلاق والإنسانية وتحسين المستوى الصحي والاجتماعي والعلمي والخلقي . ولسنا في حاجة إلى تكرار القول بأن التعاون بين المدرسة والمنزل هو الوسيلة الوحيدة لنجاح التعليم . وبالمنتديات يمكن الجمع بين الآباء والمدرسين لاستماع روايات أو مناظرات مثلاً يقوم بها الطلبة والمدرسون ، وبهذه الطريقة تتم الرابطة ، ويلم الشعث ، ويعمل الجميع لإسعاد الطفل وتربيته تربية حسنة .

ولقد أوحت روح (بستالوتزي) إلى المدرسين بأن يكسبوا تقدير الآباء ، فإن هذا التقدير هو العامل الأول لنجاح الإدارة المدرسية ، وإن كانت المدرسة في حاجة فإنها في حاجة إلى مساعدة المنزل ؛ فالمدرسة هي التي تتسلم البضاعة التالفة ؛ يأتي الطفل إليها يتكلم لغة غير لغتها ، ويتخلق بأخلاق سيئة ، وحينئذ نجد عمل المدرسة مضاعفاً فتبتدئ تعلمه لغة جديدة أو لغتين ، وبجانب بث الأخلاق الفاضلة فيه تعمل على تقويم المعوج منها .

وإني أعتقد أن الطفل يتمنى أن يأخذ والده في إحدى يديه ، وأستاذه في يده الأخرى ؛ حتى يعمل الكل وحدة « ثلاثية » متينة الاتصال تعمل لشيء واحد هو رقي المجتمع ، والوصول الى الحياة الكاملة

محمد عطية الابراشي



طبيعة الطفولة

فاق (فِردِرِك فربيل) جميعَ سابقيه من علماء فن التربية في إدراك طبيعة الطفولة ومعرفة حاجاتها ثم إنه جعل ما وصل إليه من الحقائق أساساً لخطته في التربية بعد أن درس الأطفال صغيرهم وكبيرهم وخبر فطرهم العامة المشتركة بينهم . فرأى أن الحركة هي أولى الطبائع بين صغار الأطفال بعد أن شاهد حركات الأذرع والأرجل التي تصدر من الرضيع بدون قصد ثم يتلو ذلك من الجري والقفز والصعود ونحوها من الحركات التي أوحت بها الطبيعة لنموّ عضلات الأطفال وقواهم الجسمية ولتكوّن الأساس الأول لمداركهم ومعارفهم . ومتى كبر الطفل قليلاً دفعته الطبيعة إلى استخدام جميع حواسه وعضلاته في اللعب وإبراز ما يموج في عقله من الخواطر حتى إنه لا يكاد يمرّ عليه وقت من الأوقات بدون ميل إلى الحركة واللعب الذي هو نشاطٌ مطبوعٌ عليه . فتجد الأطفالَ تارةً يحاكون القطار ويمسك كلٌّ منهم ذيل ثوب أخيه وتارةً يحاكون الحصان وسائقه وكثيراً ما نراهم يلعبون بالكرات الصغيرة ويفتنون في اللعب بها حاسبين عدد حركاتها ناسين ما يقاسونهُ من التعب . تجدهم يكدون لتمرين الأعصاب والعضلات . ويوفقون بين حركاتهم وفعل حاستي اللمس والإبصار . أما الطفل الذي يميل إلى السكون ولا ينشط إلى الحركة فلا بد أن يكون به عائق يحول بينه وبين الاندفاع إلى ما طبع عليه وذلك العائق إما نفسيٌّ وإما جسميٌّ . فإذا كان نفسياً وجب على المربين أن يبذلوا جهداً في معالجته . وإن كان جسمياً لزم عرضهُ على الأطباء لأن

العقل الحكيم لا يكاد يكون إلاّ في الجسم السليم . ولهذا الغرض اهتم فريبل بالألعاب التي تدعو إلى الحركة وجعل صحة الطفل وقواه الجسمية الغرض الأول من التربية .

ومن الطباع العامة وقت الطفولة شدّة الميل إلى لمس الأشياء والقبض عليها فيبتدئ الرضيع بالقبض على الأصبع ونحوها من الأشياء والأخذ بها إلى فمه (وهذا لمس باللسان) . وهذه الغريزة تدفع الطفل إلى تعرف شؤون الكون الذي وجد به . وكلما كبر وقويت عضلات يده كثر استعمالها وزادت بذلك معلوماته . ولهذا الغرض سعى فريبل في ربط جميع المعلومات التي تصل إلى دائرة فكر الطفل باستعمال اليد وبمده بأشياء عدة . وهذه الأشياء تبعث فيه الشغف بالعمل وحب استدامته وتربي فيه ذوق الافتنان والاختراع من رسم ولعب بالطين ونظم للخرز وغير ذلك من التمرينات التي تزيده رغبة ونشاطاً وتمهد له سبيل الرقي في التربية .

وهنا نشهد بفوز فريبل في وضع عدة من الألاعيب سماها بالهدايا بها يتمكن الطفل من إتمام بعض الأشياء لسهولتها ومناسبتها لقواه العقلية والجسمية . وبذلك تنمو فيه ملكة التكوين والإبداع والذكاء . ولا يتم شيء من هذا إلا باطلاق العنان له في العمل بعد أن ترشده معلمته إلى الطريق القويمة .

وقد يلاحظ في الطفل ميل غريزيّ إلى الحفر في الأرض أو اللعب بالطين أو العجين أو الرمل أو نحو ذلك . فإذا أهملت هذه الفطرة ولم يكن لها قائد يوجهها إلى النافع المفيد ضاعت فائدتها ولذا رأى فريبل أن يمدّها بالأدوات المناسبة والهدايا حتى تتحول من لمس محض خالٍ من المعنى والغرض إلى ما هو أرقى من ذلك وهو اللمس المشفوع بالملاحظة والافتنان وإعمال الفكر .

إن لجمال مظاهر الطبيعة تأثيراً عظيماً في نفس صغار الأطفال من بدء نشأتهم ويظهر ذلك عند ما يقع نظرهم على أزهار زاهية اللون أو أشياء لامعة أو عصفور يطير أو قط يجري أو يسمعون صوت خروف أو كلب أو حمار إلى غير ذلك . وكثيراً ما يلجأون إلى حفر الأرض وعمل حديقة صغيرة يزينونها بالأزهار وأوراق الأشجار . فهذه بداءة حب العمل وباب واسع إلى توجيه نظر الطفل إلى كل ما يحيط به من مظاهر الكون وسلم إلى معرفة الخالق عز وجل .

لهذا اهتم فريبل بتشجيع هذا الميل إلى تأمل مشاهد الطبيعة بإعداد جزء من الأرض للزرع وحفظ الحيوانات في روضة الأطفال إذ بمحبة الطفل للحيوانات والنباتات التي يتعهدها بنفسه يتسع قلبه ويعتاد الحنان والشفقة ومشاركة غيره في شعوره . فيشب محباً لجميع المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات وحشرات . وتغرس الفضيلة في قلبه بذورها قبل أن يجد اضطراب الدنيا ووساوس الرذيلة مجالاً للتأثير فيه .

ومما يدل على حدة حاسة السمع في الطفولة غمغمة الطفل بأصوات ونغم منظم قبل قدرته على النطق بالألفاظ وهذا ما يدعو الأم أو المربية إلى الغناء له وهو في الأرجوحة . ومن ثم يظهر احتياجه إلى سماع النغمات المختلفة فجمع فريبل بين ألعاب الحركة والغناء في آن كي يكون للألفاظ تأثير في شعوره ومخيلته ولأن الألفاظ تهب للحركات من المعاني ما يوجب إعمال الفكر والملاحظة أثناء القيام بها .

ومما يشاهد أيضاً في الطفل ميله إلى الاجتماع بغيره وتبدو تباشير هذه الفطرة في أول حياته، ذلك لأنه إذا ترك وحده في حجرة أخذ في الاستغاثة من الوحدة بالبكاء وإذا ما كبر فرح بالذهاب إلى الأماكن التي يجد فيها أترابه المماثلين له في

النموّ والقوى . فلعب الأطفال بعضهم مع بعض نازعةٌ طبيعية شريفة . لأنه يربي فيهم الفضائل ويمرّنهم على آداب التعارف والائتلاف ولذا رأى فريبل أن ينتفع بهذه الفطرة السليمة التي هي أساس كل حضارة ورقيّ والتي تعد أول دافع للطفل إلى اعتياد إكرام غيره وعدم الاغترار بنفسه . فبمعاشرته من هم أكبر منه سناً وعقلاً يتعود الثقة بغيره والتسليم له . وبمعاشرته أمثاله يتعود الطلاقة في الحركات والأقوال وبذلك يكوّن لنفسه سجية من مخالطة غيره فيتنبه إلى مدار الإفراط في حب النفس مثلاً وعدم مراعاة ما لغيره من الحقوق . وأظهر ما يتجلى ذلك أثناء اللعب الذي هو مسرح يمثل الحياة الاجتماعية في كثير من شؤونها وفيه يجد الطفل فرصاً جمة العدد لإصلاح ما فيه من دنيء الخلال فيقابل العنفَ باللطفِ والتساهلَ ومحبةَ النفس بإنكارها والكبرياء بالتواضع والخشونةَ بالرّقة وهكذا . فالسجية التي سبقت الاشارة اليها انما تتكون من معرفته لنفسه وعقد موازنة بينه وبين سواه ومشاهدة نتائج أعماله ونوع تأثيرها في غيره وموازنة كل ذلك بأفعال غيره وتأثيرها في نفسه . لأن حب النفس يدعو عادة إلى الزهو والإعجاب ولا تدرأ هذا الخطر إلا معاشرة الطفل لأترابه خصوصاً إذا كانوا أرقى منه في السجايا .

إن التعرّف بالألوهية لا يحتاج إلى مرشدٍ خارجي بل هو حاصل بالفطرة والطبيعة : فغريزة الاستطلاع جلية الظهور في الطفل حتى قيل (نفس الطفل طلعة) أي كثيرة التطلع إلى معرفة الأشياء : فباتصال الطفل بمظاهر الكون يتوصل إلى معرفة المولى سبحانه وتعالى ذلك لان التشوّق الذي يحصل في نفسه عند مشاهدة عجائب الطبيعة وما يحيط به من المخلوقات يدفعه إلى الرجوع إلى أصلها والبحث عن حقيقتها وتظهر هذه الفطرة في أول نشأة الطفل . فإنه عند ما يرى كرةً معلقةً

بخيطٍ وممسكة بيد أمه أو مربيته . يتدرج من النظر إلى الكرة نفسها إلى النظر شيئاً فشيئاً إلى الخيط المعلقة به حتى يقع نظره أخيراً على اليد التي تحركها . وكذلك إذا سمع صوتاً فإنه يلتفت إلى الجهة التي صدر منها هذا الصوت ثم يفكر فيه ومتى كبر فإنه يأخذ في كسر لعبه – وإتلافها وإتلاف معظم الأشياء التي تقع في قبضته – حباً في معرفة حقيقتها وكيفية تكوينها . فيمسك الساعة فتدهشه دقاتها ويحاول فتح غطائها ليقف على السر المكنون في باطنها وإذا أعياه ذلك كسرها لا حباً في الإتلاف بل طموحاً إلى علم تجريبي يطفئ به أوار ظمئه وعند ما تؤثر فيه روعة الطبيعة يشرئب لها فيسأل أسئلة مبهمة رغبة في كشف غموضها فيقول مثلاً : لماذا تشرق الشمس ؟ ما الذي يجعل الريح هاباً . كيف يستحيل الحب شجراً . من الذي أنبت الأشجار وصوّر الطيور ؟ من الذي عمل أمي وأبي ؟ وهكذا يسأل عن سبب هذا وذاك حتى يشرق معنى الألوهية في نفسه شيئاً فشيئاً ويصل بعد الكد إلى قياس يستنبط منه وجود صانع قادر خلق هذا الكون وبدأه ومن ذلك اتضح لفريبل أن كل المعلومات لا تصل إلى دائرة فكر الطفل إلاّ بالحس كما قال بستالتزي : « إن الحواس أبواب النفس ولا يصل شيء إلى العقل إلا من طريق الحواس » . ومن هذا نرى ما للبيئة من التأثير في عقل الطفل إذ أن كل ما يقابله من الأشياء سواء أكانت حسنة أم سيئة له تأثير كبير في نفسه . فإذا نشأ في بيئةٍ حسنة أثر ذلك في أفكاره فينظر إلى الدنيا من هذه الوجهة الحسنة . وإذا نشأ في وسطٍ منحطٍ أثر ذلك فيه أيضاً ونظر إلى الدنيا من هذه الوجهة . وقد يظهر هذا التأثير في أخلاق الأطفال وطباعهم حتى إنك لترى الفرق جلياً واضحاً بين طفلٍ نشأ وترعرع في وسطٍ راقٍ بين الفضيلة وجمال الطبيعة وأبوين صالحين . وآخر نكبه الدهر

فساقه إلى وسطٍ منحطّ . لا يرى أمامه سوى مناظر محزنةٍ وأصوات مزعجة. فيشبّ ونفسه مائلة إلى السوء وإلى تقليد ما رأى أيام صغره من خشونة اللفظ وفظاظة الخلق .

ومن الخطأ الكثير الحصول أن الأمهات لا يعتبرنَ أن لأخلاق الخدم تأثيراً على نفوس الأطفال إذا كان سنهم يقلّ عن ثلاث سنوات مع أن الواقع يخالف ذلك . فإن لأخلاق الخدم تأثيراً في نفوس الأطفال حتى في الشهور الأولى من حياتهم لأنهم في ذاك الوقت صحيفة بيضاء يؤثر فيها النقش بسهولة . وفي المشاهدة أكبر دليل فإنك ترى الطفل يقلد مربيته في حركاتها وطباعها . فإذا كانت سريعة الغضب كان الطفل مثلها . إلى غير ذلك من الخصال التي تلتقطها نفسه . ولقد تؤدي الأشياء الصغيرة التي يتعلمها الأطفال في صغرهم إلى القضاء عليهم وجعلهم من عتاة المجرمين في مستقبل أيامهم . فكثيراً ما تمزح الأم مثلاً مع أطفالها بتشجيعهم على التقاط الأشياء ولو عن غير قصدٍ وهي لا تعلم أن هذه خطوة كبيرة في حثهم على السرقة . وأن كثيراً من الأمهات يتركن لأطفالهنّ العنان حتى إذا ما اشتاقت أنفسهم إلى الشيء أجبنَ طلباتهم سريعاً شفقةً عليهم ورأفةً بهم ولا يخفى ما يؤول إليه ذلك من تعويد الطفل الإفراط في حبّ النفس وضعف الإرادة فتراه يشبّ على ذلك . ومن شبّ على شيء شاب عليه . حتى لقد يضطرّه حبّ الحصول على أغراضه إلى ارتكاب أعظم الجرائم . فالطفل بمثابة الحبوب التي تبذر في الأرض تتوقف جودة ثمارها على مقدار الاعتناء بها اثناء النموّ وجودة التربة التي نشأت فيها . كذلك الخصال التي يشبّ عليها الطفل مرهونة بمقدار العناية بنموّ فطرهِ الأولى وبنوع البيئة التي تحيط به .

الطفل يستقبل الحياة

النور ... النور ... هو قبلة المولود أول استقباله الحياة ، ومتوجه بصره أول ما يبصر ، وفتنة حسه ، ومنبه ادراكه .

وعبادة الطفل للنور تبدو في أظهر مجاليها وأرعاها للانتباه والملاحظة ، حين يقبل الليل ويخيم الظلام على كل مكان ، ولا يبقى إلا نقطة واحدة وضاءة ، كأنما انكمش الضوء وتركز فيها ، بؤرة فياضة بالنور ، مشعة ، هي السراج أو المصباح الكهربائي . هنا يتعلق بصر الطفل وتشخص عيناه مثبتة في اصرار وعناد ، لا يطرف له هدب ، ولا يريم طرفه عن النور لحظة ، كأنما يستمسك منه بخيط الحياة ، أو هو يخشى الظلمة ويدرك مافيها من وحشة .

ويأتي بعد ذلك تمييزه للظلال تعبر أمام بصره وتحجب عنه لحظة فيض الضوء . إنها تضايقه أول الأمر ، وهي تقطع عليه ما يسبح فيه من لذيذ الدهشة والانجذاب في غمرات النور . إلا أنه لايلبث أن ينشغل عن مضايقتها المظلمة بالالتفات إلى حركتها . إن حلول الليل يمحو من أمامه آية النور التي يبصرها فيغمض جفنيه ويستسلم للكرى ، فالمسألة لا تعدو في نظره النور وانعدام النور . أما هذا الانتقال المتكرر الوشيك بين النور والظل في لحظة واحدة فإنه يلفته إلى الحركة . ولما كانت هذه القطعة أو تلك من الظلال

– سواء أكانت شخصاً متنقلاً أم شيئاً منقولا – تبدو في وضح النهار أو الليل المنار بارزة السواد محدودة الأطراف ، فإن الطفل لا يلبث حين تحجب الضوء عنه لحظة ثم تنزاح أن يتبعها بصره . وهذا الالتفات للحركة فاتحة مدركات عدة ! إذ يعقبه شيئاً فشيئاً تميز الطفل للاشخاص والاشارات وسائر المنظورات .

أما أذن الطفل فهي أكثر تخلفاً وتوانياً . ويأتى نشاطها بعد نشاط العين . وكأنما يراد من الطفل أن يكون هو نفسه مثالاً على ما سوف يتلقنه وشيكا في المدرسة في علم الطبيعة من أن الضوء إلى البصر أسرع من الصوت إلى السمع . وسرعان ما يميز الطفل الأصوات حتى تستغل ذلك مرضعته ، فتشغله عن البكاء وإلى أن يحين موعد الرضاع بالغناء والاجراس والموسيقى وسائر المسموعات .

ولا تسل عن فرحة الطفل حين يكتشف من تحت اللفائف قدمه مثلا ، فهو لا يفتأ قابضاً عليها بيده هذه أو تلك ، يجذبها إليه ، ويلويها ، ويعريها ، وقد يقدمها إليك فلا تدري أهو يتحداك أم يدعوك للتقبيل ، وكلاهما منه شائق وجميل . وحسبك أن تشهد الطفل وقد جردوه للحمام ، فهو يتوثب من الفرح في حوضه ، ويلوح بيديه ويرفس بقدميه ويلوي أعطافه ، فإذا أخذوا بعد الحمام في إفراغ الملابس عليه ، فهنا تنشب المعركة من تمنع ومقاومة وبكاء وصراخ . فهو في هذا الدور مشغوف بنفسه كالعابد لشخصه .

والطفل لا يعترف للغير بشيء . فكل ما يحيط به فهو له ، سواء

غطاؤه في المهد ، أو القلادة في جيد زائرة ، أو قارورة العطر تتعطر بها أمه ، أو الساعة الذهبية ينظر فيها أبوه ، أو الطير المحلق في الفضاء ، أو القمر المعلق في السماء .

وحب الطفل للعب مشهود معروف . ولكن الجدير بالملاحظة أنه يحبها على وجه مخصوص وشرط منصوص . ذلك ألا تكون لمجرد النظر والتفرج . وإنما على أن له الحق في أن يتناولها كيفما شاء ، وأن يفعل بها ما هو فاعل : أن يفككها ، وأن يهشمها بيديه أو يطأها بقدميه إذا طاب له ذلك ، وإنه لطيب لا محالة . وفوق ذلك فإن اللعبة تكون أحب إليه كلما كانت أشد جلبة وأصك للاسماع ، فذلك أكفل له باشباع السمع فضلاً عن متعة العين وحركة البدن ، كما أن صوتها أوكد في تقرير وجوده عند أهل البيت .

وللطفل بالكلاب ألفة لا تعدلها ألفة . فهي تلاعبه وتصبر في حدب ومراضاة على جذبه لشعرها وقبضه على أذنيها وشده لذيلها . وإذا احتج الكلب منفعلاً على سيده الصغير فلا يعدو انفعاله حركة يتخلص بها من قبضة أليمة ، ثم تزول غضبته في التو كأن لم تكن ، وكأنما كانت متكلفة مصطنعة ، وتعود الملاعبة سيرتها ، ويقضي الطفل وصديقه على هذا النحو الساعات الطوال لا يدركهما تعب ولا ملال . وكذلك القطة يشغف بها الطفل ، وإن كثرة الحركة والتوفز العصبي في الهرة لتعجب الطفل وفي نفس الوقت تخيفه منها ، كما أنه لا يسلم حين يلح في مضايقتها من أذى أنيابها ومخالبها ، فتراه

إذا نفرت نفرتها وكشرت له عن نابها يسارع إلى صدر أمه محتمياً ، فيهدأ في الحال روعه ، وتمسح على رأسه بيدها فيطمئن إلى أنها بهذه اليد دافعة عنه الأخطار كافة ، فيعود إلى قطته يجاذبها ويعاكسها .

ولا شك في أن الطفل في احتياجه أو نزوعه إلى شيء من الأشياء يحس بالضيق مخافة ألا يشعر من حوله بذلك ولا يفهمونه عنه فيبادرون بقضاء حاجته وانجاز رغبته . ومن ثم نجده على حين فجأة يبكي ويرتفع صراخه ويمد يديه ويرفس برجليه وتردد شفتاه ترديدات صوتية غير مفهومة ، فلا تتمالك من أن تقدم إليه الشيء بعد الآخر مما تظنه يريده ، ونحن نسميه له باسمه قصداً أو عن غير قصد ، حتى نقع على الضالة التي ينشدها ، فيعتاد الطفل رويداً رويداً أن يقرن بين الصوت الذي سمعه وبين الشيء فيتكلف على التدريج محاكاة الصوت حتى يكفل موافاته بالشيء كما طلبه . على أن الطفل منذ الشهور الأولى يأنس بمن يناغيه ، ثم نسمعه بعدها يلغو من حين لحين بنأمة رتيبة ، ثم تتعدد مع الأيام نبراته ويزداد مع تكرار استماعه لنا لغوه . وليس أجمل منه حين يفيض المجلس بالحديث ويطول الحوار بين المتحادثين حتى إذا سكتوا لحظة إذا بالصغير العزيز يتولى عنهم الكلام فيهذر هذره غير المفهوم في جد واهتمام . وهكذا يتلقن الطفل الكلام لا للمنفعة وحدها بل هو يتلقن أيضاً الكلام للكلام .

وكما أن الطفل يؤثر سرعة اللغو على تكلف النطق المفهوم حتى توجبه عليه الضرورة واللزوم ، فكذلك نرى الطفل الذي لايعرف المشي يحاول

الجري . وقلما يتمهل في خطاه حتى يكبو المرة بعد المرة . ومع ذلك فإن التعجل لايبرح يعاوده . وأكبر الظن أنه يحس تعذر حفظ التوازن عليه فيهرب من جهد جامد في مكانه بغير طائل إلى السرعة وما فيها من حركة وحرية . ثم إن الطفل لا يكاد يملك استعمال ساقيه بالقدر الكافي حتى لايعود يطيق التلبث والمكث . فهو هنا ، وهناك ، وفي كل مكان من البيت كالفراشة لا يقر له قرار .

وللطفل في الناس ذوقه وحكمه الخاص . فهذا الفريق عنده من المقربين وذاك من المبعدين . وهو لا يقبل عن حكمه حولا . والغالب انه يرتاح إلى من بينهم وبين أبويه مودة ، وذلك أن في نظرتهم وفي ترفقهم في حمله وحنوهم عليه ما يشعره بالراحة والطمأنينة . وأكثر ما يطمئن الطفل إلى أصحاب المزاج المعتدل ممن لايجمدون عن الملاعبة ولا يعنفون فيها . كما أنه يطرب إلى هذا الفريق من الكبار الذي يستطيع عن طواعية واستعداد فيه أن ينقلب صغيراً مع الصغار . بل إن مثل هذا الكبير قد يكون أحب عند الطفل ملاعبة ممن هم أدنى إليه سناً من الصغار .

ولقد نلحظ في الأطفال وهم في سن الرضاع بعض الحركات والأوضاع تبدهنا لأول وهلة . نذكر منها على سبيل المثال الطفلة الرضيعة تضع إحدى ساقيها في نومها على ركبة الأخرى وذراعها الصغيرة تحت وسادتها . فلا غرو أن يعجب المرء لهذا الوضع كيف تتكلفه طفلة في أثناء عامها الأول . ولكننا نعلم — حين نستعلم — أن والدها لاينام كذلك . وهكذا الحال في تضييقها لاحدى عينيها حين يجيبها قادم أو يخاطبها مخاطب ، أو غير ذلك

من العادات أخذتها عن أبيها أو أمها . وتلك أمثال على حكم لوراثة يشهدها في ولده كل والد ووالدة ، فلا جرم يكون حب الآباء للأبناء بحيث هو من التأصل وعمق القرار . فإنه هو بعينه غريزة حب البقاء المركوزة في طبيعة كل حي . وما الولد إلا امتداد الوالدين واتصال حياتهما وتخليدهما في النسل إلى أبد الآبدين .

وبعد ، فقد بقي أن نعرف هل يذكر المرء شيئاً عن طفولته الأولى هذه ؟

إن معظم الناس لا يذكرون عن طفولتهم كلها شيئاً . ومنهم من يذكر حادثة أو مقطوعة من حادثة وهي في ذهنه حية حاضرة كأنما وقعت بالأمس، وأما العمر الذي قبلها والذي بعدها إلى سنوات عدة فلا يعلق بوعيه منه شيء؛ كأنه الصفحة البيضاء والفضاء الخلاء .

ولكن هذه القطع الطافية من الذكريات النادرة لاتمس عهد الطفولة الأولى . فما نعلم أحداً وعى عنها شيئاً اللهم عدا تولستوى ، فقد زعم أنه يعي الوعي كله ما أحسه حين وضعوه في حوض من الخشب وهو في الشهر السادس من عمره ليغسلوه وأنه يذكر رائحة الخشب المغشى بالصابون وذلك الإحساس بشيء زلق دهني تحت قدميه . ولكننا نعدي على حكاية الرضيع تولستوي عن نفسه وهو في الشهر السادس من عمره لتقول إن الخلق أجمعين لا يعون عن عهد رضاعهم وطفولتهم الأولى قليلاً ولا كثيراً ، وأن غاية ما يتذكرونه عنه أنه قد أتت عليهم فترة من العمر لايتذكرونها . بيد أن

ما خبره الجميع من المشاهدات المباشرة عن الطفولة الأولى لأبنائهم وأبناء معارفهم وخلصائهم وذويهم مما أجملناه في هذه الكلمة قمين أن يركز في اعتقادنا أن هذه الفترة التي لا نذكرها من عمرنا هي أهنأ الفترات وأسعد الأوقات ولا غرو فهي القريبة العهد من عالم الروح الموصولة بملكوت السماء.

عبد الرحمن صدقي



الايمان عند الاطفال

إن مسألة الإيمان عند الأطفال من المسائل الفلسفية الغامضة التي تكثر آراء العلماء لتحديد أركان هذا الإيمان . فالبعض يرى أن الإيمان يثبت في صدر الطفل بالتقليد إذ أن الطفل بحكم البيئة التي تحيط به يتلون بكل أعمال تلك البيئة . وهذا الرأي منطقي إلى حد ما ، وهو أيضاً من الآراء التي يثبتها علماء الاخلاق في قولهم إن أي طفل في طور النمو الأول يكون استعداده قوياً لتحكم البيئة فيه . ولكن مسألة الايمان قد تختلف في هذه الناحية .

إذ أن الإيمان لايمكن أن يدعم في نفس الطفل بعامل التقليد فحسب فإننا نرى ، إذا درسنا الطباع النفسية للأطفال ، أنهم لا يقنعون في قبول الآراء بالعامل التقليدي بل يرددون دائماً هذه الألفاظ « لماذا ؟ وكيف ؟ وما السبب » وهذا يدل على أن الطفل الذي لايزال في حاجة إلى من يجيب على آلاف الاسئلة التي يرددها ، لا يمكن أن يتقبل مسألة الايمان بمجرد التقليد .

قد تكون الوراثة أقوى من التقليد في كونها تثبت معنى الايمان في الطفل ، ولكنها مع ذلك لاتكفي لتدعيم فكرة الايمان .

وكثير من الآباء والأمهات لايعنون بآراء الأطفال في مسألة الايمان بل

قد لايتوانى البعض منهم في إيذاء طفله إذا تجرأ مثلاً وسأل عن « الله » أو عن القرآن أو الكتاب المقدس أو التوراة . وقد يبدو لآبائهم أن هذه آراء – خارجة – أو على الأصح « مؤذية » ولكنهم إذا أدركوا أن الطفل كالصفحة البيضاء لاتزال خالية من كل شيء وهو في حاجة إلى من يريه صور الحياة على حقائقها فإنهم لا يرون بعد ذلك أن سؤال الطفل غير مؤذ أو خارج .

والواجب الذي ينبغي أن يستنه أولياء الطفل أراه في مسألة الايمان هو تقريب المعاني الطبيعية إليه وتدريجه في فهمها فهما صحيحاً ساذجاً ثم التحدث معه في « بساطة » عن الحياة وعن الانسان وعن الخير والشر والعذاب . فإذا درج إلى فهم هذه المسائل فهماً دقيقاً خالياً من الرهبة أو أي عامل آخر تدرج محدثه بعد ذلك إلى تفهيمه معنى « القوة العليا » التي تسيل الحياة في الحيوان والنبات وأن هذه القوة هبة من هبات الخالق !

ولا يجب على الطفل أن يغشى المحافل الدينية كثيراً ولا أن يستمع المناقشات والمباحث الدينية البتة . بل يجب أن تسير حياته في مجراها الساذج سيراً عادياً ، حتى يوءهله ذهنه إلى تفهم الآراء الدينية فهماً صحيحاً مبنياً على دراسة لها ، وبذلك يمكن أن ينجو في مستقبله من « الشك » والحيرة الدينية التي تنتاب أكثر الناس .

إن الايمان الذي لا يشعر الطفل بأهميته في حداثته ، هو القوة الهائلة

التي تجابه الانسان في شبابه وشيخوخته ، فاليأس والانتحار والخيانة وعدم الاعتماد على النفس والكذب والجبن ، من الأشياء التي يرثها الشاب أو الرجل من طفولته القلقة المهملة .

الباسة الاسبوعية



مملكة الطفل

بينما تسقط الممالك المتعددة نرى مملكة واحدة نشأت في القرن التاسع عشر ورسخت يوماً فيوماً وهي مملكة « الطفل ».

يظهر أن الجميع قد اتحدوا على إعلاء شأن هذه المملكة . فالشعراء أولا وقد كانوا يجهلون الولد غير مكترثين له أصبحوا اليوم يعبدونه . نعم إننا نراهم على أثر فيكتور هيكو يتزاحمون حول سريره ويرقبون أول ابتسامة منه ويفسرون المناغات الأولى تفسيرات متعددة ويهتمون بألعابه البسيطة ويصفون السعادة التي ينشرها في الحلقة العائلية ويبنون عليه أحلام المستقبل الجميلة ويشاركونه في سرّائه وضرائه ويكتسبون له بهذا العمل كل أنواع الحنوّ وبذل الذات والتضحية . وقد حصل الشعر من جراء هذا العمل الخالي من الغرض على نتيجة مدهشة . والروائيون وقد اتبعوا الشعراء يدرسون عن كثب بعناية خاصة ورقة عجيبة كعلماء وأصدقاء معاً « روح الطفل المظلمة وارتقاءها التدريجي إلى النمو أي نحو الإحساس والفهم والتأثيرات والانفعالات المختلفة التي تنتاب الولد والأفكار والعوامل — وكثيراً ما تكون مستهجنة — التي تشعر بها هذه الروح الصغيرة .

إن عشاق الطفولة والحداثة يجدون في هذه الدروس مطالعات جميلة وتعاليم جزيلة الفائدة . وإننا نقتصر في هذه المقدمة على ذكر بعض المؤلفين الذين تركوا لنا دروساً على طبيعة الطفل تفوق المجلدات الضخمة التي ألفها المربون القدماء في العصور الخوالي كجورج سند ، والفونس دوديه وأناتول

فرانس ، والاخوان مارغريت ، وبيارلوتي ، وجان اجالبير ، واوكتاف ميربو ، وليه روسني ، ومارسيل بريفوست ، واندريه ليكتنبرجر ، وجيب ، وغيرهم .

لا يقدر التلميذ أن يخبىء فطرة الطفل وقد اجتهد من ذكرناهم أن يسردوا لنا بكل بساطة في التعبير لا لكي يبتدعوا بدعة جديدة ، كل التذكارات والملاحظات التي جمعوها والتأثيرات التي شعروا بها لذلك نرى في مؤلفاتهم عذوبة وبساطة وإخلاصاً وطلاوة جهلتها آداب اللغة حتى الآن . إننا نجد في مؤلفات هؤلاء الكتبة الماهرين خلقاً واحداً لأنهم استقوا هذه الإلهامات من مصدر واحد فما الطفل الذي يصورونه لنا هو ذاك المصنع المحفوف بالعظمة الذي نراه في رسومنا القديمة بل الطفل الذي نعرفه ونحبه ، الطفل الصغير في حركاته الطبيعية التي ألفناها فيه ، الطفل الجميل لاحمالاً اصطناعياً بل جمالاً حقيقياً .

ولقد جاء الفن بأكثر مما تقدم فضاعف الألعاب لخدمته وأتقن الأشياء التي تذبه فكرته وتحقق ملذاته وتشبع شهواته وأمياله ، مخصصاً بذلك الوقت والمال كأن لاشيء لديه متمم كامل .

فالانقلاب الذي حصل في العائلة نحو الولد ويزداد تطوراً يوماً فيوماً هو الدليل الأكبر على ما نحن بصدده . نرى في كل زمان ومكان آباء ملؤ قلوبهم الحنان وبذل النفس ، فمثل بلوتارك شهير ، وما من أديب يجهل العبارات المؤثرة التي سطرها لصديق له على أثر موت ابنته ، إنها كانت ترغب إلى

مرضعها ثديها فقط الاولاد الصغار الذين تلعب وإياهم بل اللعب التي تلتهى بها أيضاً وكانت تريد أن يشاركوها في مائدتها وأن يحصلوا على ما تراه لذيذاً جداً ، كثير عدد الاولاد الذين هم على شاكلة ابنه بلوتارك من حيث معزة والديهم لكنهم تكاثروا ولا ريب في القرن الثامن عشر بفضل كتابات روسو . ومع ذلك فبالرغم من نظريات هذا الفيلسوف كانت القصاصات في كثير من العائلات تتلو الملاطفات وبقي الولد عبداً والأب سيداً وهذا الذي تبدل وانقلب إن هذا الانقلاب مرجعه الاعتقاد أن لأولادنا حقوقاً علينا لا واجبات فقط . لذلك نال الولد حقوقه سنة ٨٩ « تاريخ الثورة الفرنسوية الشهيرة » كما نالها والداه من قبله فقد تطورت العائلة بفضل هذا العامل تطوراً جديداً وحصلت على نتيجة جديدة تختلف كثيراً عن القديمة . إن هذا الانقلاب عائد إلى النظام الحديث الذي أدخل على هيئتنا الاجتماعية فلا حاجز ولا فاصل بين طبقات الأمة المختلفة ولا مصالح أو وظائف خصوصية محفوظة لأولاد الحسب والنسب « كل من في الوطن سواء أمام القانون يقبل الجميع في اسمى المراتب والمصالح العمومية حسب أهليتهم . لا فرق بينهم إلا فرق الفضائل والمعارف . » بناء عليه فأفقر العمال يمكنه أن يحلم لابنه بالوصول إلى أعلى المراتب من غير أن يعزى إليه الجنون ، أما الغني وإن كان له من ثروته ركن يضمن به مستقبل ذويه فقد تحتم عليه أن يهتم أكثر من ذي قبل بتربية أولاده إذ لا يمكنهم بدونها المحافظة على مركزهم في الهيئة الاجتماعية . فنتج من ذلك التنافس الذي كان مجهولاً فيما مضى والذي ابتدأ ينتشر بشدة بين الوالدين

والأولاد وبين الفقراء والأغنياء تنافساً يأتي بأجل النتائج لو عرفنا أن نستعمله بالحكمة والتعقل .

فبالنظر إلى ما ذكر وبما أن الولد هو الكائن المحبوب إذ هو قسم منا وله حاجة كبيرة الينا وهو الممتلئ لطفاً ورقة وبما أنه ضعيف فقد اعتبره الجميع شخصاً أدبياً له حقوق كثيرة : حق بالحياة ، وحق بالاحترام ، وحق بكل العنايات اللازمة لإنماء قواه البدنية والعقلية . وزد عليه فهو شخص اجتماعي وعضو من أعضاء الجامعة الوطنية التي تنتسب إليها ، وهو ابن المستقبل .

فالحكومة وهي مرآة الرأي العام سارت على هذه الأفكار الجديدة ، فصرفت عنايتها الخاصة إلى تعليم الأولاد وتربيتهم ، ولكي ينال الجميع نصيبهم من هذا التعليم ومن هذه التربية – إذ للجميع الحق بها – جعلتها إجباريين مجانيين ، ولكي تحببها إلى النشء بدلت مدارسها القديمة ، ونظفتها ، وأتقنتها ، وفتحت مدارس جديدة في المزارع الصغيرة . وطمعاً في أن يكون هذا التدريس مفيداً نافعاً اختارت له الأساتذة الأكفاء ، وتحملت كل سنة نفقات باهظة لعلمها أن ما ينفق في هذا السبيل يعود بالغنى والثروة من جهة أخرى . ويظهر مما تقدم أنها أي الحكومة قد اتبعت نصائح كوندرسيه المبنية على الحكمة والصواب . « أن الشعب يكون أهلاً لحكم نفسه بنفسه وجدير أن يعيش حراً إذا كانت التربية التي تلقاها صحيحة متينة ، أما إذا ساءت فيحكم عليه بخلوه من قوة الإبداع وأن شغله الشاغل انتخاب ذوي الدسائس والفتن الذين يتخاصمون ويتزاحمون على الوظائف العمومية .

فلم تكد تظهر هذه النهضة حتى اندفع أصحاب الهمة من كل حدب وصوب إلى معاونة الحكومة في مسعاها ، فأوسع الأطباء دائرة أبحاثهم فلم تعد تقتصر فقط من تحسين الاعتناء بصحة الولد بل تجاوزته إلى تحليل مقياس قواه العقلية المختلفة توصلاً إلى القواعد الحقيقية التي يتمشى عليها سيرها الطبيعي .

لقد أفاض في ما كتبوه أولئك الذين اتخذوا التربية مهنة لهم عن نتيجة اختبارهم وعن آمالهم وأحلامهم ، وأعاد الفريق الآخر النظر في الكتب القديمة وأضاف إليها ما رآه مناسباً . وقد تأسست لهذه الغاية الصفوف الراقية ، وفتحت المدارس العديدة ، وأنشئت المجالس العلمية ، وفي كل مكان تتألف المؤتمرات والأحزاب والجمعيات ، كجمعيات الأساتذة والوالدين ، وجمعيات علماء قوى النفس « بسيكولوج » وحفظ الصحة ، وجمعيات المتدينين والإباحيين ، وكلها ترمي إلى غاية واحدة ، هي تهذيب الولد . فضلاً عن الجرائد والمجلات المنبثة في أربعة أقطار العالم تنشر القرارات ، وتدافع عن صحة هذا المبدأ . ولذلك فبالرغم من الاختلافات والاضطرابات ، والقلاقل والانشقاقات ، نرى الجميع في عصرنا هذا على اتفاق تام يعترفون صراحة أن لاشيء يثبت ويكون عظيماً إن لم تكن التربية الصحيحة أساساً له . فالذين أشربوا المبادىء الدينية يعتقدون أن مستقبل الدين يتوقف عليها ، ورجال السياسة ينسبون إليها انتصار مباديهم ، وذوو السذاجة في الأمة يعزون إليها إعلاء شأن الوطن ، لذلك يوجه الجميع اهتمامهم نحو الولد ، ليتعلم ما يناسب المبدأ الذي يتبعونه ويسهرون عليه سهر الزارع على سنابل الحقل التي عليها مدار موسمه المقبل .

لم يترك هذا التعاون المستمر مجالاً لتحقيق نتيجته الحسنة . ومع ذلك فالذين صرفوا الحياة مع الشبيبة وأحبوها وعرفوها خبرة وعياناً ، لا سمعاً وقراءة فقط ، أولئك الذين عرفوا ما قد بذل في هذا السبيل ، وما قد تحصل منه ، يعتقدون أن هذه النتيجة لم تفي بالمطلوب ولم تحقق الآمال الكبيرة التي عقدت عليها . نعم لا يمكننا الجزم بل هذه الآمال قد تحققت لامن حيث التربية البدنية ، ولا العقلية ، ولا الأدبية . ولكن فمن هو المذنب ياترى ؟

إن الحكومة هي أول المتهمين دائماً . لا يمكن أن تكون بريئة من خطيئة وهي مؤلفة من الرجال ، ولا عصمة في الحياة ، لكن إذا أردنا اكتشاف الذنب الحقيقي وجب علينا الالتفات إلى سواه ، وأن نفتش عنه أولاً في العائلة . لقد أبان « سبنسر » في إحدى مؤلفاته ، كيف أن ذنوب المشترعين تؤثر بحياة شعب بكامله ، أفلا يصح ، والحالة هذه ، أن تكون « زلات الوالدين » ذات تأثير عظيم ؟ فالعائلة هي المدرسة الأولى التي نشأ فيها هؤلاء المشترعون ، إن السفسطات لا تقوى على دحض هذه الحقيقة التي بنيت على التجربة والاختبار ، وهي : أن معظم ذنوب الأولاد تأتي من الكسل والجهل ، وحب الذات ، والأثرة الباطلة . إننا نجهل قواعد التربية أو لا نريد أن نهذب أولادنا تهذيباً صحيحاً لازماً .

فالغرض من الخوض في موضوع التربية وعلى الاخص تربية الفتيان أولاد العائلات القاطنة في المدن ، هو أن نظهر زلات الوالدين . لعلمنا اليقين أنها مصدر الأمراض التي تتألم منها الهيئة الاجتماعية . فإذا كانت هذه المهمة حسنة ومفيدة فإنها بالنسبة إلينا عقيمة جداً : إنها عقيمة لعدم اعترافنا بالجميل

لمن ينتقد زلاتنا ، لأننا نحب الذين يطنبون في مدح الأب والأم ، ويعذرون بل يبررون زعمهما الباطل . ويغذون بالمواعيد الفارغة أحلامهما الجميلة . وإنها عقيمة أيضاً لكونها مبتذلة . ألم يكف ما كتب بهذا الموضوع حتى الآن وهل لاتجيء كتاباتنا فيه متأخرة ؟ نعم لقد كتب بلا ريب كل شيء ، ولكن لم يفهم الكل هذا الشيء .

من كتاب التربية في العائلة





فتوة متكاملة حية



الاطفال يقومون باعمال الرجال

تعنى الحكومة الروسية عناية فائقة بتعليم السواد الأعظم من الشعب . ولا شك أن الحالة التي كانت عليها روسيا من قبل كانت سبباً كبيراً في انتشار الأمية والجهل بين الفلاحين وهم الكتلة العاملة في الروسيا . وعلى الرغم من انتشار المفاسد الأخلاقية التي سببتها الإباحية البلشفية وسوء نظامها الاجتماعي واضطهادها الشائن للأديان فإن الإنسان لايمكنه أن ينكر أن التعليم في الروسيا قد خطا خطوات كبيرة إلى الأمام .

ومن الغريب أن يقوم الأطفال بعبء كبير في هذه الحركة . فإن الحكومة تبعث بهم بعد استكمال دروسهم الابتدائية إلى القرى لتعليم الفلاحين. ومن المشاهد العادية في القرى الروسية أن تجد مدرسة يؤمها الشيوخ والرجال والنساء على السواء يجلسون في هدوء منصتين إلى فتاة صغيرة أو غلام يلقى عليهم مبادىء في القراءة .

وأكثر أولئك الأطفال من أبناء المهاجرين الروسيين في أمريكا أو استراليا الذين عادوا بعد وفاة آبائهم أو مطاردتهم من تلك البلاد .

وعلى الرغم من ذلك فإنهم يعانون كثيراً في تعليم الفلاحين لخشونتهم وصلفهم . والتعليم في روسيا يتبع النظم الانكليزية والامريكية في أكثر معاهده أي يسير وفق «طريقة دالتون» والفصول في روسيا أصغر منها في انكلترا ولكنها كثيرة ومنتشرة .

وقد يكون الدور العظيم الذي يقوم به الأطفال في الروسيا اليوم في سبيل تعليم جموع الفلاحين أكرم بكثير مما يقوم به زعماؤهم نحو الروسيا نفسها ، خاصة إذا قدرنا مقدار الجهود التي يبذلونها في سبيل إخراج الملايين من دائرة الجهل إلى عالم المدنية والعلم .



اللعب عند الاطفال

ليس من شك في أن اللعب من الناحية البيولوجية هو أحسن وسيلة لتنظيم الغرائز ، وضبط النفس ، ومنع تهيج الجهاز العصبي ، بتوجيه النشاط الحيوي إلى الطريق السوي ، بدلاً من تركه وشأنه ليشق لنفسه طرقاً ضارة .

وكذلك هو من ناحية التربية أحسن وسيلة للتعبير عن النفس ، وإظهار الشخصية والقوى الكامنة بدنية كانت أم عقلية ، وربط الأعمال البدنية بالعقلية ربطاً وثيقاً ، وهو عماد اتحاد الجماعات .

ويتوسع الأستاذ (نَنْ) في فوائده العامة ، فيقول : « يبدأ الطفل بالألعاب التي يحرك فيها أعضاء بدنه وهو في مكانه ، ثم ينتقل إلى ألعاب الجري والتحرك من الحجرة إلى الفناء ثم إلى الميادين العامة ، وساحات السباق للمباريات الرسمية والدولية ؛ وبهذا يسلس للطفل قيادة بدنه ، ويحسن التصرف في كل ما فيه من قوى كامنة . وبعدئذ يستخدم قواه العقلية ، ويشحذ ذكاءه ، ويتعرف ميوله بنفسه إلى أن يتبوأ مكانته اللائقة به بين زملائه البالغين . وكثيراً ما يكوّن الطفل نفسه بنفسه خلقياً واجتماعياً بطريق الألعاب ، خصوصاً ما يستلزم منها التضامن والتعاون مع أفراد جنسه ، فيكون من اختلافهم قوة متحدة » .

وقد أدرك كل علماء التربية الحديثين مبلغ أثر اللعب في تكوين الأطفال من جميع نواحي التكوين ، فنادوا بجعله أساساً للتعليم وعمل المدرسة .

وهذا زعيمهم السير (برسي نن) في انكلترا يقول : «لو استطاع المدرسون استغلال النشاط العقلي الذي يبدو في ألعاب الأطفال بكثرة وشدة ، لصلح التعليم المدرسي . ومن واجب التعليم أن يكون أول ما يرمي إليه استكشاف الألعاب العقلية ، وبغير هذا الأساس يصير التعليم ضيقاً ، عديم الخيال ، رسمياً ، محدوداً ، قاتلاً للذكاء» .

والقدماء أنفسهم أدركوا مبلغ أثر اللعب في إظهار قوة التعبير ، وتنمية الاستعداد الفني عند الأطفال ؛ فها هو ذا الشاعر الألماني (شيلر) يقول :

« إن كل المشاعر الجمالية الراقية ، وخير ما أنتجه عقول الإنسان في العلوم والفنون والمباحث الفلسفية ، تستمد من الدافع الطبيعي للّعب » ؛ ويقول (كارل جروس) : « من الواجب أن نعامل الطفل معاملة جدية ، كشاعر أو كاتب إذا تخيل نفسه في ألعابه كذلك ، وأن نساعده على استكشاف كل ما تميل إليه نفسه ، مادامت كل المبتكرات والمستكشفات الجغرافية ، والفنون والمباحث العلمية مرتبطة باللعب ارتباطاً وثيقاً ، ومتممة له في إظهار الشخصية الفردية .

وبكل هذا نادى أكبر زعماء التربية : روسو وفروبل ؛ ولهذا جعلت

(منتسوري) اللعب أساساً للتعليم ، حتى تكون مسؤولية العمل كلها ملقاة على عاتق التلميذ .

على أنه إذا لم يكن في ألعاب الطفولة الأولى شيء غير إشباع الخيال لكفى ؛ لأن الطفل لا يصل إلى التمييز بين المادي الخارجي ، وعالم الفكر الباطني إلا بعد تجارب قاسية يتعلم فيها كيف يعد نفسه للوسط الذي يعيش فيه . وهذه النزعة في الأطفال أساسها : الخيال والسذاجة ، وضعف القدرة على إدراك حقيقة الحياة كما هي ؛ فالطفل أثناء اللعب إذا ركب العصا على أنها فرس ، أو الوسادة على أنها قطار ، يقبل الأمور الخيالية على أنها حقيقية من غير استدلال أو إدراك لما فيها من علاقات صحيحة أو فاسدة ؛ فهو يعيش في جو كله خيال ، وهذا الخيال يملك عليه مشاعره ، ويكوّن مجرى تفكيره بطريقة تظهر كل قواه الفنية الكامنة ، من ميل للموسيقى ، والشعر والفنون الجميلة .

أما الألعاب الجمعية المنظمة ، فلا ينكر إنسان مالها من فوائد اجتماعية وخلقية وعلمية ؛ ونستطيع أن نلخص ما قيل في فوائدها في النقط الآتية :

(١) ليس هناك من شك في أن التمرن على الألعاب الجمعية يساعد على النمو العقلي ، يؤيد هذا وجود علاقة إيجابية بين النشاط الذي يبذله التلاميذ في اللعب ، والقدرة العامة على التصرف في الأمور العقلية والمدرسية . والملاحظ أن الأطفال الذين يلعبون ألعاباً منظمة بإتقان يكونون فوق المتوسط في الدراسة ، وأن قليلاً منهم دونهم بقليل .

(٢) يصح كذلك أن نقول إن اللعب الجمعي يقوّي في اللاعبين – إذا تشبعوا بروحه – سرعة التفكير والعمل ، والحكم السديد ، وسعة الحيلة ، والتحفز ، والنشاط ؛ وهذه كلها من مقومات النجاح في الحياة .

ولذلك ينصح كبار المربين وعلى رأسهم الدكتوراة (ريني) بأن تكون الألعاب الجمعية – وخصوصاً كرة القدم للبنين ، و (الهوكي) للبنات – إجبارية في جميع المدارس . خصوصاً من سن ١٢ للأولاد ، و ١٣ للبنات .

(٣) الألعاب المنظمة تعود اللاعب التعاون والخضوع للنظام العام ، ولها فوق هذا أثر كبير في رقي الأمم وتنافسها في سبيل الخير العام ، وتساعد على تقريب وجهات نظرها وتقوية الروابط بينها (كالألعاب الأولمبية) . وقديماً كانت ألعاب اليونان موضع فخارها وعنوان مجدها ، وبلغ من تقديرهم لها أنهم كانوا يضعون الفائزين فيها في مصاف الأبطال الخالدين المقدسين ، هم وأسرهم وقبيلهم وكل من ينتمي إليهم . وكانوا يفخرون بهم أكثر مما كانت قبائل العرب تفخر بشعرائها . ولا نغالي إن قلنا إن سر استسلام الأمم التي قهرها اليونان في فتوحاتهم يرجع إلى أثر سمة اليونان الرياضية ، وأخبار فروسيتهم في نفوس المقهورين .

(٤) وهي كذلك أساس النهضة الاجتماعية والسمو الخلقي ، لأنها تبعث في نفوس الناس روح الشفقة والحنو والمشاركة الوجدانية ، وتعمل على تجانس الأفكار وتوحيد الثقافة ، وتهذيب روح الفن الجميل وتقديره ؛ والفن هو مقياس رقي الأمم وسر عظمتها ؛ إذ ليس من شك في أن الموسيقى في ألمانيا ،

وفن العمارة في فرنسا وانكلترا ، والتصوير في إيطاليا ، كانت من أهم العوامل فى نهضتها الحديثة .

هذا في تهذيب المجتمع ، أما في الفرد فيكفي أن نقول مع العالمين (أو كدن وستورت) : إن اللعب يرجع بالرجل إلى الوراء ، فيجعله ينسى همومه ومتاعبه ، ويستعيد نشاطه . ويدفع بالطفل إلى الأمام ؛ فيعلمه ويجعله يتقن ما يتعلمه ليصير رجلاً نافعاً فيما بعد .



الصغار والكبار

قلت لابني عصر يوم — وفي نيتي أن أزجره زجراً قوياً عن العبث بكل ماتصل إليه يده — « أتحب أن تخرج معي اليوم ؟ » وسبقته إلى الباب الخلفي المفضي إلى الصحراء ؛ وقلما كنت أستصحبه لتعذر السير عليه في الرمال ، فرمى الكرة ومضى يعدو خلفي ليلحق بي فلما اطمأن بنا السير شرعت أستقصي معه ما يعلم وما يجهل مما ينبغي أن يعلم ، وكانت خلاصة دفاعه — بألفاظه أنا لا بالفاظه هو — أنه يكلف العلم باشياء عديدة يجد عسراً في فهمها وإدراكها مضافاً إلى ذلك أنه لا يدري كيف يمكن أن تعنيه هذه المعارف التي يطلب منه الإلمام بها ، وأن كثيراً مما يشتهي أن يعرفه ويلذ له ويمتعه أن يحيط به ، لا يجد من يدله عليه .

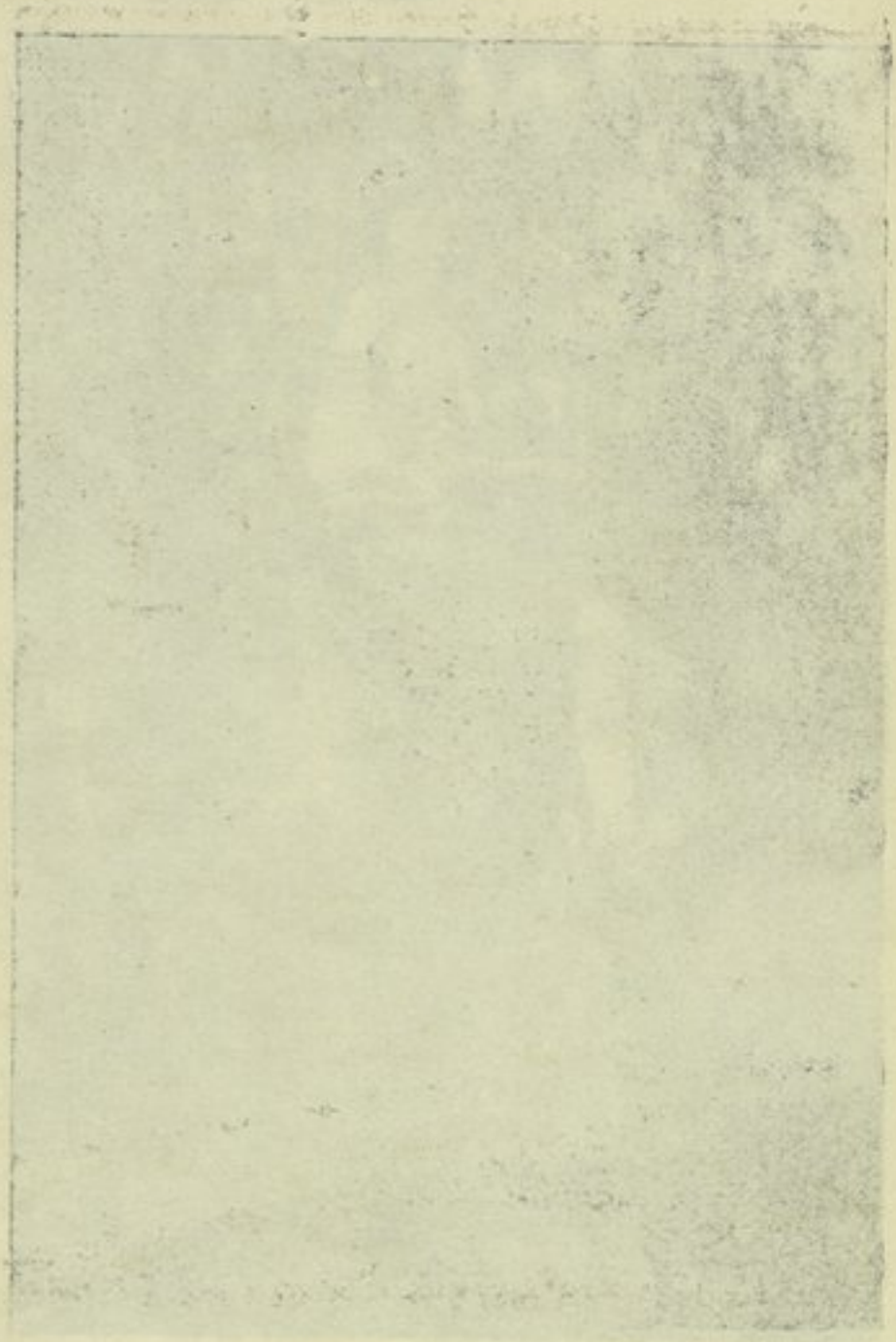
هذا فيما يتعلق بالعلوم والمعارف ، أما من حيث السلوك والسيرة ، فالمسألة أدق والمشكل أشد تعقداً ، ذلك أنه لايزال يلقن — في المدرسة وفي البيت — أن للخير والشر آثاراً ونتائج تحيره جداً حين يتأملها أو يحاول أن يردها إلى أسبابها ، مثال ذلك أنه غافلنا مرة واقتطف من الكرمة عنقوداً اضطره اقتطافه إلى المخاطرة بالتسلق ، وأكله ولم يكتمني أنه كذب حين سئل في ذلك فقال :

إن العنب كان يثب إلى فمه ، ومن العجيب في رأيه هو — أنه كان في ذلك اليوم أصح وأنشط وأنه لم يصبه سوء ما وأن الله لم يعاقبه لا على



فارسة مجيدة هي فوزية صاحبة السمو الامبراطوري

« وترى سموها تمتطي صهوة جوادها ، وهي في عهد الطفولة »



الكذب ، ولا على أكل العنب خلسة ، ولا على الخطأ في كظ معدته وإدخال طعام على طعام . ولم أكن أتوقع من ابني هذه المخاطرة التي باغتني بها وعارض لي فيها الواقع بما في الكتب وما على ألسنة المربين . فحرت ولم أدر ماذا أقول له ، وتحلل العزم على تأنيبه وألفيتني أفكر في الطفولة وطبيعتها، وفيما نمسخ به هذه الطبيعة بما نحاول من إكراهها عليه وصبها فيه ، ثم تملكني روح العبث الذي أنكره عليه والذي كنت أهم أن أزجره عنه ، فقعدت على الرمل وأقعدته أمامي وقلت له بعبارة أقرب من هذه إلى مستوى إدراكه :

« إسمع ! إني أفكر الآن في تأليف كتاب على نمط جديد ، كتاب مدرسي ولكنه يخالف كل ما في المدارس من الكتب . كتاب لذيذ ممتع جداً ، ولكني لا أستطيع أن أضعه وحدي بل لابد لي من معين ، فما قولك في معاونتي ؟؟ هل تقبل أن تشاركني في تأليف هذا الكتاب ؟ »

فنهض إلى ركبتيه وأقبل على وجهي يربت لي خدي بكفيه الصغيرتين ويسألني وهو يضحك :

يابابا ماذا تقول ؟

« أقول إني أريد بمعونتك — أن نصلح هذه الدنيا التي تراها — أنا وأنت — مقلوبة ؟ » .

قال : وكيف نفعل ذلك ؟ وكيف أساعدك أنا ؟ وماذا تعني ؟ .

قلت : « يسعك شيء كثير جداً ، فليس كونك صغيراً بمانع أن يكون لك عمل كبير . ولكن لا تربكني بكثرة الأسئلة ، وخير لنا

وأنجح لقصدنا أن نتقصى الموضوع على مهل . ويجب قبل كل شيء أن أكون واثقاً من استعدادك لمعاونتي ومن أنك ستفكر تفكيراً جدياً فيما يستقر عليه رأينا » .

فتعهد لي بذلك فقلت له :

« أليس شكواك أن الكبار من أمثالي ...»

« ليسوا من أمثالك يابابا ..»

« وحسن : أليست شكواك أن الكبار غيري — لايحسنون تعليم الصغار أمثالك ؟

قال نعم .

قلت ماضياً في كلامي : « وأن الكبار يلزمون من الصغار سلوكاً يبدو للصغار غير معقول ويعاملونهم معاملة يمكن أن نسميها غير عادلة قال : نعم . وأنا أقول لك : لماذا ينبغي دائماً أن أنام في الساعة الثامنة ؟ لماذا لا يسمح لي بالسهر أحيانا مع الكبار إلى أن أحس بالحاجة إلى النوم ؟ وإذا لم أنم كما تريد جدتي — حتى في النهار — فإنها تقول لي إني ولد عنيد » .

قلت : « هذا صحيح ، وإذا اتفق أن دار أمامك حديث وبدا لك أن تقول كلمة كغيرك من الجالسين ، زعموا أن هذا منك قلة أدب وسوء سلوك. أليس كذلك ؟ » فهز رأسه مرات وهو لايستطيع النطق من الإغراب في الضحك ومضيت أنا في ملاحظاتي التي شاقته وأعجبته وأرضته فقلت :

« وإذا رأوك تلعب بالكرة قالوا لك إنك شقي ، وأن اللعب بالكرة

غير محمود ، وإذا سكت ولم تلعب ولم تتكلم ، زعموا أنك سيء الطبع ، أو ادعوا أنك مريض وسقوك على كره منك ملء فنجان زيت الخروع ...»

فقاطعني متمماً لي ملاحظاتي :

وإذا كانوا يبحثون عن شيء ولا يجدونه ظنوا أني أنا الذي خبأته ، ثم إذا وجدوه حيث وضعوه نسوا أنهم هم الذين فعلوا ذلك واتهموني انا ، وأجادلهم وأبين لهم أن لا دخل لي في ذلك كله ، فيختمون حوارهم معي بأنهم تعبوا من الكلام معي كأني أنا لم اتعب ايضاً من سماع كلامهم » قلت بدوري مقاطعاً :

وإذا كسروا قلة أو كوباً لم يسألوا عيونهم لماذا لم ترها كأن عيونهم ليست مكلفة أن تبصر شيئاً أبعد من انوفهم ، بل راحوا يتساءلون عمن وضع القلة هنا كأن واضعها هو المسئول ...»

قال : «أما إذا كسرتها انا فالويل لي من شيطان يجب أن يحبس في غرفته منفرداً » .

قلت : « وإذا كلفوك أن تأتي بشيء ولم تجده لانه ليس في المكان الذي بعثوا بك إليه أو لان شخصاً نقله ، فإنك تكون في رأيهم ولداً خائباً وغبياً لا يفهم » .

قال : « وأنا دائماً المخطىء وهم أبداً على صواب حتى صرت واثقاً أني لا يمكن أن أكون مصيباً في عمل أو قول . وهذا يحيرني جداً ويربكني يابابا » .

قلت : « أظن الآن موضوع الكتاب صار واضحاً ظاهر الحدود ، بين المعالم . وسنقلب فيه المسألة ، ونجعل الصغار هم العقلاء الحكماء الذين لايخطئون أبداً ، والكبار هم الأغبياء البلداء الذين لا يصيبون والذين يحتاجون إلى الرقابة والإرشاد والزجر والتأديب » فطار الغلام من الفرح ووثب على رجليه وانهال عليّ تقبيلاً وألح عليّ بالسؤال « أصحيح ما تقول يابابا ؟ ».

قلت : نعم وسنسميه « المختار في تهذيب الكبار » ونجعل الصغار هم الذين يبقون في البيت لتدبير شؤونه ، والكبار هم الذين يذهبون إلى المدرسة ، ونلبسهم ما يلبس التلاميذ والتلميذات الآن من البذلات القصيرة ، ونقص لجدتك شعرها ونخرجها في قبعة من قبعات البنات الصغيرة ونضع لها على صدرها « مريلة » ونبعث بها إلى المدرسة ، وإذا لم تحفظ دروسها عاقبناها بالوقوف ووجهها إلى الحائط ، وإذا أكثرت من اللعب حرمناها الحلوى ، وإذا لم تنم في الساعة الثامنة ، عددناها سيئة الخلق عنيدة . ولم نخرج بها للرياضة في يوم « الجمعة ».

قال : « ويجب أن نحرم عليها اللعب إلا مع لداتها من الجدات لنظائرها وإذا وجدناها تلاعب واحدة من الشواب عاقبناها بالحبس في غرفتها ، وإذا جلست ساكتة أم لم تتناول طعامها بإقبال أنمناها في سريرها وجرعناها ملء كوب من زيت الخروع ، وإذا كرهت طعمه أو تقززت من مذاقه قلنا لها إنه يفيدها وإننا نحن نعرف ما يصلح لها وما لا يصلح ، وإذا جلست معنا واشتركت في الحديث انتهرناها بنظرة ، فإذا لم تكف أفهمناها أن الكبار لا يصح أن يقاطعوا الصغار ... »

قلت : « وإذا سألتنا – أعني إذا سألت الصغار – عن شيء نجهله قلنا لها ، إن هذا أمر لا تستطيعين فهمه وإدراكه الآن والسيدة المهذبة يجب ألا تكثر من الأسئلة أو تحشر أصابعها فيما لا تفهم » .

قال : وإذا أكلت من الشكولاتة أكثر مما يوافقها لم نأخذها إلى السينما وحرمناها مناظر شارلي شابلن وأضرابه . ثم رفع إليّ وجهه وقد بدت عليه أمارات التفكير الجدي وسألني :

« ولكن هل نسمح لها بالاختلاط بالرجال وملاعبتهم ؟ » قلت : « بقدر . وعلى أن يكون لنا – أعني للصغار – حق المراقبة والتدخل إذا وجدنا أن الضرورة تقتضي ذلك . »

قال : « والدروس التي نتلقاها الآن ألا يتغير منها شيء ؟ » .

قلت : « أكثرها يبقى كما هو . ولكن الموضوع من كتب المطالعة والمحفوظات يتغير لأنه في الأصل مجعول للأطفال ، وهذا يعود بنا إلى مشروعنا ، فإن الذي أفكر فيه وأريد منك أن تعينني عليه ، وهو كتاب يحتوي طائفة متخيرة من القصص والموضوعات يتعلم منها الكبار آداب السلوك وما لهم وما عليهم في الحياة ، والواجبات المفروضة عليهم نحو الصغار أولياء أمورهم ولذلك ينبغي أن يلغى من الكتب أمثال « سمير الأطفال » و « القراءة الرشيدة » للأطفال ، فإنها جميعها لا تصلح لمشروعنا » .

قال : ومن يؤلف هذه القصص ؟

قلت : « أنا وأنت ، ولسنا نحتاج لتعب كبير لأن الأمر لا يتطلب فيما أقدر إلا تحويراً قليلاً يجعل القصة للكبار بدلاً من الصغار » .

قال : وهل نطبع الكتاب ونبيعه ؟

قلت : « ولم نتكلف وضعه إذا لم نطبعه لنبيعه ؟ »

قال : وهل يشتريه الكبار ويقرؤونه ؟

قلت : « إذا لم يفعلوا فإن في وسعي أن أوعز إلى نفر من أصدقائي بأن يحملوا في الصحف على الكتاب حملة عنيفة ، وبأن يصفوه بأنه مخالف للآداب ومناف لكل ما درجت عليه الإنسانية ، وهذا وحده كفيل بترويجه » .

قال : وهل كل ما يخالف الآداب يطلبه الناس ؟ .

قلت : « لا أستطيع أن أقول نعم أو لا ، ولكن الذي أريد أن أقوله هو أن حب الاستطلاع يدفع الناس إلى طلب هذا الكتاب الفريد في بابه » .

قال : وكيف تقرؤه جدتي وهي أمية ؟

قلت : « إن الأمية الفاشية بين الكبار من أمثال جدتك مما يسوغ مشروعنا ويجعله ضرورياً ، أليس الواقع الآن في الأغلب والأعم أن الجهلاء هم الذين يتولون تربية المتعلمين أمثالنا ، أو توجيههم في الحياة ، واختيار ما يصلح لهم ، والأمر ينبغي أن يكون من نقيض ذلك » .

قال : « ولكن إذا لم نحسن تدبير المنزل أو إذا لم تجد الصغيرات مثلاً طهي الطعام وتذمر منه الكبار ؟

قلت : لم يعوزنا كلام نسكتهم به كما يفعلون بنا الآن . وما علينا أن نتهمهم بالبطر والتدلل القبيح ونزجرهم عن ذلك كله . فضحك وقال : « إنك ماهر جداً يابابا . ولا بد أن يكون الكبار قد ضايقوك جداً في صغرك ، فأنت الآن تريد أن تنتقم منهم » . ثم ألقى نظرة خبيثة وهو يسأل : فهل كان أبوك ثقيلاً يابابا ؟

فتماسكت بجهد وسألته بدوري :

« ثقيلاً مثل من ؟ » .

قال :

« لا أعني مثل أحد ، ولكنه سؤال فهل اخطأت فيه ؟

قلت : « كلا . ولم يكن أبي ثقيلاً فيما اذكر ، وعلى أنه لم تتح له معي فرصة كبيرة لذلك ، فقد مات وأنا صغير .

وهنا رأيت أن الأحزم أن نعود مخافة أن يسترسل في مثل هذه الأسئلة المحرجة ، التي جرها علي التبسط معه في هذا الموضوع والأطفال كما يعرف ذلك من كابدهم ، لا يستطيع المرء أن يتكهن بما يجري في رؤوسهم أو يعرف ماذا يتوقع منهم ، فإن لهم وثبات غير مأمونة .

فنهضت وطلبت منه أن يفكر في الموضوع . وبينما كنا عائدين سألني

فجأة : « وأنت يابابا هل نضعك مع الكبار أو مع الصغار ، فدفعت الباب ولم أحر نطقاً .

ابراهيم عبد القادر المازني
صندوق الدنيا



كيف تصادق اطفالنا

سيداتي وسادتي :

لا تظنوا أن الظفر بصداقة الطفل أمر سهل ، لأن بيننا وبين الأطفال فوارق كثيرة جداً ، وهذه الفوارق تباعد ما بيننا وبينهم وتجعل عقد المودة معهم أمراً عسير المنال .

وأسعد الآباء هو من يستطيع الوصول إلى قلوب أبنائه في ترفق وتلطف ليكونوا قرة عينه ، وليكون قرة أعينهم ، وليصبح البيت موئلاً للانشراح والابتهاج .

وأسارع فأقرر أن الأب لا يستطيع الظفر بصداقة أبنائه إلا إذا ضمن عطف زوجته عليه ، فالزوجة هي الرباط الأول بين الأب وبين قلوب أبنائه، وهي تستطيع أن تغير قلوبهم على أبيهم حين تشاء ، لأنها تملك من أمورهم كل شيء ، ولها وسائل خفية تصل بها إلى قلوب الأطفال .

وبيان ذلك أن بعض الزوجات يستطبن إعلان التذمر من الأزواج ، وهذا التذمر قد يسمعه الأطفال فيرسخ في أذهانهم أن أباهم رجل بغيض ، وعندئذ يصعب على الأب أن يظفر بصداقة بنيه .

والزوجة الصالحة هي التي تشعر أبناءها في كل وقت بعظمة أبيهم وتروضهم على احترامه وحبه ، وتؤكد في أنفسهم الشعور بما يملك من جميل المناقب والخصال .

الزوجة الصالحة تقول للطفل : « تمسك بهذا الخلق فإنه يرضي أباك ، وتجنب ذلك الخلق فإن يغضب أباك » .

وعندئذ يشعر الطفل بأن عند أبيه ذخائر من الفضائل فيتشوف إلى الاطلاع على مافي قلب أبيه من كرائم الطيبات . ويرى الطاعة من صالحات الأعمال .

فإن سمعتم أن طفلاً يحب أباه فاعرفوا أن لذلك الطفل أماً صالحة وإن سمعتم أن طفلاً يبغض أباه فاعرفوا ان له أماً ذميمة الخلال . وإنما اهتمت بتأكيد هذا المعنى لأنبه الزوجات إلى حقيقة غفل عنها أكثر المربين ، وهي أن الأطفال وديعة ثمينة في أيدي الأمهات ، ومن الأمهات من ينسين الواجب فيفسدن ما بين الآباء والأبناء ، ويحرمن الأطفال من نعمة عظيمة هي الثقة بالوالد المسكين الذي يضطرب في دنياه ليقدم إلى زوجته وأطفاله أسباب الرخاء .

وما ابتكرت هذه الحقيقة ، وإنما هي درس تلقيته عن أهلي فقد كان أبي رحمه الله رجلاً جافياً جداً ، وما أذكر أن ابتسم في وجهي غير مرات معدودات ، ولكن أمي رحمها الله كانت لاتذكره أمامي بغير الخير ولا تصوره بغير الجميل .

وكنت في طفولتي ارى ابي لغزاً من الألغاز ، فهو فيما ارى رجل عنيف ، وهو فيما تصور أمي رجل لطيف ، ولم أعرف وجه الحق إلا يوم حرمتني

المقادير من أبي وأصبحت في الدنيا بلا صديق ولكن ما الواجب للحرص على صداقة الأطفال ؟

لقد سمعت أننا من بني آدم ، وسمعت أن آدم كان رجلاً له قلب والأطفال يعيشون بيننا في غربة موحشة فليسوا من جيلنا ولسنا من جيلهم فهمومهم غير همومنا ، وهمومنا غير همومهم ، ولن يمكن التوفيق بيننا وبينهم إلا إن صعدوا إلينا أو نزلنا إليهم فمن كان له قلب فليتعرف هذه الحال وليفكر في إيناس اولئك الغرباء الذين يتشوفون إلى العواطف والقلوب .

وأول ما يجب التنبه إليه هو اليقين بأن الأطفال يعيشون في عالم المحسوس ويجهلون عالم المعقول . وعالم المحسوس هو الأصل ، ولو شئت لقلت إن عالم المعقول ليس إلا تصويراً لعالم المحسوس .

ومن واجب الاب أن يدرك أن الاطفال يرون الدنيا بعيونهم لا بعقولهم ومن واجب الاب أن يفهم أن مدركات الحواس هي كل شيء عند الاطفال .

فإن بدا لك أن تصادق الطفل فابحث عن مواقع هواه ، واعرف أن فمه اكثر يقظة من عقله ، وأن صندوق الحلوى أفضل إليه من الكتاب الجديد ، وان الثوب المرقش احب إليه من القول المزخرف .

والاب الذكي اللبيب هو الذي لا يلقى طفله وفي يده هدية أو تحفة أو طرفة ، فإن فاته ذلك فليقدم إلى طفله قطعة او قطعتين من النقود . وليذكر دائما ان هذا هو ما يدرك الاطفال من معاني الوجود وفي الدنيا اشياء هي عندنا

أوهام وهي عند الأطفال حقائق ، ولن نظفر لصداقتهم إلا إن رأينا الدنيا بعيونهم ولعلهم أعرف وأصدق ! كنت أدخل المنزل فيلقاني أطفالي باسمين متهللين لأن الراديو قدم إليهم هدايا نفيسة فيها من كل فاكهة زوجان فأفرح لفرحهم ، وأطلب نصيبي من هدايا الراديو فيقدمون إليّ ما بقي من هداياه متفضلين . وكان هذا الراديو عجيباً ولعله أعجب راديو عرفه الناس كان الأطفال يصبحون فيجدون حوله أطايب كثيرة من المأكولات والمشروبات فيصفقون ويهللون ، وتموج بهم الدنيا موج الفرح والاغتباط .

وكنت انتفع بهذه الفرصة فأفرح لها كما يفرحون .

وكان في المنزل طفل كبير يرتاب في هدايا الراديو ويظن لسخفه أن تلك الهدايا قدمتها يد إنسان لا يد شيطان .

وكنت بفضل عقلي أفهم أن هدايا الراديو هدايا رديوية وأن الراديو هو الذي ينقل الهدايا كما ينقل الأصوات .

وكان أطفالي يحبون أباهم لأنه عاقل ويتهمون أخاهم الكبير بالجنون فليت شعري ماذا صنع الراديو بعد رحيلي إلى العراق ؟

أكان يجري على عادته السخية فيقدم الهدايا إلى أطفالي في الصباح والمساء ؟ أم ترونه حزن لفراقي فحرم الأطفال من تلك الهدايا الطيبات ؟

إن الراديو الذي في منزلي بمصر الجديدة هو أغرب المبتكرات ومن

الواجب أن يكون له أمثال في كل أرض ، هو راديو كريم يقدم إلى الأطفال كل ما يشتهون ، وهو يعرف الفوارق بين هدايا الموسم وهدايا الأعياد ، ولم يكن فيه إلا عيب واحد : هو أنه يضن بالهدايا حين أغيب ولا أعرف السبب في ذلك ! فمتى أرجع إلى أطفالي ليرجع الراديو إلى بره المألوف ؟

والطفل كثير الاعتداد بالنفس وهو لا يصادق من يعدون عليه الذنوب. ونحن خليقون بالتغاضي عن هفوات أطفالنا لأنها في الأغلب هفوات طبيعية ولأن هؤلاء الأطفال سيدخلون دنيا الناس بعد حين وسيشربون الصاب والعلقم من أيدي الاصدقاء المزيفين ، سينتقل هؤلاء الاطفال إلى دنيا خسيسة لئيمة لا كرم فيها ولا رفق سينتقلون إلى صحبة ناس لا يسترون عيوبهم ، ولا يغفرون ذنوبهم فلتكن صحبتهم إيانا هي الموسم الطيب الذي يرونه في الحياة .

ولنتذكر أن الاطفال الصغار ليسوا أغفل من الاطفال الكبار فقد كان لي صديق أثق بعقله وكرمه ونبله ، ثم اتفق أن أداعبه فأذكر أنه دميم الوجه والدمامة لا تعيب الرجال فغضب وشتمني أقبح الشتم في إحدى الجرائد ،وعنه تلقيت درساً لن أنساه : وهو أن الاطفال الكبار أقل عقلاً من الاطفال الصغار في بعض الاحيان ومزاحهم ثقيل ممجوج !!

وأطفالنا سيلقون هذه المكاره بعد حين ، فلنعطف عليهم ولنذكر أننا

تلقيهم إلى دنيا غادرة لا يحفظ فيها تاريخ إنسان إلا إن لطخ يده بدماء الأبرياء .

والطفل يجب أن تكون له أخلاق الرجال وشمائل الرجال ولن نظفر بمودته إلاّ إن منحناه الثقة بمواهبه العالية فما الذي يمنع من النزول عند إرادته عساه يستفحل ويستأسد الطفل يثق بأنه أجمل الناس وأذكى الناس فما الذي يمنع من أن نقول له صدقت أيها الذكي الجميل ؟! إننا ننخدع كارهين للأطفال الكبار وهم الرجال ! فما الذي يمنع من أن ننخدع طائعين للاطفال الصغار وهم الابناء

سيداتي وسادتي :

إسمحوا لي أن أعتب عليكم بعض العتب :

لقد مضت أجيال وأجيال ونحن نفرق بين الذكور والإناث .

وقد شهدت بذلك آثار العرب واليهود والهنود .

فهل آن أن نعرف كيف نحب أطفالنا من البنات ؟

إن البنت مخلوق نفيس وهي مصوغة من الروح والوجدان .

إن البنت هي سر الوجود ، ولكن اين من يفهم المعاني ؟

إن البنت هي مصدر الرفق والعطف والحنان .

إن البنت هي أصل ما نملك من الرزق لانها ضعيفة والله يرزقنا بفضل ما في بيوتنا من الضعفاء .

إن البنت هي التي تعرف كيف تواسي اباها او اخاها او زوجها وهو

على فراش الموت ، فاحترموا البنت وأعزوها واجعلوها من كرام الأصدقاء ؟

هل قرأتم سيرة المسيح ؟

لقد شاء الله أن يكون ذلك النبي ابناً لامرأة تنكر لها أهلوها ليريكم أن الأمر بيد الله لا بيد الناس .

أراد الله أن يعلمكم أن تقاليدكم خداع في خداع وأنكم لم تروا من بحار الحقائق غير أوشال .

وقد سمعت أن أناساً من الانكليز يتطاولون على « العذراء » في حديقة هايدبارك فليتطاولوا كيف شاءوا فستبقى العذراء وإن نطحوا بقرونهم رواسي الجبال .

سيداتي وسادتي :

صادقوا أطفالكم وأطفال من تعرفون بلا تحفظ ولا تهيب فالطفل هو الزهرة الكريمة التي تنبت في الصحراء

الطفل هو أطيب ما في الوجود وهو الصديق الحميم الحق لو تعلمون .

الطفل هو الذي يقبل وجوهكم برفق وعطف وكل مودة غير مودة الطفل هي رياء في رياء .

الطفل هو المؤمن بالوداد ومن سواه كفار جاحدون .

قبلة الطفل صدق في صدق وصداقة الطفل إيمان في إيمان .

فإن فاتتكم تلك القبلة وهذه الصداقة والمودة فتعيشون محرومين .

الطفل مخلوق لطيف لم يطلع على سفه الدنيا ولؤم الزمان .

الطفل يثق ويوقن فأفهموه أنكم أهل للثقة واليقين .

الطفل يشتهي أن يحب فأحبوه .

الطفل يطمئن إليكم ، فاطمئنوا إليه .

الطفل يتوكل عليكم ، فتوكلوا على الله سبحانه وتعالى واعطفوا أنتم عليه .

الطفل يتوهم أنكم ناس ، فأفهموه أنكم ناس .

الطفل هو نعمة الله فلا تجحدوا نعمة الله .

أما بعد فإن الظفر بصداقة الطفل أمر سهل عند من يفهم أسرار الغرائز والميول ولكنه صعب جداً على من ينتظر من الأطفال أن يفكروا بعقول الرجال .

فارجعوا إلى طفولتكم حين ترون أطفالكم لتذوقوا معاني السعادة من جديد ، ولتنسوا في صحبتهم متاعب الجد الرزين .

الدكتور

زكي مبارك

المفتش بوزارة المعارف

عن كتاب « وحي بغداد »

الحيرة فى تعليم الناشئة

في موعد معين من كل سنة تقوم في البلاد ضجة سببها ضيق المدارس عن أن تتسع لطالبي الدخول فيها والالتحاق بها لاستكمالهم حظهم من العلم .

وفي مثل هذا الموعد من كل سنة تكثر الاقتراحات بضرورة زيادة عدد المدارس أو عدد فصولها حتى لايحرم هؤلاء الراغبون في العلم من ورود مناهله. وتجاهد وزارة المعارف بقدر طاقتها لإجابة هذه المقترحات وإن كانت تجد أمامها في أحيان كثيرة صعوبة أعوض بكثير من صعوبة توفير المحلات للطلبة والتلاميذ ، تلك صعوبة وجود المدرسين الذين يمكنهم القيام بأعباء التعليم قياماً لا يسقط به إلى مستوى دون مستواه الحالي ، خصوصاً أن هـذا المستوى ليس مداه داعياً إلى الاطمئنان أو سبباً من أسباب الغبطة .

وليس من غرضي أن أتناول هذه المسألة الآن بالبحث أو أن أبدي فيها اقتراحاً جديداً . فهي في الواقع مسألة إمكان عملي لاحظ للنظر فيها . وإنما أريد أن أعرض مسألة أخرى تقوم إلى جانبها وتتصل بحياة الأمة اتصالاً أعمق منها . تلك مسألة الأساس الذي يبنى عليـه التعليم في مصر والغاية التي تقصد منه .

وهذه المسألة تخالج نفوس كثير من الآباء حين يريدون البدء في تعليم أبنائهم . وتخالج بنوع خاص نفوس الآباء المستنيرين الذين يريدون بتعليم

أبنائهم غاية سامية فتعروهم حيرة أشد حيرة كيف يوجهونهم وإلى أي المدارس يذهبون بهم . فكثيراً ما نسمع في مثل هذا الموعد من كل سنة هؤلاء الآباء يتساءلون : أيذهبون بأبنائهم إلى مدارس أجنبية فرنسية أو انكليزية. وهم يتساءلون عن هذا في كثير من الوجل ، لأنهم لا ينظرون إلى أي واحدة من هاتين الناحيتين من نواحي التعليم بعين الطمأنينة . فأما المدارس الأجنبية انكليزية او فرنسية او امريكية وغيرها ، فيقوم التعليم فيها على اساس ترضاه نفوس الآباء . ذلك أن هذه المدارس تعمل عَلَى القاعدة المعقولة للتعليم : قاعدة تكوين شخصية الطفل ليصبح وحدة في الحياة قائمة بذاتها قديرة على ان تعتمد على نفسها .

لكن ما يلقى في هذه المدارس لايتفق في شيء مع روح مصر وحياتها . فالمتعلمون فيها لا يعرفون لغة البلاد ويضطرون في احيان كثيرة إلى تلقي دين غير دين آبائهم . ثم هم كذلك لا يدرسون تاريخ مصر ولا تخطيط المدن فيها ولا تطور ثقافتها ولا آدابها ولا شيئاً مما يتصل بها ، بل يدرسون في المدارس الفرنسية ما يتصل من هذه الشؤون بفرنسا ، وفي المدارس الانكليزية ما يتصل منها بانكلترا ، وهلم جرا ، حتى لتستطيع أن تقول أنها انشئت لتعليم أبناء بلادها المقيمين في مصر لا لتعليم المصريين انفسهم . فالمصري الذي تعلم فيها شاباً كان او فتاة يخرج منها وليس بينه وبين وطنه اتصال نفساني او عقلي صحيح إلا أن يكون بطبيعته ممتازاً يستطيع أن يخلق هذا الاتصال بدراسات خاصة يقوم بها فيما بعد سني الدراسة او اثناءها . والامتياز لا يوهبه

إلا الأقلون . فالأكثرون إذن من خريجي هذه المدارس يظلون غرباء في بلادهم شاعرين دائماً بأنهم لا يستطيعون الاتصال الروحي الخالص بأهله ولا بجده ولا بماهيته .

وحسبك هذا الشعور دليلاً على أن ما تلقوه من التعليم بدل أن يقوي شخصيتهم قد بدلها شخصية أخرى ، شأنهم في ذلك شأن البستاني يطعم على جذور شجرة من الأشجار فروع شجرة أخرى فيظل الجذع والفروع متناهضين وتكون الثمرة لا هي ثمرة الجذع ولا ثمرة الفرع ولا تتصل بهذا ولا بذاك الاتصال الطبيعي الصحيح رغم ما قد يبدو على ظاهرها من انها أفادت من الجذع والفرع جميعاً . ولعل مشاهداتنا في مسائل التعليم تؤيد هذا وتقويه .

هذا وأما المدارس المصرية ، سواء منها مدارس الحكومة وغيرها ، فتوجه بعض العناية ، لا كلها ، إلى الناحية القومية التي تصل بين المرء والبيئة التي ينشأ فيها والتي سيعيش لها وبينها . لكنها مع ذلك لايقوم التعليم فيها على قاعدة التعليم الصحيحة ، ولا يفكر القائمون بأمره في أن تكون الفكرة منه تقوية شخصية المتعلم بحيث يستطيع ، متى أتم دراسته ، أن يكون في الحياة رجلاً قديراً على الاعتماد على نفسه والثقة بها . تلك القاعدة التي يقوم التعليم المصري عليها أن يكون الطفل وحدة من وحدات القطيع في المدرسة يجري ، وإياها فيسبقها أو تسبقه حسب المصادفات والظروف وحسب الحظ الذي يتاح للمتعلم .

وليس من شأن هذا النوع من التربية أن يجعل الفرد يحس لنفسه بكيان خاص ويشعر بكرامته الانسانية وبالواجب عليه أن يقوم في الحياة وحده أولاً ثم متعاوناً مع الآخرين ثانياً . بل شأنه على العكس من ذلك : أن يضعف الشخصية الانسانية ، وأن يجعلها تفنى في شخصية القطيع ومن يقوده ، فتعتاد الطاعة العمياء والاندفاع مع التيار من غير تفكير وتوخي المصلحة الذاتية ، أو — بتعبير أصح — اتقاء الضرر الذي يصيبها من الاحتكاك بالغير .

فإذا خرج أحد من ناشئة المدارس المصرية على هذه القاعدة كان شخصاً ممتازاً بطبيعته تتغلب شخصيته على كل عوامل الضعف التي أدخلها التعليم وأدخلتها التربية عليها .

والامتياز لا يوهبه إلا الأقلون ولا يمكن أن يكون التعليم وأن تكون التربية فاسدة الأساس اعتماداً على أن هؤلاء الأقلين يسترون عيوبها وعوراتها .

ومهما تكن في طبيعة كل أب أن يتوهم ابنه ممتازاً حتى تصدمة الحوادث وتدله على أنه عادي لا امتياز له ، فإن كل أب مستنير بفكر مع ذلك في كيفية تربية ابنه وتعليمه بحيث يزداد هذا الامتياز الذي يتوهمه فيه وضوحاً وظهوراً .

ولذلك يتساءلون : ماذا عسى أن يصنعوا بأبنائهم وفي أي طريق يوجهونهم

وكل واحد منهم يشعر بما في الطريقين من نقص وعيب . ولما كان عسيراً غاية العسر أن يقيم كل أب في داره مدرسة خاصة لابنائه ، فإن كل واحد منهم ينتهي بالاختيار كارهاً ويذهب بابنه إلى المدارس المصرية أو المدارس الأجنبية وهو محس بالنقص الفاحش في الناحيتين جميعاً .

ولسنا نستطيع أن نتوجه إلى المدارس الاجنبية بلوم او ان نطالبها بتغيير دراساتها . فهي إنما انشئت اولاً وقبل كل شيء لما يسمونه بث ثقافة الأمة التي تنتمي إليها في البلاد التي تكون فيها . وهي تطلب إلى أبناء جنسها وإلى حكومة بلادها أن تمدها بالمعونة لتستطيع تحقيق هذه الغاية . وحكومة بلادها وأبناء جنسها يمدونها بالمال والمعونة لتقوم بتحقيقها . لكن من حقنا ومن الواجب علينا ان نتوجه لمدارسنا العربية ، سواء منها مدارس الحكومة والمدارس الأهلية ، بأشد اللوم لعدم عنايتها باقامة التعليم والتربية فيها على قواعد سليمة .

لقد نفهم أننا ورثنا عن الماضي وايام كان الاجنبي هو المسيطر على سياسة التعليم في بلادنا ، هذا الميراث الثقيل الذي يجعل التلميذ يندمج في مدرسته اندماج الوحدة في القطيع من غير أن يعنى إلى حد قليل أو كثير بإبراز شخصيته . لكن هذا الميراث لا يمكن ان يبقى في هذا العهد الذي نعيش فيه ويحمل امام بلادنا تبعة تهذيب ابنائها وتربيتهم وتعليمهم . وإذا كان عسيراً على وزارات المعارف أن تقلب نظام التعليم كله دفعة واحدة ، لاستحالة وجود المدرسين الذين يقومون بهذا الواجب ، ففي مقدورها ان تنشىء للاطفال

مدرسة أو مدارس تجعل أجورها عالية بمقدار ما تشاء على شريطة أن تضع لها من النظم الجديدة ما يتفق مع القاعدة الاساسية من قواعد التربية والتعليم ، قاعدة تنشئة شخصية الطفل والصبي بما يمكنه في المستقبل من أن ينظر إلى الحياة بعين السيد المتحكم فيها لا بعين الفزع منها المستمد معونة الغير ليتغلب على صعابها ومتاعبها .

قص عليّ صديق حديثاً جرى بينه وبين أب من أصدقائه عهد بأحد ابنائه إلى إحدى المدارس الاجنبية ، فكان كلما ذهب لزيارته قابله ناظر المدرسة ومفتشها فقصوا عليه من امر ابنه ومن كفاياته وما يصلح وما لايصلح له ما يدل على أن لكل طفل عندهم شخصية يدرسونها ويتعهدونها ويجتهدون لينموا فيها القوي الصالح حتى يتلاشى بنموه الضعيف الفاسد .

وعهد بابن آخر إلى مدرسة اخرى فإذا به لايعرفه ناظر المدرسة الا على أنه « ثمرة » من القطيع الكبير المعهود به إليه ، وأنه فضلاً عن ذلك يسمع من اساتذة المدرسة وموظفيها مالا يساعد على حسن تربيته . فاحتار اينقله إلى مدرسة اخيه ، ام ينقل اخاه إلى مدرسته ، وانتهى بأن اسلم امره للمقادير وترك كل واحد منهما حيث هو .

مثل هذه الحال لا يرضى عنها احد ولا ترضى عنها امة من الامم .

ولإصلاحها يجب أن يبدي رجال التربية والتعليم رأيهم فيها .

أما نحن فنرى ضرورة البدء بإنشاء مدارس كالتي أشرنا إليها .

هذه المدارس تكون عدداً إن لم يكن كبيراً فهو الذي يستطيع أن يحسن الاضطلاع بالحياة في المستقبل ، وهو الذي يمهد السبيل لتغيير قاعدة التعليم كلها .

محمد حسين هيكل



ادبيات الاطفال

لو سألني سائل : « ما هو أهم ما ينقص آدابنا العربية ، وأشد ما تحتاج إليه خزانة كتبنا » . لأجبته بلا تردد : « هي الآثار التي تعرف باسم أدبيات الأطفال » . أعني بذلك « المؤلفات التي تخاطب الاحداث بصورة تلائم مداركهم ، وتخاطب ألبابهم ، وتثير في نفوسهم شغف المطالعة وتفيدهم من وجهتي المعارف والعواطف فوائد جمة » .

لاشك في أن خزانة كتبنا مفتقرة إلى مؤلفات كثيرة ومتنوعة في كل فرع من فروعها ، وفي كل ناحية من نواحيها ، غير أنه ، إذا كان ينقصها أشياء كثيرة في ساحات عديدة ، يمكننا أن نقول إنه ينقصها كل شيء في ساحة أدبيات الأطفال ، فإنا إذا استعرضنا كل ما كتب ونشر من هذا القبيل في جميع الأقطار العربية ، قبل النهضة الادبية الأخيرة وبعدها نجد ضئيلاً جداً لايكفي لإثارة شغف المطالعة في نفوس الأحداث ، ولا نستطيع أن نسد أبسط حاجاتهم المعنوية ...

في حين أنا نرى في البلاد الغربية خزانات الكتب طافحة بمثل هذه المؤلفات : فمن الميسور هنالك للمربين والمربيات أن يجدوا مئات من الآثار والمؤلفات التي تلائم مدارك الأطفال وميولهم ، على اختلاف أعمارهم وتحملهم على المطالعة بشوق كبير وشغف شديد ، وتفيدهم فوائد حقيقية من وجوه عديدة ...

إن في طبائع الأطفال ولعاً شديداً بسماع القصص والحكايات ؛ ولذلك نرى الامهات والجدات — في كل أنحاء الأرض ، ولذا جميع الأمم — يقصصن على أولادهن أحاديث وحكايات متنوعة ، تستهوي قلوبهم وتجعلهم يصغون إليها بانتباه شديد ، ويطلبون إعادتها من حين إلى حين .

ولماذا لا توجد كتباً تعمل عمل الامهات والجدات في هذا الباب ؟ ..

ولماذا لا نؤلف كتباً تقص على الأطفال مثل تلك الأحاديث والحكايات ؟ .

إن هذه الملاحظة قد حملت كثيراً من أدباء الغرب على الاهتمام بحكايات الامهات والعامة : أنهم جمعوا تلك القصص وكتبوها بأسلوب رشيق جذاب بعد أن حوروها بعض التحوير ، حسبما تقتضيه الأذواق الفنية من جهة ، والغايات التربيوية من جهة أخرى ، وقد اشترك معهم في هذا العمل عدد كبير من المصورين إذ أنهم تفننوا في تصوير وتمثيل أبرز صفحات تلك الحكايات ، وجعلوها بذلك أشد تأثيراً على مخيلة الأطفال .

ولكن ، لماذا نكتفي بقصص الأمهات ؟

أفليس فى استطاعة أرباب الأدب والخيال ، أن يبدعوا أمثالها بتنويع أكثر وامتاع أكبر ؟

أفلا يوجد في الحياة الحقيقية من الوقائع والحوادث الممتعة ، ما يستطيع أن يجذب الأطفال ، جذب القصص والحكايات الخيالية ؟

أفلم يكن في حياة المشاهير ، وحوادث التاريخ ، ورحلات الرواد وحياة الحيوانات ، وبدائع الفنون ، وغرائب العادات ، ومناظر الطبيعة ينابيع لاتنضب من المواضيع الجذابة التي تستطيع أن تخلب ألباب الاطفال مثل الحكايات . بل وأزيد من الحكايات ؟

فقد أقدم عدد كبير من الادباء والكتاب في بلاد العرب على استعمال قوة إبداعهم في مثل هذه المواضيع ، وأرخوا العنان لقرائهم في هذه النواحي من الادب ، فتمكنوا بذلك من تنويع كتب الأطفال تنويعاً عظيما .

كما أنهم لايزالون دائبين على العمل في هذا الاتجاه ولهذا الغرض الاسمى ؛ فإنهم لم يبرحوا ينشرون الكتب والمجلات في كل سنة حتى أنهم أخذوا ينشئون المعارض ويعقدون المؤتمرات بقصد ترقية آداب الأطفال وتوسيعها .

أما الفوائد التي يجنيها الأطفال من مثل هذه الكتب والمؤلفات فقد أصبحت ظاهرة للعيان : إذ قبل نشوء آداب الأطفال وتقدمها ، كان التلاميذ يتعلمون القراءة لاجل أن يقرأوا دروسهم فحسب ، كما أنهم كانوا يقرأون دروسهم لاجل أن يستفيدوا منها بعد تخرجهم من المدرسة ودخولهم في معترك الحياة فقط ، فالغاية التي تستهدفها القراءة

كانت – بصورة عامة – من الاهداف البعيدة ، التي لاتستطيع أن تولد في قلوب الاطفال شوقاً حقيقياً .

بيد أن تزايد أنواع الكتب المفيدة التي تلائم مدارك الاطفال وميولهم ، قد جعل القراءة ذات غاية قريبة وفائدة ملموسة ، وصار الاطفال يقرأون ويطالعون خارج المدرسة . وفي غير الكتب المدرسية بدافع باطني وشوق حقيقي ؛ وأخذوا يكتسبون من هذه المطالعات الحرة والتلقائية معارف ثمينة ، وخصالاً قويمة فاصبحت كتب الاطفال ومجلات الاحداث من أهم متممات المدرسة واكبر اعوانها ...

إن حرمان خزانة كتبنا من مثل هذه الكتب والمجلات ، لهو من النقائص التي تحول دون تقدم المعارف وانتشارها بالنجاعة المعهودة في الغرب : لأنها تحرم المدارس والاطفال من فوائد المطالعة الحرة والتلقائية ، وتجعل تأثير الدراسة على نفوس الاطفال محدودة وبطيئة .

لاحظوا اطفالنا : انهم لا يكادون يقرأون شيئاً غير ما تفرض المدرسة عليهم قراءته ، فتمارين القراءة عندهم تنحصر في مطالعة الكتب المدرسية وحدها .. !

ولذلك نراهم يسيرون في تعلم القراءة سيراً وئيداً ، ولا يكتسبون من المعلومات العامة إلا شيئاً يسيراً .

قد يتولد عند البعض منهم بوادر شغف بالمطالعة ، غير أن هؤلاء أيضاً لا يجدون وسيلة لبل غلة هذا الشغف غير الكتب والمجلات المعدة للكهول والفتيان وبما أنهم لا يفهمون الكتب والمجلات فهماً يضمن استمرار التذاذهم بها ، لايلبث شغفهم هذا بالقراءة أن يزول ويندثر بعد مدة وجيزة إلا إذا تولعوا بقراءة الروايات العادية المملوءة بالوقائع الغرامية والحيل الجنائية .. ففي هذه الحالة يقرأون بلذة ، غير أنهم لايجنون من هذه القراءة شيئاً سوى الاضرار المعنوية .

إنني لا أرى حاجة إلى التبسط في شرح هذه الاضرار ، غير أنني أرى من واجبي أن اصرح بأنني لا ابحث عن اضرار تلك الروايات ظناً مني بأنها كلها مضرة في حد ذاتها ؛ فإني من القائلين بان الضرر والفائدة في الروايات من الامور النسبية ، التي تختلف باختلاف قابلية قرائها ، فالرواية التي تكون سليمة وأدبية بالنسبة إلى الكهول ، قد تغدو مضرة ومفسدة بالنسبة إلى الأحداث ، لأن للأطفال أهواء وقابليات خاصة ، تختلف عن قابليات وميول الفتيان والكهول ؛ فتأثرهم الفكري والمعنوي من الروايات يختلف كل الاختلاف عن تأثر الفتيان والكهول منها .

فيمكننا أن نقول إن حاجتنا إلى كتب موضوعة للأطفال ، تزداد يوماً فيوماً بسرعة هائلة ، بصورة متناسبة مع انتشار التعليم من جهة ومع تفشي الروايات الغرامية والجنائية من جهة أخرى ، فقد أصبح من

أهم الواجبات المترتبـة على الادباء والكتاب أن يوجهوا عنايتهم نحو هذا الشطر من الحاجات الادبية أيضاً ، وأن يبذلوا كل ما في وسعهم لتكوين خزانة كتب خاصة بالأطفال ، مؤلفة من كتب تلائم مدار كهم وتلذهم اللذة الحقيقية ..



التربية والطفل الحديث

إذا نحن بحثنا في سبب نشاط الفرد وجدنا أن العامل الأساسي لهذا النشاط إنما هو الحاجة ، فنحن لا نلتفت لشيء إلا إذا شعرنا بحاجة إليه وكانت لنا مصلحة فيه .

لم تفطن التربية القديمة لهذا ففرضت على الطفل كمية معينة من العلوم وطلبت منه خزنها واستظهارها ، كما طلبت منه القيام بأنواع شتى من الاعمال، ولم تراع قانون الحاجة والمصلحة الطبيعية فلم تحترم حاجات الطفا أو مصالحه فأضاعت بذلك وقته وجهوده .

يجب إذاً ألا يتعلم الطفل إلا ما يفيده هو وما يحتاج إلى معرفته وما يتفق وميوله وطبيعته ..

فإذا تركنا الطفل وشأنه فإنه لا يكف عن النشاط والحركة ، فهو يلعب ويلهو ويوجه الأسئلة ويقلد الكبار ويقوم بشتى الاختبارات بذاته ، ويشغف بجمع الأشياء ، ويميل إلى الصور والألوان والحل والتركيب . وهذه هي مظاهر النشاط التي يجب أن يتخذها المدرس أساساً لأسلوبه في التدريس .

فالمدرسة الحديثة تحيط الطفل بظروف تساعده على استغلال أوفى قسط من مواهبه وتشجعه على البحث والسؤال والعمل ، فتضع أمامه من الكتب ما يسهل عليه الرجوع إليها بمفرده ، وما يقنع حاجته التي في نفسه ، وما

يثير فيه الميل إلى القراءة والعمل ، بمجهوده الفردي وبدافع من نفسه ..

وقد أوجدت المدارس الحديثة مثل دلتن والمشروع وهو راس مان ، ولنكولن ، وونتكا وغيرها نظاماً جديداً في التربية والتعليم ، يرمي إلى تقوية الشخصية في التلاميذ ، بتركهم ينشطون نشاطاً حراً يقصد إلى سد حاجاتهم النفسية .

ففي هذه المدارس يترك التلميذ وشأنه ينشط ويبحث وينقب عن المعلومات بنفسه ، ويرجع إلى الكتب والمصورات والقصص وغيرها التي تساعده عَلَى جمع ما يحتاجه من المعلومات ، فإذا نحن أردنا أن نصل بالتربية إلى إعداد الطفل للمستقبل فيجب أن نهتم بحاضره وميوله وطبيعته وحاجاته وطفولته .

فالطفولة هي وقت النمو والتقدم ، لذلك تهتم التربية الحديثة بهذه الفترة ومطالبها وما تحتاجه من عناية ورعاية واهتمام .

فالطفل الجديد يجد في المدرسة الحديثة مجالاً للعب والنشاط التلقائي – يعيش فيها ويحيا عيشة الأطفال وحياتهم – يقنع ميوله وغرائزه فيسائل ويبحث وينقب عن المعلومات بنفسه وبمجهوده ، ولهذا نجد المدارس الحديثة تعد لتلاميذها ميادين النشاط والعمل وتشجعهم على التفكير وتزودهم بالكتب التي تناسبهم والأجهزة التي يمكنهم استخدامها وكل ما يقنع حاجاتهم ويسد مطالبهم ، وبهذا فقط تقوى شخصياتهم .

وهم يعدون الحياة المدرسية الحالية تقيد التلاميذ وترهقهم وتميت فرديتهم

وقوة الابتكار فيهم ، ولكن التربية الحديثة تعرف أن لكل طفل فردية خاصة يجب احترامها والعمل على تقويتها ، فهي لذلك تمنحهم الفرص التي يمكنهم فيها إبراز شخصياتهم وتقوية حيوتهم .

ولن يكون ذلك إلا إذا عاملت المدرسة تلاميذها معاملة فردية لا معاملة مجموعة متجانسة لا اختلاف بين أفرادها ، فكل تلميذ بالمدارس الحديثة يدرس حسب سرعته في الفهم والادراك ، ويتعلم ما يحتاج إليه أغلب التلاميذ ، كذلك يسود المدرسة الحديثة جو من الحرية التي تساعد التلاميذ وتشجعهم على البحث عما يحتاجون إليه من المعلومات بأنفسهم ، كما تعتمد في تعليمها على تلقائية هؤلاء التلاميذ ، وميلهم إلى الاستطلاع والبحث وحبهم للعمل والحركة واللعب .

وهذا ولا شك لا يتأتى إلا إذا وجد الناشىء مادة كافية لقراءته واطلاعه ، مبنية وموضوعة على أساس من علم النفس ، ومحققة لرغبات الناشئة المختلفة .

فالكتب المدرسية بحسب حصرها في دائرة معينة ووضعها بالطريقة المبتورة لا تهيء بطبيعتها هذا الجو الذي يستثار فيه نشاط التلاميذ الذاتي فمتى تهيأ لنا هذا الجو ساهم التلميذ في عملية التعليم فتقوي فيه روح الابداع والابتكار وتنمو شخصيته وفرديته .

ماذا يقرأ الاطفال ؟

في اعتقادي أن أفضل وسيلة لتحديد الإجابة عن هذا السؤال ، الاتيان بالنتائج العلمية الباهرة التي توصل إليها علماء النفس ، وهي بالايجاز :

(١) القراءة نوعان : شفوية وصامتة . ولعل المقصود من هذا الموضوع هو النوع الثاني ، لأن المفروض أن معظم قراءة الأطفال تكون خارج المقررات المدرسية ، لأن الغرض منها تعويده الإقبال على الكتب بشغف ، وادخار المعلومات العامة ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

(٢) إن الغرض الأهم من القراءة هو الفهم ، ولما كان هناك تلازم كبير بين دقة الفهم وسرعة القراءة وجب على المعلم تعويد الأطفال هذه السرعة .

وهو أمر لا يتأتى إلا بالإكثار من القراءة الصامتة ، لأن الطفل أحوج إليها عمليا منه إلى الشفوية . ويجذر بالمدارس أن تزود الأطفال بعشرات الكتب كل عام ، مع حفظ هذه الكتب في مكتباتها . وقد رأيت مدرسة ابتدائية في أمريكا تصرف للفرقة الواحدة أربعين كتاباً في العام المدرسي الواحد .

(٣) إن هناك تلازماً كبيراً بين الفهم والسرعة والذكاء غير أن معظم البطء في الفهم والقراءة الصامتة يعود إلى سوء طرق التعليم .

ففي بلادنا مثلاً لا يقرأ الطفل أكثر من عدة صحائف في كتاب أو كتابين سنوياً ، قراءة شفوية لا صامتة ، مع أن الثانية أهم من الأولى بمراحل .

(٤) البنات أمهر من الصبيان في القراءة الشفوية ، غير أنهن أقل منهم فهماً وسرعة في القراءة الصامتة .

(٥) من الأسباب الهامة التي تجعل الأطفال يحجمون عن القراءة ، عدم وجود الكتب المناسبة لهم ، خصوصاً فيما يتعلق بصعوبة المفردات . فمن المبادىء المتفق عليها أن تكون المفردات قليلة ، وأن تتكرر بكثرة فيلم بها الطفل بعد قراءة عدة صفحات . ويا حبذا لو قام جماعة من أساتذة اللغة بحصر المفردات التي يحتاج إليها الطفل في مراحله المختلفة ، كما فعل ثورنديك ، وحبيتس وغيرهما . فهناك قوائم تشمل إحداها مثلاً مئات من المفردات التي يفترض أن يلم بها تلميذ في السنتين الأولى والثانية الابتدائيتين ، وبضع ألوف من المفردات التي يفترض أن يلم بها تلميذ في السنوات كذا وكذا الخ .

(٦) يجب أن تكون كتب القراءة مشوقة ، لأنها كلما كانت كذلك ، كانت أسهل إدراكاً ، وأسرع مطالعة وأكثر ملاءمة لتكوين العادات الحسنة في القراءة ، وأشد تشجيعاً على كثرة المطالعة .

(٧) كان علماء التربية يعتقدون أن الطفل يميل إلى الخرافة والخيال والبعد

عن الحقيقة . غير ان هذا اتضح بطلانه ، لأن الطفل لا يقرأ حكايات الجن والخرافة ، لأنها خيال وبعد عن الحقيقة ، ولكن لأنها مفعمة بالمفاجآت ، والتصميات والخطط المدبرة ، وروح الطفولة ، وذكر الحيوانات وغيرها من الأشياء المألوفة عنده ، فسواء اكانت الحكايات خيالية ام حقيقية ، فإنها لاتكون مشوقة له ، إلا متى توافرت فيها العناصر السالفة الذكر .

(٨) وجد بالتجربة في كتب القراءة ان الشعر اقل تشويقاً للطفل من المخاطرات ، والمعلومات العامة ، والأقاصيص الشعبية .

(٩) المعلومات العامة لا تلذ للطفل قراءتها ، إلا إذا توافرت فيها الشروط الآتية : سهولة اللغة وطلاوتها ، أن تكون قد وضعت للأطفال خصيصاً ، ان تكون جذابة أخاذة .

(١٠) في كتب الروايات والقصص ، يفضل البنات ما كان خاصاً منها بالحياة المنزلية ، والزواج ، والحفلات ، والمسائل الاجتماعية عامة . اما الصبيان فيفضلون الروايات والقصص التي تتمثل فيها البطولة ، والمخاطرة .

(١١) لحسن الطبع تأثير يذكر في توليد الرغبة في المطالعة . ونعني به حجم الحروف وطول السطور ، وحجم الهوامش ، وكثافة المداد ، ونوع القرطاس . ونظراً لقصر النظر وضعفه بين التلاميذ العاديين ، فإن سوء الطبع يسبب التعب وينفر الأطفال من المطالعة .

(١٢) لنعلم أن التلاميذ كلما كانوا أذكياء ، أكثروا من القراءة

ورغبوا فيها ، فعلى المعلم أن يكثر من كتب المطالعة للأذكياء ، ويقللها للأقل ذكاء . وقد وجد أخيراً تلميذ عبقري لم يسبق له مثيل ، رقم ذكائه ٢٣٠ ، أي يزيد عن اينشتين ٢٥ رقماً ، ومع أن عمره سبع سنوات فإنه يقرأ كتاباً كاملاً كل يوم .

* * *

ونريد في ختام هذه الكلمة أن نقول إنه لا أمل للتوصل إلى هذه المثل العليا في المطالعة ، طالما كانت المكتبات المدرسية متأخرة ، وطالما كانت المكتبات العمومية في حكم العدم تقريباً . زرت مرة مكتبة للأطفال ملحقة بإحدى مكتبات نيويورك العامة ، فألفيت في قاعة المطالعة مئات من الأطفال منتشرين على مقاعدها مع معلماتهم ، يقلبون الطرف في كتب الأطفال الموضوعة حولهم .

وفي دقائق معدودات أطفئت أنوار الكهرباء وأضيئت شموع جميلة ، أكسبت جو المكان روعة خاصة ، ثم علت سيدة جميلة منصة في مقدمة القاعة ، وأخذت تسرد على التلاميذ قصة جذابة . وكانت رنانة الصوت ، قوية الحنجرة ، جذابة الشخصية . وما كادت تأتي على آخر القصه حتى أشارت إلى الكتب الموجودة فيها ، وأشارت على الاطفال بتصفحها فدوت القاعة بالتصفيق الحاد .

ثم جلست وتلتها فتاة ثانية لا تقل جمالاً وعذوبة صوت عن سابقتها وتلت قصة ثانية واشارت إلى مصدرها بين الكتب المرصوصة على الرفوف ، وهكذا

قلتها ثالثة . فدهشت لهذا النظام البديع ، وعلمتُ بعدئذٍ أن هذا متبع في المكتبات العامة إذ يعين لكل مكتبة أمينات لقسم الاطفال ، تتوافر فيهن حلاوة الصوت ، وحسن الالقاء والبيان ، ورشاقة المنظر والجاذبية الشخصية ترغيباً للأطفال في الاقبال على المكتبات ، وتعويدهم الشغف بالقراءة .

أمير بقطر



قصص الأطفال

ليس من المربين من ينكر ما للقصص من الأثر الكبير في تربية الأطفال وتهذيبهم وإعدادهم للحياة المستقبلة التي تنتظرهم .

فقد دلت التجارب ، على أنها قد تكون أجدى الوسائل لتنشئتهم وتنمية كثير من غرائزهم المختلفة وقوى عقولهم اللدنة ، وطبع بعض المعلومات في أذهانهم بطريقة سهلة ، هذا إلى أنها تولد فيهم الشوق والانتباه وهما أساس المعرفة والإدراك .

ولكي تأتي القصص بالنتائج المطلوبة التي يرمي إليها المربون ، يجب بذل الجهد في اختيارها ، ملائمة لسن الطفل ، ومداركه ، فإن لكل مرحلة من مراحل حياته ميولاً خاصة ، ترتبط تمام الارتباط بطبيعة سنه ونمو غرائزه ومداركه في تلك المرحلة .

فالطفل الذي تكون سنه بين الثالثة والخامسة ، يميل إلى القصص القصيرة التي تتناول ما يقع تحت حسه في حياته اليومية ، مما يتعلق بالأطفال او الحيوانات او الطيور ، او نحو ذلك من الاشياء الحية المتحركة .

وهنا يجمل بالمربي ان يلبس لباس الممثل البارع فينزل إلى مستوى الاطفال فيلقي حكايته بعبارة سهلة واضحة بعيدة عن الحشو ، وان يكون له من براعة التمثيل وتنويع صوته ومحاكاة اصوات الحيوان والطير ، وتصوير حركاتها وسكناتها ، ما يجتذب انظار الطفل فيقبل على الاستماع بعامل الرغبة

في الاستطلاع والوقوف على مغزى القصة ، وكلما كانت المعاني جلية والصور الخيالية في متناول إدراك الطفل كانت الفائدة المرجوة محققة .

ولما كان الاطفال في تلك المرحلة قليلي الادراك ، حسن أن يكثر المربي من تكرار العبارة وتوضيح الالفاظ حتى يلموا تمام الإلمام بما يقصه عليهم .

أما المرحلة التي يكون الطفل فيها بين الخامسة والسابعة ، فإننا نجده أوسع خيالاً منه في المرحلة السابقة وأقدر على إدراك المعاني وأميل إلى الاصغاء لحكايات طويلة وصفية وتهذيبية .

وكم تحلو له القصة إذا اشتملت على مخاطرات بين الإنسان والحيوان أو مبارزات بين الشجعان ، أو تسلق جبال ، أو اطفاء نيران ، أو انقاذ غرقى ونحو ذلك مما تتسع له المخيلة .

وإذا ما بلغ السابعة من العمر أخذت نفسه تنصرف بالتدريج عن الحكايات الخيالية إلى القصص التاريخية الحقيقية ، وهكذا كلما تقدمت به السن مال إلى سماع أخبار الرجال الافذاذ ، الذين كان لهم من مجيد أعمالهم ما دعا إلى تخليد آثارهم والإشادة بذكرها . وتجد الطفل في ذلك الطور كثير السؤال والبحث عن كل ما تبصره عينه أو تسمعه أذنه أو ما تشتمل عليه بيئته المنزلية أو المدرسية رغبة في الوقوف على حقائق الأشياء وادراك كنهها .

وبالجملة ينبغي أن تكون القصة واضحة المعنى سهلة الألفاظ ، فترسخ في ذهن الطفل وتأتي بالغرض المقصود منها ، بعيدة عن الحشو والغموض ، وإلا صرف الطفل وقته في السؤال والاستفهام فيذهب ذلك بنتيجتها المطلوبة .

كما ينبغي مراعاة ألا تشتمل على صور مزعجة خصوصاً إذا قصت على الطفل في وقت المساء فتزعجه ويقضي طول ليله خائفاً مذعوراً أو باكياً منتحباً.

وخير الحكايات مانشط الخيال وكان له أثر تهذيبي في نفس الطفل ، فغرس فيه فضيلة من الفضائل أو عادة محمودة تنفعه في حياته المقبلة ، أو اجتثت منه عادة سيئة او صنعة ممقوتة .

انصاف سري



لغة الاطفال

قد يخيل إلى كثير من الناس أن التحدث إلى الأطفال أمر سهل المنال ولكنهم في الحقيقة واهمون ، فإن قليلاً منا هم الذين يوفقون إلى استمالة الأطفال حين يتحدثون إليهم .

ولقد يستطيع كثير من الناس أن يسوقوا المعاني إلى نفوس الأطفال كرهاً ، ويدفعوها إلى أذهانهم غصباً ولكن المربين — آباء أو معلمين — لايستطيعون أن يفخروا بهذا النوع من الأساليب ، لأنهم يعلمون أن للأطفال لغة خاصة بهم ، وأسلوباً يكاد يكون مقصوراً عليهم ، وليس من السهل على كثير من الناس أن يعرفوا هذه اللغة أن يحذقوا هذا الأسلوب .

هذا هو السبب في أن كثيراً من الآباء يعجزون عن إفهام أطفالهم كل ما يريدون ، وهذا هو السبب كذلك في أن كثيراً من المعلمين يخفقون في إيصال الحقائق إلى اذهان الاطفال وهم لا يشعرون .

ومثل هذا يقال عن تلك الكتب التي توضع للاطفال . فقد رأينا المطابع العربية في السنوات الاخيرة تخرج مئات الكتب ، التي يفرض مؤلفوها أنها تعين الاطفال على فهم دروسهم بأسلوب شائق ممتع ، ولكن نظرة واحدة في هذه الكتب خليقة أن تبين لك أن عدداً كبيراً منها يقصر دون هذه الغاية ، لا لخطأ في مادة الكتاب ، ولا لعيب في طبعه ، ولا لخفاء

في صوره ، بل لأن المؤلف لم يوفق إلى اختيار لغة تلائم الأطفال ، أو اسلوب يشوقهم ويستهويهم .

والواقع أن التحدث أو الكتابة للاطفال فن لايحذقه إلا قليل من الناس، وهو ككل فن يقتضى علماً واسعاً ودربة مستمرة .

وإذا كان استهواء الكبار بالحديث او الكتابة في معظم الأحيان عسراً شاقاً فاستمالة الاحداث قد تكون اشق واصعب لانها تتطلب دراية واسعة بطبائع الطفولة ونزعاتها واسلوب تصورها ، كما تتطلب معاناة طويلة وتجارب واسعة ومراناً متوالياً ، ومن أجل ذلك ترى أن هؤلاء الذين يعجزون عن التأثير في الاطفال في أحاديثهم ومؤلفاتهم إنما يفشلون لانهم لا يفهمون لغة الاطفال ، ولا يحذقون الاساليب التي تلائم نفوسهم وتستهوي أفئدتهم .ومن الخطأ أن يعمد المحدث او المؤلف إلى لغة الكبار فيختصرها وينقص من اطرافها ويغير من ألفاظها وعباراتها ثم يلقيها بعد ذلك إلى الاطفال واهماً بأنها أصبحت ملائمة لهم قريبة المنال من مداركهم ، فقد علمت أن للاطفال لغتهم واسلوبهم وان الطفل ليس رجلاً صغيراً ولا الرجل طفلاً كبيراً ، فلكل عالمه وعقليته واسلوبه ولغته ، فالتفاوت بينهما في النوع لا في الدرجة .

ولقد أبان العلم ودلت التجارب على ان لغة الطفل وثيقة الارتباط بحياته العقلية وانها تنمو — كما ينمو عقله وجسمه — على التدريج ، خاضعة في هذا النمو لقوانين نفسية ثابتة ، ممثلة في نموها مراحل التطور التي سلكتها لغة الانسانية من بدء الخليقة إلى الآن .

ولسنا هنا في مقام يسمح لنا ببيان تلك القوانين النفسية التي تسيطر على لغة الاطفال ولكن يكفي هنا أن نبين لك في إيجاز أظهر الصفات والخصائص التي تمتاز بها هذه اللغة واهم القواعد التي يجب أن تراعى في اسلوب التحدث إليهم أو الكتابة لهم .

مميزات لغة الاطفال

تمتاز لغة الاطفال فيما بين الخامسة والعاشرة تقريباً بميزات أظهرها ما يلي :

(١) ضيق نطاق هذه اللغة ، فقاموس الاطفال اللغوي لايكاد يتجاوز عشرات من الالفاظ والعبارات ، ولكن الذي يسترعي الانتباه في هذا المحصول اللغوي ، هو الكثرة المطلقة للاسماء دون الافعال والحروف والواقع أن أسماء الذوات تكوّن الشطر الاكبر من مادتهم اللغوية ، اما الافعال فنطاقها محدود جداً لاتكاد تتجاوز تلك التي يستعملها الطفل في حاجته الطبيعية الاولية من مثل أكل وشرب ونام وجلس ، ولا تكاد الحروف التي يستعملها الاطفال تتجاوز من ، إلى ، على ثم واو العطف .

(٢) يبدأ الطفل بعد ذلك يشوقه العمل والحدث فيأخذ في معرفة الافعال ، وينهض من هذا المستوى الطبيعي إلى مستوي أرقى ، فهو يلعب ويتعلم من طريق اللعب الانكسار والالتواء والضغط والوثب والعضّ ، وما إلى ذلك من أنواع الحدَث التي تعرض له في ألعابه ويدرك أثرها ، ومن ثم

يأخذ في استعمال هذه الافعال التي يزداد بها قاموسه اللغوي .

(٣) يكون الاطفال مما عرفوه من الاسماء والافعال جملاً يتحدثون بها إلى زملائهم وآبائهم ، ولكن هذه الجمل في مجموعها قصيرة المدى مستقل بعضها عن بعض ، وجلها جمل اسمية لان الاسماء وبخاصة أسماء الذوات تشوق الاطفال وتستهويهم .

ومما يلاحظ أن حديث الاطفال لايكاد يجاوز المحسوسات فليس لاسماء المعاني مثل « واجب وفضيلة وصدق وأمانة » مكان في محصولهم اللغوي حتى أنهم لا يستطيعون أن يفهموا في الدور الاخير من طفولتهم هذه المعاني إلا بتجريدها من المعاني وإلباسها ثوباً محسوساً يحس ويلمس ، فهم يفهمون من الفضيلة رجلاً فاضلاً ومن الصدق تلميذاً يقول الحق .

(٤) فلا أسماء المعاني ولا الالفاظ الكلية تشوق الاطفال وتستهويهم إلا في نحو السنة الثالثة عشرة من أعمارهم ، حينئذ تعينهم تجاربهم في المحسوسات على عقد الموازنات والمقابلات ، واستنزاع الصفات المشتركة وتجريدها من الذوات وادراك الصلات والعلاقات بين الاشياء ، ويومئذٍ ينزعون إلى المعقولات والالفاظ الكلية وأسماء المعاني والحروف والادوات التي وضعت للتمني والترجي والاستدراك وما إليها .

هذه صورة مجملة لما تكون عليه لغة الاطفال . أما القواعد التي تجب مراعاتها عند التحدث إليهم أو الكتابة لهم فيمكن ادماجها فيما يلي :

(١) مراعاة ما قدمناه لك من الخصائص والصفات ، بحيث يكون كل

اسم مقروناً بمسماه أو على الاقل بصورة تمثل مدلوله ، وأن يكون كل حدث أو فعل مصحوباً بتصوير معناه . هذا واجب في جميع ادوار الطفولة ، وهو في الدور الاول منها أوجب .

أما الجمل فيجب أن تكون قصيرة تعبر كل منها عن معنى مستقل بالفهم ، فإذا كنت بصدد التعبير عن معنى طويل وجب أن تقسم هذا المعنى الكلي إلى معانٍ جزئية وتعبر عن كل معنى بجملة قصيرة في مبناها محدودة في معناها .

(٢) اختيار الألفاظ الشفافة التي تنم عن معانيها في وضوح وجلاء ، معتمداً في ذلك على المعاني الحقيقية الوضعية للألفاظ والعبارات ، فإن الطفل لا يستطيع أن يدرك المعاني والعبارات الملتوية المملوءة بالمجازات والاستعارات والكنايات أو ما إليها من المحسنات اللغوية ، وقد يضطر المحدث أو المؤلف أحياناً إلى عقد التشبيهات لايضاح المعاني ، ولكن شرط ذلك أن يكون المشبه به واضحا جلياً في أذهان النشء وأن يكون وجه الشبه مما تستطيع عقولهم إدراكه .

(٣) مراعاة الوضوح التام في الحديث أو الكتابة ، وفي هذا تتفاوت أقدار المعلمين والمؤلفين فكثير من هؤلاء لا يستطيعون أن ينزلوا إلى مستوى الطفل ويدرجوا معه في أخيلته وأسلوب تصوره فتجيء عباراتهم نابية عن ذوقه متنافرة مع طبعه ، ومن ثم وجب أن يتبسط في

وضع الحقائق أو إلقائها تبسطاً تاماً ، بحيث تستطيع أن تجد سبيلها إلى ذهنه في غير عنت أو إكراه ، وقد يقتضي هذا بعض التكرار والإعادة للمعنى الواحد ، ولكن في أثواب مختلفة ، وصور شتى وقد يكون هذا واجباً إذا استعملت ألفاظاً أو عبارات لا عهد للأطفال بها .

(٤) مراعاة التأثير والروعة في نفوس الأطفال ، وبخاصة إذا كان موضوع الحديث أو الكتابة قصصاً ، فالمحدّث أو المؤلف فنان ، وهو بهذه الصفة يجب أن يعطى الفن حقه في التأثير في نفس السامع أو القارئ وإلا كانت عباراته ميتة لا حياة فيها ، وليس كل الناس يستطيعون أن يكونوا فنانين .

ولكن هناك بعض أفراد وهبوا خصوبة في الخيال ولباقة في أسلوب الوضع ومرونة في التعبير ، بحيث يستطيعون أن يبلغوا من نفوس السامعين أو القارئين ما لم يطمع فيه العلماء والباحثون .

وقد رأينا بيننا من مهرة المعلمين من يستطيع أن يجعل من أشد المعاني تجرداً صوراً محسوسة ملموسة إذا تحدث أو كتب .

(٥) وغني عن القول إن محدث الأطفال يجب أن يكون « ممثلاً » حاذقاً فصوته ونغمته ونبراته وتشخيصه للمعاني وحسن أدائه للعبارات ، كل هذا مضافاً إلى حسن بيانه ، مما يؤثر في نفوس الأحداث تأثيراً كبيراً .

هذا مجمل ما يجب على الحدث أو المؤلف مراعاتـه ، سردناه لك في إيجاز من غير أن نعرض للأصول النفسية العلمية التي يستند إليها .

وحسبك منها أن ترى أن التحدث أو الكتابة للأطفال ليس من الهنات الهينات ، كما يخيل إلى كثير من الناس .

زكي المهندس



الغرض من قص الحكايات على الاطفال

للحكايات نصيب كبير في تسلية الأطفال وإدخال السرور عليهم لما يجدون في سماعها من اللذة العظيمة التي تكاد تسحرهم وتنسيهم كل شيء آخر إذا قصت عليهم بالطريقة التي ينبغي للمعلمة اتخاذها .

رأى الكثيرون الفائدة التي تعود على الأطفال من الحكايات على اختلاف انواعها فاتخذوها وسيلة للحصول على أغراض شتى في التربية قد لا يمكن الوصول إليها بسواها .

وهذا ما يوجب جعل الدروس مشوقة في روضة الأطفال على قدر الإمكان لأن جميع المهذبين يحكمون بأن أعظم وسيلة للحصول على ما كان صعب الإدراك أو عسر الفهم هو البحث عما هو اسهل وألذ كي يحصلوا على الفائدة منه بدون أن يشعروا بصعوبته وعلى ذلك استحسنوا وضع دروس التهذيب والتاريخ والجغرافيا والحساب والطبيعة وغيرها في قالب حكايات لطيفة مؤسسة على معلومات الأطفال انفسهم أو معلومات من هم متصلون بهم في المعيشة لتكون مسلية ومفيدة لهم .

ولا يعرف مقدار فضل الحكايات في التربية إلا من ذاق حلاوتها وعاشر الأطفال أنفسهم ورأى ما يخامرهم من السرور والفرح عند سماع الحكاية فيجب على المعلمة أن تظهر للأطفال استحسانها لجميع الحكايات مهما تكن خرافية النوع وأن تجعل حرمانهم إياها عقاباً لهم عند ما تقتضي الحال ذلك

ومهما تكن الحكاية قصيرة فإنها تفيد الأطفال فائدة كبيرة لكونها تضيف على الأقل شيئاً من القوة الحيوية إلى روحهم وتكسبهم تمريناً مفيداً لقواهم النفسية وتفتح أمامهم باباً لإحساساتهم الخيالية إلى غير ذلك من الفوائد .

ومن فوائد قص الحكايات على الاطفال أنها علاوة على سرورها لم تُرح أفكارهم من سائر الدروس وتقوّي رابطة المحبة فيما بينهم وبين معلميهم وتنشئ عادة الانتباه وتوسع دائرة مخيلتهم .

كيفية قص الحكايات على الأطفال

لا تدخل الحكاية في مجرى ذاكرة الانسان إلا من احد هذه الابواب الثلاثة :

مشاهدة حصولها — سماعها — قراءتها في الكتب . حيث تنطبع منها صورة أو عدة صور متسلسلة في مخيلته يختلف قربها من الحقيقة باختلاف درجة الوضوح في قصها وكتابتها في حالتي السمع والقراءة وأيضاً باختلاف تجارب الانسان السابقة التي تساعد قوة المخيلة على إنشاء الصورة المطلوبة .

فمن الناس من هو حاذق يمكنه التفسير والتعبير عما في ضميره فيمهد لسامعيه السبيل إلى تخيل القصة أو الحكاية وفهم مغزاها ومنهم من يعجز عن ذلك بالمرة . فعلى العاقل ألاّ يتقدّم إلى مثل هذا العمل قبل أن يعرف الحكاية تمام المعرفة ويشعر بروحها ويتحقق جوهرها ومطمعها ويقف على كل ما فيها من التشويق واللذة وما يهيج العواطف حتى يمكنه بث هذه الروح في

غيره . وبعد معرفة الحكاية جيداً يجب إعداد الأطفال لسماعها بحيث يجلسون على كراسي موضوعة على شكل قوس وتجلس المعلمة أمامهم في الوسط هكذا بحيث يمكنها أن ترى كل فرد من سامعيها وتمكنهم من سماع صوتها والاطلاع على جميع حركاتها وعباراتها والغرض من تغيير هيئة جلوس الأطفال في مثل هذا الوقت هو تنزيه الفكر عن سائر الأشياء الأخرى وإعداده لسماع الحكاية وهذا مما يؤثر في دائرة المخيلة والذاكرة وقت سماعها . ومن الواجب أن تحصل المعلمة على سكوت تام قبل الشروع في قص الحكاية وقد يكفي لنيله إخبارهم بأنها ستلقي عليهم حكاية .

هذا إذا كانوا قد ذاقوا قبلاً حلاوة سماع حكاية منها وأن يساعدها الحظ على إلزامهم السكوت قبل الشروع في قص الحكاية فلتدع قوة الحكاية نفسها تستميل انتباههم بدون إصدارها أي أمر لأحدهم بالسكوت أو الالتفات إليها . أما إذا تكرر عدم إصغائهم في أثناء إلقاء الحكاية فإنه يكون دليلاً على عجز المعلمة عن حسن اختيار الحكايات أو قصها عليهم . ويجب عليها حينئذ أن تبحث في وجوه النقص فتسرع في تلافيها .

ومن الأشياء المهمة التي يجب مراعاتها في هذه الدروس أن تنسى نفسها بالمرة بحيث يكون صوتها طبيعياً وعباراتها بسيطة وجميع حركاتها وأقوالها طبيعية مناسبة لعقول سامعيها .

ويحسن في قص الحكايات على الأطفال خصوصاً الصغار أن تستعين المعلمة ببعض الحركات والرسوم البسيطة التي تزيد العبارات وضوحاً وتسهل رسوخها في دائرة مخيلة الطفل .

وللصوت أهمية كبيرة في قص الحكايات فمن الناس من يكون صوته متغيراً ممزوجاً بعذوبة ومملوءاً بالروح والنشاط ومنهم من يكون صوته مزعجاً للآذان (وخصوصاً آذان الأطفال الصغار) فيكون هذا سبباً في تلف الحكاية وفقد ما بها من اللذة والتشويق .



الطفل والمدرسة

إن انفعال الولد من المدرسة أول ما يذهب إليها لأكبر دليل على ذوق الآباء . فمن الأولاد من تكون المدرسة عندهم كالحديقة يقبل عليها مسروراً متهللاً بصدر مشروح . ومنهم من ينفر منها ويتولاه الخوف من الذهاب إليها كأنه ملاق فيها عقاباً شديداً أو عذاباً عسيراً .

وبين هؤلاء وأولئك نفر من الأولاد يذهبون إلى المدرسة بغير اكتراث وبلا مبالاة .

فالذين يقبلون على المدرسة مسرورين هم الذين تعهدهم آباؤهم بالترغيب فيها بطرق مختلفة تجعلهم يرجون منها خيراً عظيماً .

والذين ينفرون منها هم الذين أهمل آباؤهم أن يمهدوا لهم الطريق إليها بل هم الذين نفرهم آباؤهم منها فترى الأولاد يتوقعون منها شراً مستطيراً .

ويمكنك أن تتصور طفلاً يرغبه أبوه في روضة الأطفال مثلاً بما يذكر له عنها من الحكايات المشوقة وبتفهيمه أنه واجد فيها أشياء مختلفة يلعب بها وأنه واجد فيها أيضاً أولاداً مثله يلعب معهم ، وهكذا مما يشوقه إليها .

ثم تقابل بين هذا الأب وبين من يرسل ولده إليها بغير أن يمهد له الطريق إليها فيدخل الطفل ولا يدري إلى أين هو داخل ويقابل وجوهاً غريبة لم يألفها ولم يعرفها فيتولاه الخوف ويأخذ في البكاء وهيهات أن تنزع منه ماارتسم في مخيلته .

وأما الذين لا يفرحون بالذهاب إلى المدرسة ولا يخافون منها فهم الذين أهمل أمرهم . ولست أقصد باهمال أمرهم إلى إهمالهم من حيث التغذية الجيدة والعناية بأجسامهم وملابسهم وما إلى ذلك لكني أقصد إلى إهمال تثقيف فكرهم وانماء روحهم فتراهم لا يعلمون عن المدرسة لا خيراً ولا شراً .

فإذا دخل الطفل المدرسة فلا بد من النظر في ما قد يكون من الارتباط بين صحته وسيره في المدرسة . ولست بحاجة إلى أن أقول إن سوء التغذية ومرض اللوزتين ، واضطراب الغدد ، والأورام الأنفية ، والحلقية ؛ والخوريا ، والصرع ، إن كل هذه تجعل الصبي أقل استعداداً لتلقي الدروس وأكثر شكاسة وعبوساً . وهذا مما يقتضي أن يدخل الصبي المدرسة وصحيفته الصحية بيضاء تسر المعلمين .

ومن أكثر الآفات شيوعاً وأشدها تأثيراً في سير الأولاد في المدرسة عيوب البصر . وكثيراً ما تخفى هذه العيوب فلا يعرف أمرها في بدء الدراسة .

وإذا عرفت بعد ذلك فقد تنسب إلى إجهاد البصر من العمل في المدرسة مع أن هذه العيوب أكثر ما تكون خلقية . ويصح أن يكون لاجهاد البصر بعض التأثير فيها .

ولقد وجه القوم في البلاد الراقية أن عشرين في المئة من الأولاد في حاجة إلى تقويم بصرهم لتحسين نظرهم .

فإذا لم تتخذ الوسائل الضرورية لهذا الغرض لا يكون السير في المدرسة حميداً . وكثيراً ما لاحظ المعلمون تقدماً في السير مع تحسن البصر بتقويم

عيوبه . وما أتعس التلميذ الذي يكون قصير البصر فلا يستطيع أن يرى ما على السبورة إلا بمشقة ، ولا يستطيع أن يقرأ ما في الكتاب إلا إذا أدناه من وجهه .

يحكى أن غلاماً وصل إلى الرابعة عشرة من عمره ولما يستطع أن يحسن المطالعة . وكان جيد الأخلاق مواظباً على عمله لكنه لبث عبئاً ثقيلاً على معلميه سبع سنين لأنه كثير الخطأ في تهجي الكلمات كثير الخطأ في المطالعة فلا يستطيع أن ينطق جملة واحدة بغير غلط وكان إذا كتب رأى الشيء شبئين .

وقد صبر على بلواه ولم يبث لأحد شكواه لأنه اعتقد أن ذلك طبيعي في كل الناس .

ولقد فطن أحد معلميه لأمره فعرضه على الطبيب فاتضح عيب بصره . ولما أن عولج العيب وقوم البصر ظهر التقدم في سيره بالرغم من أنه مكث زمناً طويلا .

وعيوب البصر لا يقتصر ضررها على ما تحدثه من تأخير السير ومن الوقوف في سبيل النجاح بل إنها تؤدي إلى التنافر ، لأنك كثيراً ما ترى ضعيف البصر واغر الصدر على رفقائه يكاد ينشق من الغضب ويتميز من الغيظ ويدخل بعضه في بعض .

ومن ذلك ما يحكى عن صبي في السابعة من عمره كان يحسبه معلموه مشكلة المشكلات لأنه كان فظاً غليظ الطبع في معاملة رفقائه يتعرض لمعلميه بالقحة ويتشاجر مع الجميع لغير ما سبب .

ولقد اتضح من الفحص عنه أنه كان مصاباً بقصر شديد في النظر تتبهم معه الأشباح الماثلة أمامه . فكان رفقاؤه يضحكون منه أحياناً وكان يعلم ذلك .

لكنهم كثيراً ما كانوا يضحكون من أشياء أخرى فيعتقد لعدم رؤيته سبب ضحكهم أنهم منه ساخرون . فإذا تصور ذلك ورأى من معلميه تغاضياً عن زجرهم اشتد غيظه منهم جميعاً وخرج عن حدود الأدب معهم .

ولما أن قوّم البصر بالنظارات رأى الأولاد يضحكون ورأى ما منه يضحكون وعلم أنهم لا يضحكون منه فصار معهم من الضاحكين .

وكذلك عيوب السمع لها تأثيرها وإن كانت أقل شيوعاً فهي بنسبة ٥ ٪ من الأولاد ووقر السمع يقتضي إجلاسهم في مجالس أمامية مخافة أن يتأثر سيرهم ونجاحهم .

ولتعلم أن وقر السمع قد يؤدي إلى شيء من التنافر كالذي يحدث من عيوب البصر وهو يجعل الولد بليداً متخلف الذهن مطفأ شعلة الذكاء لايكاد يفقه قولاً .

وعلى المعلم أن يلتبس في شرود الفكر الذي يعتري بعض الأولاد فيحسبه وقراً في السمع وأقصد بشرود الفكر إلى عدم الالتفات الذي يجعل الصبي لا يكاد يعي ما يقال وإن كان يحسن السمع . ومن الضروري مقاومة هذه العادة الرديئة لأنها لا تقل ضرراً من وقر السمع .

أغاني الطفل

١ — سحب وامواج ...

أماه ! ناداني أهل الغيوم قائلين : إنا نلعب من ساعة استيقاظنا .. إلى أواخر النهار .. بالفجر الذهبي ، وبالقمر الفضي !

فسألتهم : وكيف استطيع إليكم الوصول ؟

قالوا : تعال إلى حافة الأرض ؛ واتجه إلى السماء رافعاً يديك ، فستؤخذ إلى الغيوم ..

قلت : ولكن أمي بانتظاري في الدار ! فكيف أفارقها وأجيء ؟

فتبسموا وغابوا عني سابحين !

ولكني عرفت لعبة خيراً من تلك يا أماه ؛ سأكون : السحب ، وكوني أنتِ القمر .. ساحتضنك بكلتا يدي .. وسيكون سطح منزلنا السماء الزرقاء !

* * *

وناداني سكان الأمواج قائلين :

... إنا نغني من البكور إلى المساء ، دائماً ، ونرتحل ولكنا لا نعرف إلى أين نسير ...

قلت : وكيف أتصل بكم ؟

فأجابوا : تعال إلى ساحل البحر ، وقف مغمض العينين وستحملك الأمواج ..

قلت : ولكن أمي تريدني في الدار كل مساء ! فكيف أستطيع أن أفارقها وأذهب ؟

فتبسموا ، ومروا سراعاً متراقصين !!

غير أني أعرف خيراً من ذلك اللعب ... سأكون الأمواج ، وكوني أنت شاطئاً غريباً ... وسأضطرب وأمضي ؛ وأتلوى وأنثني ، ثم أستريح في حجرك ضاحكاً مقهقهاً .... ولن يعرف أحد في العالم أين نحن كائنون ! .

٢ — عطف

... أنا لو كنت جرواً صغيراً — ولم أكُ طفلك — أيتها الأم العزيزة .. أكنت تطردينني بقولك « لا ... » حين أحاول أن أطعم في الإناء ؟

إذن ، فاذهبي — أيتها الام — اذهبي ؛ لن أجيء إليك بعد هذا حين تناديني ، ولن أقترب منك حين تدعينني للطعام !

... أنا لو كنت بيغاء صغيرة خضراء ، ولم أكن طفلك — أيتها الأم العزيزة — أكنت تسجنيني لئلا أطير ؟ وتهزين إصبعك إليّ قائلة : أي طير كنود تاعس هذا ؟ إنه يعض سلاسله ليل نهار ؟!

إذن ، فاذهبي — أيتها الأم — اذهبي ... سأهرب مختفياً في جوف الغابة بعيداً ، لن أدعك تحتضنيني بين ذراعيك بعد الآن !

٣ — موزع بريد خبيث

أخبريني ، مالك جالسة على الأرض ، هادئة صامتة أيتها الأم العزيزة؟ والمطر يدخل من النافذة فيبلك وأنت غير آبهة له ؟

أتسمعين الدقات أربعاً على الباب ؟ إنه موعد مجيء أخي من المدرسة !

... ماذا حدث لك فغيرك فأصبحت غريبة الأطوار ؟

... ألم تتسلمي من أبي خطاباً اليوم ؟

لقد رأيت « موزع البريد » جاء بالرسائل لكل من في البلد ، إلا رسائل أبي فقد أخفاها ليقرأ ما هو .. أنا واثق من أنه رجل خائن شرير .

... ولكن لا تبتئسي من ذلك يا أماه .

غداً ، ستقام سوق القرية المجاورة ، فاطلبي من فتاتك أن تبتاع لك أقلاماً وأوراقاً ...

وأنا ... أنا نفسي سأكتب رسائل أبي جميعاً ، ولن تجدي في ذلك غلطة واحدة ... سأكتب من « الألف » إلى « الكاف » ... ولكن لم أراك تضحكين ياأميم ؟

ألا تصدقين أني أكتب كأبي جودة وحسناً ؟

بل سأرتب ورقي معتنياً به ، وأكتب الحروف جميلة واضحة ...

... وتظنين أني سأكون غريراً كأبي ، فأودع كتابتي في كيس « الموزع » الخطير ؟ كلا ... سأحملها إليك بنفسي — غير مرتاب ولا وانٍ —

ورسالة بعد أخرى ستساعدك على قراءة كتابتي ، إني أعرف أن « الموزع » لا يجب أن يعطيك الرسائل الحقيقية الجميلة !

٤ — النهاية ..

هذا موعد ذهابي يا أماه !

إنني ذاهب .

وعندما تمتد يداك قبيل الفجر إلى مهد طفلك فسأقول : ليس الطفل هنا . أنا ذاهب يا أماه !

سأكون ، نسمة من الهواء العليل ، وأنعتك ، وسأقبلك وأقبلك تارة أخرى .

وفي الليلة العاصفة المطيرة عندما ينحدر المطر هتوناً غزيراً على أوراق الشجر ستسمعين همستي في فراشك وستسمعين قهقهتي « الوامضة » من النافذة المفتوحة في غرفتك .

وإذا اضطجعت وأنت يقظى ، مفكرة في طفلك إلى ساعة متأخرة من الليل فسأغني لك من النجوم :

« نامي يا أماه نامي » .

وسأتسلل إلى مرقدك — والقمر يغمر بأشعته كل شيء — وأستقر في فؤادك بينما أنت مستغرقة في رقادك العميق .

سأكون حلماً ، ومن خلال انفراج جفنيك سأتسلل إلى أعماق

رقادك ذاك . ومتى استيقظت وأجلت الطرف حواليك فزعة مضطربة — كاليراعة المضيئة — أكون أنا قد تواريت في الظلام .

وحين يأتي أطفال الجيران في العيد ويلعبون حول الدار ، سأذوب مختلطاً بموسيقى الناي وأرف نابضاً في قلبك طوال النهار .

ستأتيك خالتي العزيزة بهدايا العيد وستسألك قائلة : أين طفلك يا أختاه؟

ستقولين لها — أيتها الأم — بعذوبة وحنان : إنه في « إنسان عيني » ؛ إنه في جسمي وفي الروح .

٥ — زهرة المدرسة

حينما تهدر الغيوم برعدها في السماء ، ويتحدر مطر « حزيران » شديداً غزيراً ...

تهب الرياح الشرقية الهندية لتنفخ في مزاميرهـا من أشجار الخيزران ؛ فتخرج أفواج الزهر من مصدرها المجهول وتتراقص على العشب في فرح شديد ...

أماه ! إني أعتقد — اعتقاداً حقاً — أن هذه الأزهار تذهب إلى مدرسة تحت الأرض !

ويدرسون دروسهم وراء أبوابهم المقفلة ؛ وإذا أرادوا الخروج ليلعبوا قبل الأوان يأمرهم « استاذهم » بالوقوف في الزاوية .

وتكون فرصتهم عندما يتحدر المطر .

تتلاقى أغصان الشجر في الغاب ويعلو حفيف الأوراق في الرياح وتصفق

الرعود القاصفة بأيديها الجبارة ؛ فتهجم « أطفال الأزهار » خارجة في حلل حمر أو صفر ، أو بيض .

أفتدرين — يا أماه — أن مساكنهم في السماء موطن النجوم ؟

الا ترين شوقهم الشديد إلى السمو إلى هناك ؟

الا ترين سبب إسراعهم ؟

لا شك في أني قادر على ان أحرز إلى من يرفعون أيديهم نحو العلاء .

إن لهم أمهاتهم — هناك — كما أن لي « أماً » .

٦ — أغنيتي

اغنيتي ؛ ستغمرك موسيقاها « يابني » وتحيطك كمثل أذرع الواله الحبيب .

وستمر « اغنيتي » هذه على جبينك مثل قبلة التبريك .

عندما تكون منفرداً ، ستجلس إليك وتهمس في أذنك ؛ وحين تكون في زحمة من الناس فستطوقك من بينهم وحدك .

... ستكون اغنيتي مثل زوج من الأجنحة لأحلامك ؛ وستنقل قلبك إلى حافة « المجهول » .

ستكون لك نجماً هادياً حين يستولي على طريقك ظلام الليل ..

اغنيتي ؛ ستحل في إنسان عينيك .

وتحمل صورتك إلى قلوب « الأشياء » !

وحين يخرسني الموت .. فستنطق أغنيتي في قلبك . النابض بالحياة ..

٧ — افتراء ! !

لمن هذه الدموع في عينيك يابني ؟!
ما أفظعهم حين يؤنبونك على غير شيء؟
أو يدعونك قذراً ، لأنك لوثت يديك ووجهك بالحبر أثناء الكتابة ؟؟
ويل لهم ! هل يتجزؤون فيدعون البدر قذراً لأنه لوّث بالحبر وجهه ؟

* * *

ولأقل عبث يلومونك يا بني ؟!
إنهم مستعدون لايجاد الخطأ في « غير شيء » .
أو لا يدعونك أنيقاً مهندماً ، لأنك تمزّق ثيابك أثناء اللعب ؟
ويل لهم ، فكيف سيدعون صباح الخريف الباسم من خلال غيومه المتراكمة ؟
لا تعن بأمرهم يابني ولا تهتم ..
إنهم ليضعون قائمة طويلة بسيئاتك !

* * *

كل يدري بحبك الحلو ، أفلذلك يدعونك نهماً ؟

٨ — طريق الطفل

.. لو شاء الطفل .. فقط لو شاء .. إذاً لارتفع إلى علياء السماء !
وما لغير داع لايغادرنا الطفل .. إنه يريد إن يريح رأسه على صدر أمه . ولا يستطيع أن يختفي عنه منظرها ..

إن الطفل ليعرف الحكم – مع قلة من يعرفها على الأرض – وما لغير داع ، لا يرغب الطفل في الكلام !

إن الشيء الوحيد الذي يريده الطفل : هو أن يتلقن من شفتي أمه الكلمات .. وذلك الذي جعله بريئاً طاهراً .

إن لديه كومة من ذهب ولآلىء ، ولكنه جاء إلى الدنيا جيئة سائل فقير. وما لغير سبب جاء – الطفل – في هذا التنكر .

إن هذا السائل العزيز العاري يريد أن يكون بغير عون ، ليتمكن من استجداء ما عند أمه من ثروة الحنان .

إن الطفل كان حراً طليقاً من كل غل في أرض « الهلال الصغير » ، وما لغير داع تخلى – الطفل – عن حريته .

إنه يعرف أن مجالاً غير محدود لمسراته في زاوية قصية من قلب أمه؛ وأشهى لديه من الحرية : ضمة بين ذراعيها الحبيبين .

ما عرف الطفل البكاء قط ؛ فقد قطن في أرض السعادة الدائمة ، ولكن « لداع » كان اختياره سكب الدموع !

ومع أن البسمة من وجهه العزيز تجتذب شوق « قلب أمه » إليه ؛ مع هذا ، فإن صرخاته الضعيفة تنشىء وثيقة الحب والحنان عليه .

اطفالنا وماذا اعددنا لحمايتهم

كثيرا ما قرأت الشعر ولكن قليلاً ماحفظت من كلماته شيئاً ولكني لا أزال أذكر أنى قرأت قديماً شعراً لفيكتور هوجو يحضرني من معناه ما يأتي :

إن بيتاً لا أطفال فيه هو كسجن مظلم كئيب يشع من جدرانه الألم والسأم والضجر وإن بيتاً تلعب فيه الأطفال لهو جزء من جنات النعيم . فهم في البيت كالأزهار في الحديقة تبعث فيها البهاء والجمال ، وكالطيور في الفضاء تغرد فيه بأصواتها الموسيقية الجميلة فتزيل وحشته وتملأه سلاماً وبهاء . وكالنجوم في السماء تتلألأ فيها فتزيد صفاءها جمالاً وتنير أرجاءها الفسيحة فتسر الناظرين وتهدي السائرين .

فالأطفال هم أجمل المخلوقات طراً وأحقها بالحب والعطف ، وهم أمل الآباء والأمهات ، بل هم أمل الأمم جميعاً ، وهم زينة الدنيا كلها .

ماذا أعد غيرنا من الأمم لحماية أطفالهم من كل ما يتعرضون له في هذا السن الرطب من مختلف الأخطار .

اعتاد العلماء تقسيم الطفولة إلى الأدوار الآتية :

الدور الأول : وهو دور الجنين من تكوينه إلى ولادته .

الدور الثاني : وهو الطفل الرضيع ، ويبدأ من الولادة إلى سن السنتين .

الدور الثالث : وهو يبدأ من سن السنتين وينتهي بالخامسة .

الدور الرابع : وهو يبدأ من السادسة وينتهي في الرابعة أو الخامسة عشرة أي في سن البلوغ .

وقد اهتمت جميع البلاد المتمدنة برعاية أطفالها في هذه الأسنان المختلفة وقامت حكوماتها والمنشآت الأهلية التي تأسست فيها جميعاً لهذا الغرض باعداد الوسائل المختلفة الخاصة بحماية هؤلاء الأطفال . كما وضعت التشريع الذي يسهل أو يضمن تنفيذ ما اتخذته هذه البلاد المختلفة من وسائل هذه الوقاية .

وسنتكلم باختصار عما عمل في البلاد الأخرى لحماية الأطفال في أدوار حياتهم التي فصلناها لنتعرف بعد ذلك مواضع النقص فيما أعددنا لحماية أطفالنا ومنع شر الأمراض عنهم .

الدور الأول — حماية الأجنة

يصاب الجنين بكثير من الأمراض الوراثية ، لذلك اهتمت جميع الأمم باتخاذ إجراءات من شأنها تقليل خطر وصول عدوى الآباء إلى هذه الأجنة .

فلا تستقبل هذه المخلوقات الدنيا وهي مثقلة بالأمراض القتالة التي ورثتها عن آباء جهلة أو مقصرين و معتوهين . فأنشئت لهذا الغرض في جميع البلاد عيادات سميت « عيادات قبل الوضع » وهي مخصصة لتشخيص أمراض الحاملات ولعلاجهن في طول مدة الحمل . وهي تعنى بجميع البحوث الخاصة باكتشاف

الأمراض المختلفة التي تنتقل بالوراثة إلى الجنين والمبادرة إلى علاجها بأحدث الأساليب العلمية .

وقد انتشرت هذه العيادات انتشاراً عظيماً في جميع البلاد . فلا توجد قرية في انكلترا مثلاً إلا أُنشئت فيها عيادة من هذا النوع ، ولا توجد في هذه القرية حامل إلا قصدت هذه العيادة للتأكد من حالتها ومن حالة جنينها .

وأخطر الأمراض التي تصيب الجنين بالوراثة هي الأمراض الزهرية وبعض الأمراض العصبية والعقلية .

أما عن الأمراض الأولى فقد تقدم علاجها تقدماً كبيراً وأصبح من الميسور لجميع المصابين بها رجالاً ونساء أن يعالجوا أنفسهم منها بلا وجل أو حياء ، فإنها متى عولجت في الوقت المناسب وبالأساليب العصرية شفيت تماماً وزالت آثارها ونتائجها واستطعنا بذلك أن نقي الجنين شرها ، بل قد تعالج بنجاح كبير في الجنين نفسه إذا تقدمت الأم بصراحة للعيادة المختصة .

وأما ما ينتقل إلى الجنين من الأمراض العقلية والعصبية فقد عجز العلم الحديث إلى هذه الساعة عن إمكان وقايته من أكثرها ، ولذلك اتخذ بعض البلاد اجراء حاسماً يقضي بتعقيم الآباء المصابين بهذه الأمراض التي تنتقل بالوراثة والتي لا أمل لشفاء الأطفال منها .

وبذلك يتقون شراً اجتماعياً خطيراً وهو تكوين طبقة كبيرة من الأطفال البؤساء الذين يولدون مصابين بأمراض غير قابلة للشفاء فيصبحون من ولادتهم إلى موتهم عالة على أهلهم وعلى بلادهم . وقد قضى عليهم مع ذلك بأن

يعيشوا طول حياتهم تعساء بؤساء لا يتمتعون بأية لذة ولا يستطيعون القيام بأي عمل .

وقد قضى تشريع بعض البلاد بضرورة التأكد قبل عقد الزواج من صحة الزوجين وعدم إصابة أحدهما أو كليهما بمرض معد ينتقل من طرف إلى طرف أو من الزوجين إلى أطفالهما .

الدور الثاني — وهو دور الطفل الرضيع

إذا كانت المنشآت الخاصة بحماية الجنين منشآت حديثة انتشرت فى العالم في السنوات العشرين الماضية . وقد ظهرت في أول الأمر في فرنسا وانكلترا والمانيا بشكل منشآت صغيرة سميت « عيادات الرضع » الحقت بمستشفيات الولادة ، فكان من واجب الأطباء المولدين أن يتعهدوا جميع الأطفال الذين ولدوا بمستشفياتهم بعد خروج أمهاتهم من هذه المستشفيات . فكانوا يدعون الأم لتحضر طفلها مرة في كل اسبوع ليفحصه الطبيب ويرى إذا كان ينمو نمواً طبيعياً أو أصابه ما أخر نموه من مختلف الأمراض .

وينتهز الطبيب هذه الفرصة ليلقي على الأمهات من وقت لآخر درساً عملياً في شأن من شئون الأطفال ، وليلقنهن بعض المبادىء الصحية التي يجب السير عليها .

وهي تدور دائماً حول تغذية الأطفال وما يلائمهم في أسنانهم المختلفة من الغذاء واللباس وغير ذلك من وسائل العناية بهم .

ولما زاد إقبال الامهات على هذه العيادات واستحال على أطباء مستشفيات الولادة أن يقوموا بهذا العمل ، أسست هذه العيادات مستقلة عن مستشفيات الولادة ، وعين لها الأطباء المختصون ، وأخذ عددها يزيد سنة فسنة حتى عمت جميع القرى والمدن في اكثر بلاد اوروبا ، ثم زاد نشاطها فأصبحت لاتغني .

وانتشر النوع الاول من هذه الملاجىء انتشاراً كبيراً حتى صارت في أغلب الأحيان جزءاً متماً للمصانع والمعامل التي تشتغل فيها النساء .

أما التشريع الذي أدخلته جميع البلاد الاوربية على قوانينها فهو يتعلق بالأسس الآتية :

(١) التشريع الخاص بتشغيل النساء وبرعايتهن . وبخاصة تشريع الحاملات وضرورة اعطائهن الراحة اللازمة قبل الوضع وبعده ، واعطائهن قدراً من المال فضلاً عن أجورهن المعتادة لنفقاتهن الضرورية في هذه الحالة الطارئة ، وهذا القدر يختلف باختلاف البلاد وقدرتها المالية .

(٢) تشريع المرضعات المأجورات ، والغرض منه تخصيص لبن الأم لابنها مدة ستة أشهر على الاقل كما في فرنسا وهي حرة بعد ذلك أن تبيع لبنها لطفل آخر ، والغرض من هذا التشريع واضح ، هو حماية الطفل الرضيع من سوء تصرف أمه .

ويقضي هذا التشريع أيضاً بالكشف على المرضعات للتأكد من سلامتهن قبل التصريح لهن بالارضاع .

كما أنه يقضي بالكشف على الاطفال الذين يحتاجون لمرضعة مأجورة للتأكد

من سلامتهن أيضاً ، وعدم إمكان انتقال عدوى بعض الامراض منهم إلى مرضعاتهم ثم إلى أبناء هؤلاء المرضعات بعد ذلك .

(٣) تشريع اللبن ؛ لمنع غشه وضمان وصوله للجماهير نقياً طاهراً صالحاً للاستعمال ، ونظراً لاهمية هذا الموضوع فقد قضى التشريع في بعض البلاد بأحكام قاسية على تجار اللبن إذا ما فكروا في غشه ، وقد تصل بعض هذه العقوبات في بعض البلاد إلى الحكم بالاشغال الشاقة مدة قد تصل إلى ست سنوات ، كما قضى هذا التشريع بضرورة فحص مصادر اللبن أي فحص البقرة التي تنتجه فحصاً دورياً للتأكد من سلامتها ، كما قضى بضرورة بيعه في أماكن معينة ثابتة مستوفية لجميع الشرائط الصحية مجهزة بأدوات التبريد والحفظ ، كما قضى في بعض البلاد كانكلترا مثلاً ألا يباع اللبن إلا في زجاجات مختومة مكتوب على كل منها الساعة وتاريخ اليوم الذي لايباح بعده استعمال هذا اللبن وكذلك قضى بعض التشريعات ألا يباع لبن الأطفال إلا معقماً ، وبالاختصار فقد احتاطت جميع البلاد لضمان توزيع اللبن نقياً بسلسلة من القوانين بنيت جميعها على ما قرره العلم الحديث .

الدوران الثالث والرابع

وفيهما يأخذ الطفل في النمو الجسمي والعقلي ويحتاج إلى غذاء صالح يساعد على هذا النمو ، وتشغل المدرسة أكبر جزء من هذا الدور ، ولذلك

فقد اهتمت الحكومات المختلفة والجمعيات الخيرية الكثيرة برعاية الطفل في دور دراسته سواء أكان الطفل داخل المدرسة أم خارجها .

وتتلخص المجهودات المختلفة التي تبذل في هذا السبيل فيما يأتي :

أولاً — تقديم الأغذية الصالحة للأطفال الفقراء سواء أكانوا في المدرسة أم لم تسمح سنهم بدخولها بعد . وتقوم الحكومات والمجالس البلدية والمحلية ومجالس المقاطعات والجمعيات الخيرية المختلفة بهذه المهمة .

ثانياً — يحاط التلاميذ في المدارس بالرعاية الصحية الواجبة في أثناء دراستهم، وتفحص أجسامهم في فترات معينة ويعالج منهم من يتبين للطبيب أنه مصاب بمرض أو مستعد للاصابة به ، كما أنشئت العيادات المختلفة والمستشفيات لعلاج التلاميذ المرضى من الفقراء .

وقد بذلت جميع المجهودات في سبيل تحسين بناء المدارس وتوافر جميع وسائل الصحة فيها وقاية لصحة الأطفال والتلاميذ ، ولتقوية مناعة أجسامهم لمقاومة الامراض المختلفة التي تهددهم في هذا السن

ثالثاً — بذلت المساعي المتواصلة لتمكين جميع التلاميذ في المدارس من الاستفادة بالألعاب الرياضية المختلفة ، ولذلك تأسست الجمعيات داخل المدارس وخارجها لتجهيز الامكنة الصالحة لهذه الالعاب وليتمكن جميع التلاميذ من الاستفادة منها .

وقد ثبت الآن في الاذهان بالدليل العلمي المقنع بأن الالعاب الرياضية في هذه السن بل في جميع أدوار الحياة هي سياج الصحة وأقوى وسيلة لزيادة

مناعة الجسم ضد الأمراض المختلفة ، ولذلك اهتمت جميع المدارس في انكلترا بالالعاب الرياضية اهتمامها بتلقين العلوم بل قد يزيد عنه في بعض الأحيان .

كذلك سنت الحكومات المختلفة التشريع اللازم لتشغيل الأطفال وضرورة قصر عملهم في المصانع على الاعمال التي لاتضر صحتهم ، كما حددت ساعات عملهم بالقدر الذي يلائمهم ، كذلك قامت الحكومات بعمل التشريع اللازم ضد قسوة الآباء على الأطفال أو إهمالهم شؤونهم ، وقد تصل العقوبة في بعض هذه القوانين إلى حد نزع الطفل من رقابة أبويه ووضعه تحت رقابة الحكومة نفسها وذلك بوضعه في عهدة شخص أو معهد تعينه الحكومة لهذا الغرض وتشرف عليه .

وقد ترتب على هذه المجهودات مجتمعة أن قلت وفيات الاطفال في جميع بلاد العالم المتمدن بنسبة كبيرة ، وقد تحسنت صحتهم تحسناً بيناً في جميع أدوار الطفولة ، فقد نقصت وفيات الاطفال الرضع في انكلترا من ١٦ ٪ في سنة ١٩٠٧ إلى أقل من ٦ ٪ سنة ١٩٣٧ ، كما نزلت نسبة الاطفال المصابين بالكساح وفقر الدم والامراض الصدرية فيها إلى حد كبير ، وقد قلت نسبة الوفيات إلى ما يقرب من هذه النسبة في البلاد الاوروبية الاخرى .

بقي علي بعد هذا البيان أن أتكلم عن أطفالنا وعما بذلناه من المجهودات لحمايتهم وإني أسارع فأقول : إن حالة أطفالنا قد تحسنت بعض التحسن في السنين العشرين الماضية ، بفضل مجهودات وزارة الصحة والجمعيات الخيرية المختلفة التي أنشئت لهذا الغرض .

فلقد أنشأت الحكومة والجمعيات كثيراً من مراكز رعاية الطفل ، وكذلك تبذل مساع كثيرة لإرشاد الامهات عن وسائل تغذية أطفالهن وتربيتهم ، وكذلك أنشىء كثير من الملاجىء والمعاهد الخاصة بصغار الاطفال وكبارهم ولكني أعتقد مع هذا أن حالة أطفالنا ما تزال تحتاج إلى بذل مجهود أكبر مما بذلنا ، وإلى رعاية صحية مستمرة متواصلة إذا أردنا أن ننقذ أطفالنا من الأخطار الكثيرة التي يتعرضون لها ، فما تزال نسبة الوفيات للأطفال الرضع برغم جميع المجهودات التي بذلت في تخفيضها تقرب من ٢٠ ٪ من المواليد ، وهي نسبة عالية جداً إذا قارناها بوفيات البلاد الاخرى . وهي مع هذا لم تنقص أو نقصت قليلاً في السنين العشرين الماضية وما تزال الامراض المعوية والحميات الوبائية تحصد الآلاف منهم في فصل الصيف ، وما تزال الوسائل الأولية القديمة التي كانت تتبع منذ آلاف السنين .

وإذا ذهبت إلى المدارس المختلفة إلزامية كانت أم ابتدائية أم ثانوية أم عالية ونظرت إلى التلاميذ لرأيت في أكثر الأحيان وجوهاً شاحبة وأجساماً هزيلة ضعيفة ، وهذا أمر يدعو إلى التفكير العميق ويحتاج إلى العلاء القاطع السريع .

ويكفي للدلالة على سوء هذه الحالة أن تعلم أن الكشف الطبي الذي يعمل للمقترعين للخدمة العسكرية يثبت أن نسبة الصالحين منهم لاتزيد على ١٠ ٪ وابلغ من ذلك أنه عندما تطوع بعض طلاب الجامعة للتمرين على الاعمال الرياضية والعسكرية أثبت الكشف الطبي أن نسبة من يصلحون منهم

لهذه التمرينات لاتزيد أيضاً على ١٠ ٪ وبقيني أن هذه الحالة التي وصفناها يجب أن تسترعي أنظار أولي الامر ليعملوا بسرعة على إصلاحها او تحسينها فإن مستقبل هذه الامة يتوقف على هذا التحسين السريع ، فلا أمل يرجى لتقدم هذه البلاد في جميع مناحي الحياة إلا إذا قويت أجسام أهلها ولا سبيل إلى ذلك إلا برعاية أطفالها حتى قبل ولادتهم .

فليس في مصر للآن تشريع لحماية الحاملات أو لتنظيم شئون المرضعات المأجورات .

ويوجد تشريع خاص بتشغيل الأطفال ولكنه تشريع مهمل غير منفذ فأصبح كأنه غير موجود .

وتشريعنا الخاص بحماية الاطفال من اهمال آبائهم تشريع قديم ناقص ولا أثر له ، فإنه ما يزال يباح للاب في مصر أن يؤجر ابنه بدراهم معدودة لمحترفي التسول والنشل في طرقات العاصمة ولا من سبيل قانوني لنزع هذا الطفل من أيدي هؤلاء الوحوش .

وتشريعنا الخاص بحماية السكان من ضرر الأغذية غير الصالحة تشريع أولي يحتاج إلى تعديل كثير في جميع الأسس التي بني عليها ، فما تزال الاغذية تباع في الطرقات معرضة للتلوث بتراب الشوارع والذباب .

وما يزال اللبن الذي هو غذاء الأطفال الأساسي في سنيهم الأولى منبع خطر كبير برغم ما تبديه وزارة الصحة من العناية بمراقبته ، فلم تصل هذه المراقبة بعد إلى فحص الحيوانات التي يؤخذ منها ، وهي لم تصل بعد كذلك

إلى فرض بيعه في زجاجات مقفلة وفي أماكن ثابتة معدة بأداوت التبريد والحفظ ليبقى فيها صالحاً للاستعمال مدة من الزمن .

فقد يباع اللبن الآن في القاهرة والاسكندرية ملوثاً بميكروب السل ، كما قد يباع بعد كشف مصلحة الصحة بساعة في فصل الصيف فاسداً غير صالح للشرب بأي حال .

كذلك ليس لنا تشريع صحي خاص بالزواج ، وحتى التشريع الذي صدر بخصوص تحديد السن الأدنى للزوجين صار تشريعاً عاطلاً غير معمول به في أكثر الأحيان لأسباب يعلمها الجميع .

وأما مسألة تعقيم المعتوهين والمجانين فلم تبحث للآن في مصر ، وأملي في همة وزير صحتنا أن يولي هذه المسألة وغيرها من المسائل الصحية التي تعرضت لها عنايته ، واهتمامه .

وقد اهتم وزير المعارف أخيراً بمسألة الصحة المدرسية ودعا لدراسة هذا الموضوع لجنة برئاسته وكان لي شرف العضوية فيها ، وقد وصلت هذه اللجنة في زمن لم يزد على عشرة أيام ، إلى وضع تقرير واف تناول هذه المسألة الخطيرة من جميع أطرافها ، وتقدم إلى الوزارة ببضعة مشروعات لاصلاح حال التلاميذ الصحية ، والأمل معقود بأن توضع هذه القرارات موضع التنفيذ السريع .

ولا أريد أن أطيل كثيراً في هذا الموضوع وقد شرحته شرحاً وافياً في كتاب « على هامش السياسة » وأكتفي الآن بأن أرجو أن يفكر ولاة الأمر فينا في هذه المسائل الخطيرة .

دكتور : حافظ عفيفي

التشجيع والتثبيط

وأثرهما في تربية الأطفال

قام أحد علماء النفس بتجربة طريقة يقيس بها أثر الشعور بالفشل وعدم التوفيق في نفوس الأطفال وعلمهم وانتاجهم ، وتتلخص في أنه اختار عدداً من صغار الأطفال بنين وبنات ، ومرنهم مدة مناسبة على نظم خرز ملون في خيط بنظام خاص : وقاس معدل انتاجهم بعدد ما ينظمونه من الخرز نظماً صحيحاً بناء على الطريقة المرسومة .

ثم أعطى لكل منهم جائزة أو لعبة تصبح من حقه إذا عثر عليها في الحجرة التي خبئت فيها اللعب كلها ، وأخذ الأطفال يبحثون بجد واهتمام عن جوائزهم ولعبهم في كل أرجاء الحجرة ، ففاز بعضهم وفشل البعض الآخر لأن الاستاذ لم يضع جوائزهم في الحجرة عمداً وعاد الجميع إلى عملية للضم مرة أخرى ، والفائزون فرحون ممتلئون نشاطاً وحماسة والفاشلون حانقون مغتاظون ، ثم قاس إنتاجهم للمرة الثانية ، فوجد أن الفريق الثاني على الاطلاق — فريق الفاشلين — قد انحط متوسط انتاجهم على المرة الأولى بدرجة كبيرة فضلاً على ما كان يظهر عليهم من شدة القلق والاضطراب والشعور بالضيق والغيظ في أثناء العملية وكثرة تفكيرهم في الموضوع السابق الذي فشلوا فيه .

في حين أن معظم أفراد الفريق الأول الذين حصلوا على لعبهم وجوائزهم زاد معدل إنتاجهم وظهرت على وجوههم علامات السرور والاطمئنان ومن

هذه التجربة البسيطة يتبين لنا مبلغ أثر الفوز والتشجيع في زيادة إنتاج الأطفال من جهة ، والأثر السيء الشديد للفشل والتثبيط ، ومايترتب عليه من شعور بالضيق والارتباك وكثرة الخطأ وقلة الانتاج من جهة اخرى .

وإذا كان هذا هو الحال في ظرف بسيط كهذا كل ما فيه لعب تعطي تشجيعاً للأطفال وليست من حقهم ولا من ملكهم الأصلي ، وعملية آلية لاتحتاج إلى تفكير أو تصرف كنظم الخرز ، فما بالنا بظروف التربية المعقدة التي تتكرر كل يوم حتى تشغل كل حياة الطفل وتستنفد كل نشاطه ، وتتطلب منه اهتماماً وتفكيراً .

وليس من شك في أن التشجيع المفعول وفي الامور التي يكون عند الطفل استعداد طبيعي لها وفي استطاعته القيام بها ، له أثر كبير في تقدمه وتعليمه ، قد يحاول أن يمارس الامور الصعبة ويحاول جهده أن يتغلب عليها ، ويهديك النجاح البسيط تفاؤلاً في العمل وثقة في النفس وهما من أهم العوامل التي تؤدي إلى النجاح وتساعد عَلَى تكوين الشخصية التي نطمع في أن تكون لأولادنا .

وفي الحق أن الطفل لفي أشد الحاجة إلى من يشجعه ويأخذ بيده ويرشده إلى الطريق السوي في روح مرحة وشيء كثير من الأناة وسعة الصدر ، منذ نشأته الأولى إلى أن يبلغ أشده ويستطيع ان يسير بنفسه في الحياة ويختط لنفسه طريقه فيها ، فهو في كل شيء يتعلم من حركة يقوم بها بدنه كالمشي والكلام ، او عملية ومهارة حركية يكتسبها كالكتابة والرسم او أمر عقلي يعالجه كالتفكير في حل المسائل او معلومات يحصلها كالعلوم المدرسية او عادات

يتقنها ؛ يحتاج إلى كل من يشجعه المرة بعد المرة ويغض عن هفواته ويتجاوز عن فشله في محاولاته الأولى ثم يطريه ويثني على مجهوده إذا فاز ونجح بعض الشيء ولذلك كان من أهم ما نادى بـه جاك روسو الفيلسوف الثوري المعروف من منافـة الانسان لنفسه .

فيحاول الطفل أن يقوم في كل يوم بما يفوق ما قام في اليوم السابق او المرة الفائتة بعض الشيء ولو بقدر ضئيل ، فإن تذوق طعم النجاح مرة يدعو إلى طلب استمرار النجاح والعمل البسيط الذي يقوم به الطفل بمجهود بسيط فيشجعه على الاعمال الجسام التي تتطلب منه الجهود الجبارة ، يبذلها طواعيـة وفي لذة وشوق ما دام يشعر في نفسه بالاطمئنان إلى النتيجة ، بل إن طريقة علاج الأمراض التي ابتكرها الدكتور الفرنسي « كوويه » والمعروفة باسمه « كووزم » لتقوم كلها على هذا الأساس فالمريض يقول لنفسه كل يوم عدة مرات بنظام خاص « أنا اليوم من جميع النواحي أشعر بأني أحسن حالاً » او يقول : « كنت مريضـاً وتحسنت قليلاً واليوم تحسنت اكثر وغداً سأتحسن اكثر واكثر » وقد تكون في نظر البعض طريقة غير منتجة ، ما دام الناس قد ألفوا الطب والدواء في معالجة الأمراض .

ولكن مما لاشك فيه أن استهواء الانسان لذاته وتشجيعـه لنفسه بنفسه لا بد أن يحدث شيئاً من الشعور بالارتياح والاطمئنان ، إن لم يكن سبباً من شفاء المرض كلية ، فعلى الأقل يصبح عاملاً مهماً في تخفيف ألمه وازدياد المقاومة وهذان هما ما يتطلبه الطبيب من جانب المريض .

والمدرسون يعرفون مبلغ أثر التشجيع المتواصل في تحسين عمل التلميذ الضعيف وتقدم المتأخر إذا كان عنده استعداد للتقدم .

يقابل هذا بل يقوه معه عن طرفي نقيض ، أن تثبيط الهمة و كثرة النقد والعقاب على الخطأ تقتل في التلميذ دافع الاقدام وتبعث اليأس إلى نفسه ، وتكون فيه شخصية خاملة بائسة مضطربة وتجعله يتوقع الفشل في كل ما يقوم به وتجعله متشائماً وهي شخصية هدامة حائرة غير منتجة نريد أن نبعدها عن أطفالنا كل البعد إذا اردنا لهم تقدماً وفلاحاً في المستقبل ، بل إنها لتقتل استعداد التلميذ وان كان قوياً بطبيعته . اضف إلى هذا انها قد تجعل الطفل القوي الشخصية بطبيعته شخصاً ثائراً يشعر بالاضطهاد غير المشروع ويعمد إلى أخذ الثأر من اي طريق ، فيخرج على نظام المدرس والمدرسة والبيت وينصرف إلى نواح اخرى ليست من التربية والتعليم في شيء ومن الأطفال من تكفي كلمة تشجيع واحدة او نظرة عطف او عبارة ثناء وتقدير لتنقلهم من حال إلى حال ، وخصوصاً الاطفال العصبيين او الضعاف البنية .

كما أن نظرة التوبيخ او عبارة النقد أو ضيق الصدر او التسرع في الحكم وإظهار الاستياء من جانب المدرس تكفي لأن تقفل أمامهم الطريق وتنفرهم من الدرس وعمل المدرسة .

و كثيراً ما نرى أطفالاً نجباء يعرفون الشيء ولا يجرؤون على اظهاره لمجرد أن المدرس لسبب ما او ظرف خاص ثبط همتهم وفت في عضدهم وصور لهم الفشل مجسماً والنجاح مستحيلاً .

ومن الغريب أن الآباء عندنا مغربون إلى حد كبير بتشجيع أبنائهم أمام

الغير من أقارب وزوار فيطلبون منهم أن يتقنوا اناشيد المدرسة ويسمعون المحفوظات ويباهون بدرجاتهم الشهرية وشهادتهم المدرسية ويظهرون محاسن ابنائهم ونقط القوة أمام الغير .

فإذا ما انفض المجلس وانتهت الزيارة وعادت الامور إلى نظامها الطبيعي أظهر الآباء تململاً وتبرماً من أسئلة أطفالهم وتململوا من مساعدتهم في اعمالهم وارشادهم إلى الصواب وغالوا في تعذيرهم وتوبيخهم وربما عاقبوهم على أقل هفوة يرتكبونها .

وأقل ما يقوله الوالد الغاضب المحنق لولده انه لايصلح لشيء وانه بليد وغبي وانه ليس مثل ابيه وانه لا يرجى منه فائدة . وغيره من العبارات التي تكون كالماء البارد يصب على حرارة التحمس فتقتل النشاط وتفت العضد .

وإذا كان من الطبيعي أن يحسن الاطفال أشياء ويخطئوا في أشياء اخرى ، وأن الاصلاح لا يأتي دفعة واحدة مهما كان الامر شديداً والعقاب قاسياً ، وأن التعلم عملية تدرج ونمو وارتقاء ، فيها فترات تقدم سريع وفترات خمول وركود ، فمن الطبيعي ايضاً أن نحسن استخدام الظروف وننتفع بقوة اثر الاستعداد في نفوس صغار الأطفال على الخصوص ، فنشجعهم على اجتياز العقبات إذا صادفتهم وكان في مقدورهم التغلب عليها . ونثني على أعمالهم بالقدر اللازم الذي لا يدفعهم إلى الغرور والاستهتار بالامور الهامة ، ونعطيهم أحياناً من الجوائز والثواب المادي والأدبي ما يحفزهم على الاستمرار في بذل الجهود واضطراد التقدم والفلاح ، والانكليز يقولون بحق « لاشيء ينجح أو يضطرد كالنجاح » .

لهذا كله تنادي التربية الحديثة قبل كل شيء بأن يكون التعليم انفرادياً حتى يستطيع كل متعلم أن يسير بسرعته الطبيعية ويقوم بما تمكنه قواه واستعداداته من القيام به بصرف النظر عن الآخرين .

لأن الأطفال يختلفون في ذكائهم ومداراتهم واستبداداتهم وفي وحداتهم وأمزجتهم وكل منهم يحتاج إلى نوع خاص من المعاملة يتناسب ووجدانه ومزاجه . فإذا راعينا هذا وأشبعنا كل طفل بالقدر الذي يناسبه وتجنبنا جهد الطاقة العنت في عزائمهم وتثبيط هممهم أدينا رسالة التعليم على وجهها الصحيح وأصلحنا أمزجة أطفالنا وكونا فيهم شخصيات مرحة متفائلة تبسم في وجه الصعاب وتتحمل المشاق في صبر ورضى . وإذا كنا نحن كبار تكفينا عبارة التشجيع من الرؤساء وقليل من التقدير لإنتاجنا للمضي في سبيلنا غير آبهين بما يعترضنا في حين أن النقد اللاذع وتثبيط الهمة يقتل فينا روح الهمة والعمل ويورثنا مقتاً لرؤسائنا وينفرنا من عملنا فنصبح متبرمين بالدنيا ومن فيها ، فما أشد حاجة هؤلاء الأطفال الصغار إلى التشجيع والاخذ بالحسنى .

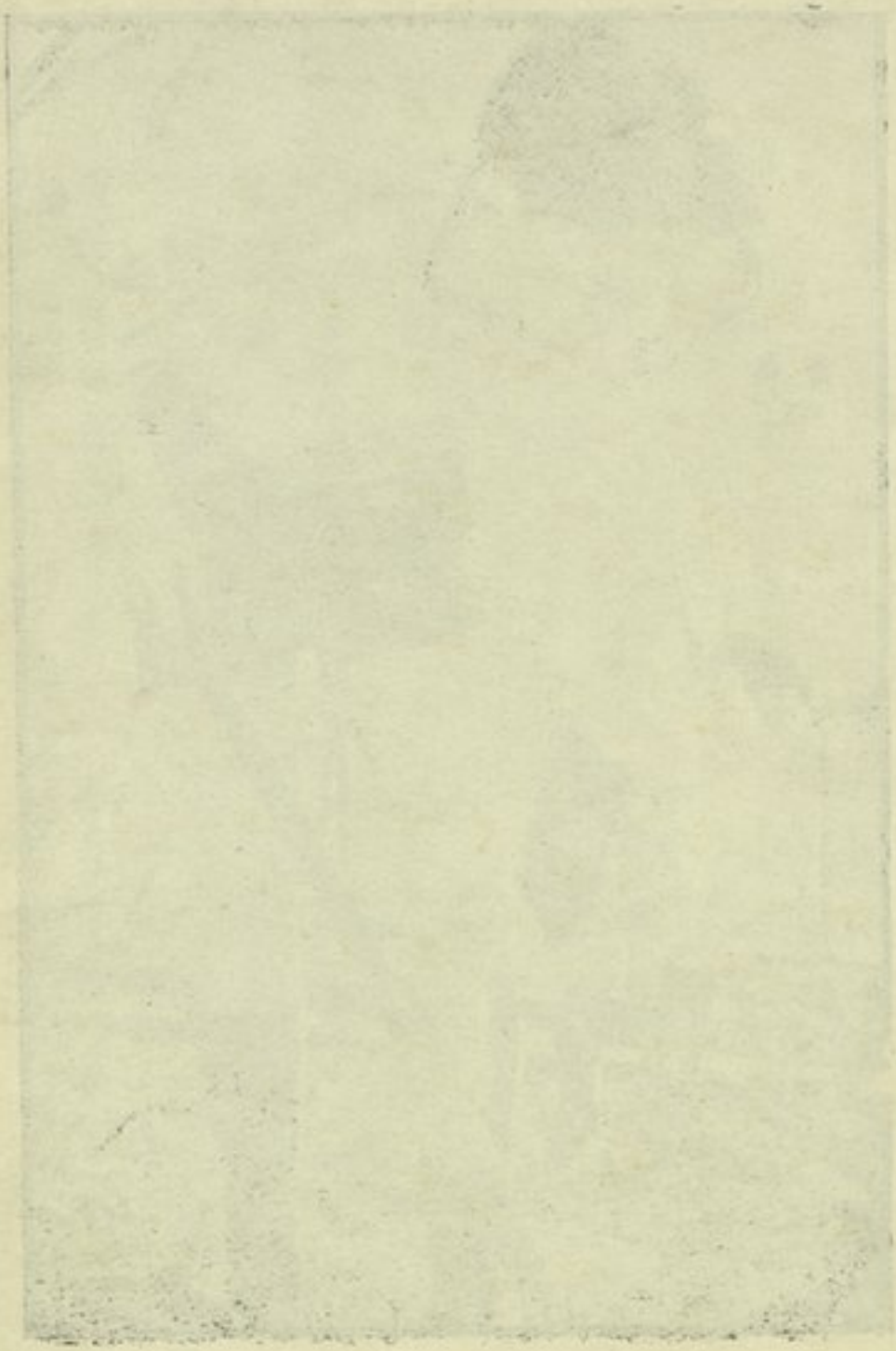
وغاية ما أقوله للآباء والمربين والمدرسين أن التشجيع المعقول يذلل الصعاب ويزيد الانتاج .

كما ظهر أن التثبيط يميت النفس ويقتل الهمة . فاتقوا الله في أولادكم وفلذات اكبادكم .

محمد مظهر سعيد



الطالب السويسري يعمل في الأرض



غرفة الطفل

في الطفل غريزة تدفعه إلى أن يود امتلاك كل شيء فهو يريد لعبة أخيه وهو يود لو يملك القمر . إن هذه الغريزة كغيرها لا يتقى ضررها باخمادها وإنما يتقى بتهذيبها وتوجيهها . وعلى الأم أن تعلم طفلها على احترام الملكيات وأن يتعود منها احترام ملكياته حتى تصبح هذه الغريزة راقية مهذبة .

ومن أهم ما يعود الطفل شعور احترام الملكية أن يكون له في المنزل غرفة خاصة به فيها ألعابه وفيها كتبه وفيها كل شيء خاص به .

ولعلك سيدتي تجدين صعوبة في هذا فالمنازل قليلة الغرف وليس ثمة متسع لأن تزاد على عدد الغرف المطلوبة غرفة جديدة للطفل وحسب الطفل جزء من غرفة .

ولكن إذا وضعت نصب عينيك أن غرفة الطفل لا تقل أهمية عن غرفة الاستقبال وغرفة الطعام ، وإذا عرفت مقدار ما يصيبه الطفل من لذة مشروعة في أن يكون حراً طليقاً يلعب كيفما شاء ، إذا فعلت هذا وجدت دون شك طريقاً لتنفيذ هذا الاقتراح .

وحسبك أن تعلمي أنه بلغ من حرص الانكليز على تربية أبنائهم تربية استقلالية أنه لا تكاد توجد أسرة متوسطة الحال أو دون المتوسطة إلا وفي منزلها غرفة خاصة بالطفل ، ولعلك تدهشين إذا علمت أن الوالد أو الوالدة كثيراً ما يقف بباب هذه الغرفة يدق الباب وينتظر إلى أن يأذن له الطفل في الدخول .

ولعل هناك صعوبة أخرى في تنفيذ هذا المشروع وهو أن يكون للأسرة عدة أطفال فلا تستطيع والحالة هذه أن تمهد لكل طفل من أطفالها غرفة خاصة به .

إن من ينظر في تربية الأطفال بعين الجد ويعلم ما تكلف تلك التربية من مال ومن جهد روحي وعقلي ليعجب أشد العجب من كثرة الأطفال عندنا . ولولا أن نسبة وفيات الأطفال عالية ولما وجد هذا الجيش الضخم بعض ما يجد من راحة ورفاهية .

إن من يعرف أن تربية الطفل تكلف الأم دراسة خاصة وتكريس جزء هام من حياتها لمراقبة الطفل عن كثب يعرف أن الأم لا يمكن أن تربي عشرة أطفال أو حتى سبعة تربية صحيحة لها هي فيها أكبر فضل . تظن الام أن الطفل لا يكلفها أكثر من نظافته وطعامه ولباسه ، ولو عرفت أن هذا ايسر ما يكلفها وإن عبء الأمومة أثقل وواجبها أقدس لعرفت ان تربية طفلين اثنين متقاربي السن اعسر ما يمكن ان تلقى في حياتها .

فلو نظرت امهاتنا إلى تربية الأطفال بعين الجد لعرفن كيف يحسبن حساب الطفل وكيف لا يمكن له ان يستغني عن غرفة تخصص له في منزل الأسرة .

اما مزايا هذا الاقتراح فحسبه انه يعوّد الطفل الاستقلال في شؤونه صغيراً وحسبه انه يوفر للطفل نسيم الحرية في منزله فيعرف ان الحرية والاستقلال من حقوق الانسان المشروعة التي لايمكن له ان يعيش بدونها. حسبه ساعة او ساعات من يومه يقضيها حراً طليقاً يفعل ما يشاء في حدود ما يملك ، يلعب كيف شاء ويقرأ ما يشاء . حسبه ان يعرف ان لنفسه

عليه حقاً يؤديه بينه وبينها وان هـذا الحق محترم ممن حوله لا يعتدي على حريته معتد ولو كان الوالد نفسه او الوالدة نفسها .

يقول شاعر فارسي : إن اردت الفلاح في حياتك فكن كدودة القز تنسج حول نفسها وهو يريد بذلك أن يستوحي الانسان نفسه فـيما يأتي من عمل سواء اكان العمل مادياً او روحياً فليس انجح في الحيـاة من مبتكر ولن يكون ابتكار إلا إذا اوحته النفس . فإذا آمنا بهذا القول وهو صحيح دون شك عرفنا ان غرفة للطفل في منزله تمهد تلك الخلوة إلى نفسه اعود عليه وعلى كل من حوله اثمن ما يرفعون إليه ابصارهم .



حماية الطفل

الطفل الوحيد ، الطفل العصبي ، الأبله ، الطفل الليمفاوي

الطفل الوحيد

تختلف شخصية الطفل باختلاف مزاجه وعوامل تكوينه إذ أن للوراثة والغذاء والبيئة والمناخ والمرض والجهاز العصبي والغدد الصماء تأثير بعيد المدى في نمو الجسم والعقل وفي تكييف الأخلاق والمزاج والسلوك وفي خلق الشخصية وطبعها بطابع خاص .

وللغدد الصماء – الأخص – شأن كبير في هذا الباب إذ كلما زادت إفرازاتها تهيج الطفل وصار حاد الطبع سريع التأثر ضيق الصدر وكلما قلت عن طبيعتها أصبح كسولاً هادئاً إلى درجة البلادة أو عقيم الذهن غبياً إلى درجة البلاهة .

ونظراً لأهمية الطفل الوحيد ، ولأنه معبود الأسرة أو رمز أمانيها ، رأينا أن نبدأ بتحليل شخصيته الفذة .

الطفل الوحيد : هو المولود الأول أو الابن المدلل ، أو من لم تلد أمه سواه ، أو من مات دونه سائر الإخوة ، أو من جاء بعد ان تقدمت سن أبويه فهو المحور الذى تدور حوله حياة الاسرة ، والكوكب الذي ينبعث منه سوء سعادتها .

فلا عجب إذا تاه واختال ، أو تأثرت عقليته ونفسيته ، أو تطلع إلى من يعاشرهم من كبار السن محاولاً تقليدهم في أقوالهم وأفكارهم وأعمالهم ولو أضناه الجهد أو ناء بكاهله أو هز من أعصابه .

هو ذلك الطفل الأناني الشديد الغيرة المستبد برأيه ، الحاكم بأمره ، المتمسك بطلباته المعقولة والمستحيلة على حد سواء ، هو من يلمس اهتمام العائلة بأمره وتصادمهم من أجله وتهافتهم لخدمته وإرضائه ، وحرصهم على اعتدال صحته ، وجودة غذائه ، وتحدثهم بأطواره وأحواله ، فإذا ما أهملت طلباته في يوم من الأيام أو خولفت رغباته في وقت من الأوقات ثارت ثائرته وأرغد وازبد وتصنع النوبة ، وكان على الأم بعد أن ترتعد وتبكي ، وبعد ان ينهلع قلبها ظناً منها ان قد مسه نفر من الجن ، ان تسترضيه بكافة لوسائل ، على أنها لو صبت الماء البارد على وجهه ساعتئذ لخاف عاقبة نوبته الكاذبة ولا قلع عنها بتاتاً ، ولكنها تنخدع دائماً بتمثيله وتخضع دواماً لإرادته فيزداد غروراً وبغياً .

واخيراً هو ذلك الطفل الذي يهمل ما يجب اداؤه ويعمل ما لا يجب عمله فيمتنع مثلاً عن تناول طعامه بلا موجب ، او يهمل ميعاد التبرز او يقلع عن التريض ، او الاستحمام بينما يتمرد عن ابويه ، او يسهر الليل ، او يسترسل في البكاء او الصراخ ! فيسوء هضمه ويضطرب نومه ويشحب لونه ويختل نموه ويلتهب جلده وبالجملة فهو يشب رديء الأخلاق معتل الصحة عنيداً متعباً في تربيته كما في تمريضه وعلاجه ، إذ كثيراً ما يعجز الطبيب عن فحصه ما

لم يأخذه بالحيلة والتأني او ما لم يستعن بذويه لشد وثاقه او إذ يقاوم احياناً بعنف وخشونة .

على انه قد نجح الطبيب في فحصه فالفشل يسبقه في علاجه ، إذ يرفض غالباً ان يتناول الدواء او الغذاء المناسب ، او تتوانى الأم او تهمل تنفيذ الاوامر محاباة للطفل ومراعاة لمزاجه فتسيء إليه من حيث لاتدري إذ يطول المرض ولو كان بسيطاً .

هذا هو الطفل الوحيد فعلى الذين يتولون زمامه ان يتجاهلوا مركزه الخاص والا يشعروه اهتماماً بشؤونه او شغفاً بأحواله ، والا يتحدثوا او يتصادموا امامه من اجل حركاته وسكناته والا يسترسلوا في إرضائه وإجابة طلباته او تجاهل غلطاته ، لأن ذلك يفسده من كل الوجوه واولى بهم ثم اولى ان تتغلب عقولهم على عواطفهم وان يروضوه على النظام والطاعة وان يقوموا اعوجاجه بحزم دون استعمال الشدة في العقاب ، وجدير بهم الا يكونوا كمن عناهم الشاعر بقوله :

ومن العجائب والغرائب انني خلقت واحد أمه وابيه
إن نام فإما يحرساه وإن صحا يتلقطان كلامه من فيه

وعليهم بايفاده ، إن زاد في طغيانه إلى بعض الأقارب او الاصدقاء ليعيش فترة بينهم وليندمج بأطفالهم فيقلدهم في الطاعة والامتثال ومن ثم في تناول غذائه بشهية لا مثيل لها من قبل .

اما وقد بلغ الرابعة او الخامسة فمن الخير الحاقه بقسم الروضة ليتساوى

بزملائه الأطفال او بقسم داخلي ليستفيد من تغيير الوسط دفعة واحدة وليصبح نفراً من الانفار بعد إن كان علماً من الأعلام وهكذا إلى ان تعركه الحياة فتستقيم حاله او تمكن غرائزه فتبدو واضحة جلية إذا ما وجدت منفذاً في يوم من الايام .

الطفل العصبي

الطفل العصبي هو النحيف الجسم الدقيق الوجه اللامع العينين الذي يكتسب عصبية عن وراثة ، او عن وسط عائلي ، او عن مرض من الأمراض او صدمة من الصدمات .

هو ذلك الطفل الدائم النشاط العميق التأثر السريع الانفعال الشديد الخجل والحياء الرقيق الاحساس الذي تصفر او تحمر وجنتاه إذا ما نظرت او تحدثت او اشرت إليه .

هو الخفيف الروح والحركات المتدفق في كلامه او المتلعثم فيه ، الذكي الفؤاد ، الغريب الفهم ، السهل الحفظ ، المحب لذاته ، القوي الإرادة الذي يقاوم ويناضل من اجل رغباته وطلباته .

هو من يتصبب عرقه او يتسال بوله او يتصدع رأسه او تبرد اطرافه . هو من يخفق قلبه دواماً او تنقبض وتنسبط اسارير وجهه تباعاً . هو من يقلم اظافره بأنيابه احياناً .

هو من يفضل العزلة والانفراد . ويتخير الشاذ من الألعاب ويتجنب الأليف من الحيوان . هو من يخاف النوم منفرداً او في الظلام . فتفزعه احلامه او ترغمه على الشيء او الكلام او على قرض اسنانه وهو نائم .

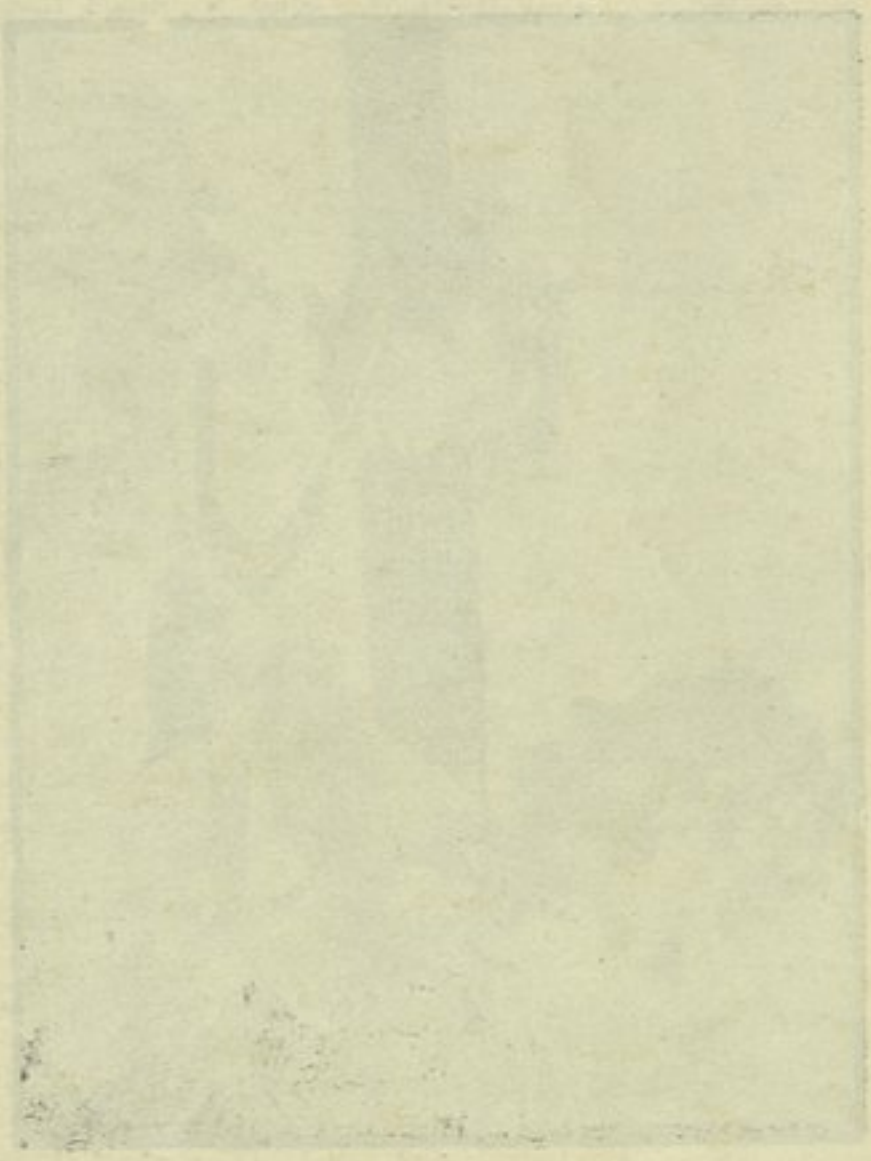
هو من يميل بطبعه إلى اصناف خاصة من الطعام فيكثر مثلاً من تناول التشوبات او ينفر من تناول الألبان والدهنيات . هو من تضرب شهيته وتتكاسل كبده وامعاؤه ، فيتعرض إلى نوبات التشنج او القيء الشديد او الم البطن الغامض السبب او ارتفاع الحرارة الطويل الأمد .

فهو كما ترى حليف الاجهاد والاعياء . جدير بوالدة او مربية هادئة رزينة نابهة رحيمة ان تعنى بتغذيته وتربيته ومسامرته واكتساب ثقته ونصحه وإرشاده ، وإذ ذاك لا يسمع شيئاً عن اطواره واحواله . او عن تلك الخرافات الحكايات المخيفة ، كما لا ينام منفرداً او في الظلام إذا خافه . ولا يختلط بالعصبيين امثاله او من بهم شذوذ او انحراف في السلوك والاخلاق .

واخيراً هو الطفل الجدير بالتعلم الفردي المنزلي التدريجي ، إذ يستفيد منه كما يستفيد من تعليمه في الهواء الطلق في فرقة خاصة ببطء وبأسلوب بسيط شيق يتفق مع حاله ويحول دون اجهاده . خصوصاً في سنواته الاولى حيث يوضع أساس تكوينه العصبي والعاطفي ، وحيث ينبغي أن يسود الهدوء التام وسطه الذي يعيش فيه . وحيث يعامل بالحسنى دون تخويفه أو تعنيفه تعنيفاً شديداً . لان لهذا المسلك الاخير أسوء الأثر على مشاعره .



في مدارس الحضانة الحديثة يجد الطفل الجميع أصدقاءه حتى الطبيب



الطفل الأبله

هو الطفل البليد العقل الخامل الذهن الذي لا يتجلى ذكاؤه وجهده العقلي طالما تبدأ عيناه في تتبع الاشخاص التي تتحرك أمامه ؟ أو حالما تبدأ يداه في اقتناص الأشياء التي تمر به ·

هو الذي قد يتأخر نموه الجثماني فضلاً عن نموه العقلي فلا تعتدل قامته ولا يجلس ولا تنبت أسنانه ولا يزحف ولا يقف على قدميه ولا يمشي ولا يتكلم ولا يفهم ولا يتأمل ولا يعمل لنفسه عملا إلا متوخراً بالنسبة لسنه او بالنسبة لغيره ·

وهذا ما يجب على الآباء والامهات أن يلاحظوه وأن يسرعوا في ا كتشافه حتى يتمكن الطبيب في الوقت المناسب من ملافاته او علاجه · إذ قد يكون التأخر وراثياً فيقف عند حد معين او يتحسن قليلاً بتهيئة الوسط والغذاء المناسب · او قد يتطور ذكاء الطفل إن كان محدوداً · ونموه العقلي إن كان بطيئاً وصحيحاً ، إذا ما توفرت وسائل التعليم والتدريب اللازم ، وإذ ذاك يمكن الانتفاع بالطفل على قدر مواهبه سيما إذا ضمه معهد خاص بأمثاله ·

او قد يجيء التأخر عقب مرض عضال ، فتتوقف عقباه على سن الطفل وعلى نوع الإصابة ومداها وعلى ما يمكن اتخاذه من وسائل العلاج · وإنقاذ ما يمكن إنقاذه ·

او قد تنشأ بلاهة الطفل من فساد التربية أو سوء الاضطهاد · إذ متى تتفانى الام في حبه وتدليله وفي حمايته من الهواء والشمس والمشي والوثب

والسقوط والجري . فإنه ينشأ وهو لا يجد ما يبعث ذكاءه او يحث ذهنه على النمو او يدفعه إلى الجهد ، او يدعوه إلى ترك الراحة التي يركد فيها الجسم والعقل . او متى يضطهد الطفل من أمه ، او زوجة ابيه ، او من اولادها بعد وفاتها ، فإنه يخنس ويمتنع عن مباراة إخوته ، ولذا ينفرد ويتعود على القناعة والاستكانة فينشأ هو ابله .

ومهما يكن من امر التأخر فلا يحق للآباء والامهات ان يتجاهلوه او يهملوه ، ولا يحق لهم ان يرتاحوا إلى هدوء الاطفال وبلادتهم في سنواتهم الاولى ، املاً بتصحيح مركزهم في وقت من الاوقات ، قد يتم ذلك احياناً إذا ما صح استعداد الطفل الغريزي وتعهدناه بالوسط المناسب ، ولكنه لن يصحح مركزه إذا ما خافه استعداده او ساء الوسط الذي يعيش فيه ، او إذا ما وصلت به الحال إلى درجة البلاهة او كان تأخره خليقاً مصحوباً بنقص في قوة النمو او خلل في مركز من مراكز السمع او الكلام او الابصار .

الطفل الليمفاوي

وهذا هو الذي يتميز برخاوة العضل وتضخم الجسم وشحوب اللون وخمول القوى وضعف العزيمة وبلادة المحيا وقلة المناعة وكثرة التعرض للبرد والزكام والنزلات الصدرية المعوية فضلاً عن التهاب الجلد والمفاصل وتضخم اللوزتين وزوائد الانف والغدد .

هو الذي يميل بطبعه إلى الافراط في الغذاء والاكثار من شرب الماء

وتفضيل النشويات والحلوى فيفوق نموه الجثماني على نموه العقلي ويزيد وزنه زيادة غير طبيعية ، فيحتاج إلى تنظيم المعيشة وإلى التعود منذ نعومة أظفاره على التريض والحركة واللعب والنوم في الهواء الطلق .

هو الذي لا غنى له عن وضع حد لإفراطه وتعديل غذائه واستبدال ما فيه من نشويات ودهن بقليل من اللحم و كثير من الخضر والفاكهة اي بما يسهل احتراقه ويصعب اختزانه .

واخيراً هو الذي لاغنى له عن تنبيه غدده الصماء تلك الاجسام الصغيرة الحجم القليلة العدد التي تندمج افرازاتها مع الدم فتشحذ العزيمة وتسيطر على النمو وتتحكم في الطول والقصر والسمن والنحافة والمزاج والشخصية والذكاء والبلادة .

حسين جمالي



ملكية الطفل

طبيعة في الانسان ميله إلى امتلاك الأشياء . وهذه الطبيعة واضحة في الطفل كسائر الطبائع الانسانية الأخرى . فهو يحب أن يأخذ من إخوته ما بأيديهم . وهو إذا ملك شيئاً حرص عليه فلا يسمح لأحد أن يأخذه منه، قد يتلفه وقد يكسره ولكنه يأبى أباءً تاماً أن يمسه غيره ..

وتلك الطبيعة في الواقع من ضروريات الحياة ، ولكنها يجب أن تهذب حتى لا تنقلب طمعاً وجشعاً ، وحتى لا تنقلب مساعداً فعالاً في نمو أنانية الفرد . وتظن بعض الأمهات أن من وسائل تربية هذه الطبيعة أن يسلب الطفل كل ما يملك ، وألا يكون له ملك خاص ، فتمحى تلك الطبيعة فيه محواً تاماً . ولكن هذا خطر جداً عَلَى الطفل ، فقد يقوده هذا إلى الثورة وإلى عكس ما كانت ترجو الأم دائماً .

ليست وظيفة الام أن تميت غرائز الطفل فهذا مالا تستطيعه اية قوة ، وإنما وظيفتها أن توجه تلك الغرائز وجهات حسنة قدر المستطاع . ففي هذا الباب مثلاً تعود الطفل ان يحترم الملكيات ، اي أن يحترم ملكية غيره ، ويعدها كملكية ، لها نفس الحقوق . فإن أغار على ملك غيره اغير على ملكه وإن احترم ملك الغير احترم ملكه .

فهذه مثلاً عروس تلعب بها الطفلة ، وهي جد حريصة على حقوق امتلاكها لا تسمح لأحد أن يمسها او يلعب بها غيرها ، فهذا حقها يجب أن يحترم ، وتلك ملكيتها يجب ان تصان . ولكن لابد للام من أن تحرص كل الحرص

على أن هذه الطفلة لا تأخذ عجلة أخيها لتلعب بها دون رضاه ، فالعجلة ملك للغير يجب أن يحترم . وهكذا متى تعودت الطفلة أن تشعر بأن ملكها محترم استطاعت أن تحترم ملك الغير ، واحست في نفسها شعوراً مطمئناً بالعدل ، واحست في الوقت نفسه انها تملك شيئاً لها عليه كل الحقوق ، وفي هذا ما يقوي الشخصية ويشعرها بالنفوذ والاستقلال .



السينما والاطفال

الطفل مخلوق لا حول له ولا قوة ، وجد نفسه فجأة في دنيا جديدة عليه ، غريبة عنه ، لاتجربة له فيها تسلحه لاجتياز مرحلة الطفولة الدقيقة ، ولا خياله الفطري يساعده على تفهم أمور هذا العالم الكبير ، وهي التي تمر أمام ناظريه لأول مرة . فلذلك نراه دائم العمل على انشاء عالم صغير حوله ، يجب أن يرى فيه ما يجول بخاطره من أحلام ، كثيراً ما يخطىء في تفسيرها الكبار وتسير حياة الطفل في سلسلة من المصادمات بين هذه الاحلام وبين موقف الكبار الذين يحيطون به تجاهلها .

قالت لي سيدة لها أطفال ، إن السينما قد جعلت لصغار هذه الأيام قدرة على تفهم الأشياء تزيد على تلك التي كانت لهم منذ جيل مضى . في هذا القول شيء كبير من الحقيقة ، ولكن هذه القدرة على تفهم الأشياء ، تدرك خير الأمور وشرها على قدر سواء . وإذا كان يسر الآباء أن أطفال اليوم يعرفون من أمور الحياة أكثر من أسلافهم ، فلا يجب أن يجعلهم هذا يغفلون عما قد يكون وراء هذه المعرفة المبكرة من اخطار قد تسبب مشكلات نفسية ترقد مكبوتة دفينة إلى ان يحين لها الظهور في سن المراهقة وبعده فتجلب على صاحبها حالات سقم نفسي هو في غنى عنها .

الطفل العادي شديد الملاحظة ، وهو يسجل كل ما يمر امامه في حياته اليومية من مظاهر تلوح له في الغالب معقدة . ومن الأطفال من لا يسأل

عن سبب ما يرى بل يكتفي المشاهدة في صمت ، حتى إذا خلا إلى نفسه ، اخذ يقلب ما علق بذاكرته ويمحصه حائراً على ضوء معلوماته الضئيلة ونزعات احلامه ، فيصور له خياله اشياء لا تخرج من رأسه مطلقا ولا احد يعرف قدر صحتها من خطئها إلى ان يجيء وقت تظهر فيه احوال غريبة على الطفل يدهش له ابواه .

والسينما تصور الحياة في مختلف مظاهرها دون حرج ، بل تكشف عن كل عيب اجتماعي جرياً وراء علاجه (هذا هو المفروض) . وباستطاعة الراشد ان يدرك ماهية المواقف التي يشاهدها على الشاشة ويفهمها فهماً صحيحاً . اما الطفل فتعلق بذهنه ظواهر الأشياء دون ان يفطن إلى مراميها ، وقليل من الآباء والأمهات والمربيات من يضحي بلذة الاستمتاع بمشاهدة الفيلم ليفسر للطفل ما يجرى امامه من حوادث تفسيراً صحيحاً . كما ان هناك اطفالاً خبثاء يدركون ان القائمين بحراستهم لا يفسرون كل شيء ، وانهم يخفون عليهم ما لذ وطاب من اسرار يحارون هم في تعليلها حتى يصلوا إلى تفسير عجيب يرتاحون إليه ويقنعون انفسهم به .

يتضح لنا من كل هذا ان اختيار الفلم الذي يصح للطفل ان يراه ، نقطة هامة ومسؤولية خطيرة يجب الا تغيب عن ذهن من له اطفال يحرص على صحتهم النفسية والعقلية . وهذا هو ماجعل شركات السينما ايضاً تلجأ إلى انتاج افلام خاصة بالأطفال ، وإلى إبراز كواكب من الأطفال ، وإلى تقديم قصص لا يمثلها إلا الأطفال .

والمواضيع التي عالجتها هذه الشركات السينمائية في مختلف البلدان كثيرة

غير أنها قامت كلها على وجهات نظر ثلاث : موقف الكبار تجاه الصغار ، وموقف الصغار تجاه الكبار ، والصغار في عالمهم الصغير وأحلامهم ونزعاتهم . وهم يظهرون لنا في محيط فاخر سعيد تارة ، وضحايا لظروف الحياة وصروف الدهر تارة أخرى ، أو أشقياء مذنبين شريرين .

والمفروض أن يعتبر الأطفال المتفرجين بسلوك الأطفال الذين يظهرون على الشاشة ، ويتعظون بما نال الأشقياء منهم من جزاء ، إلا أنه من الأمور المسلم بها أن الأطفال يكرهون كل ما هو مفزع مخيف وليست إثارة أعصابهم من الخير في شيء ، فإن الأفلام المماثلة « لفرانكنشتاين » تعد مضرة بهم .

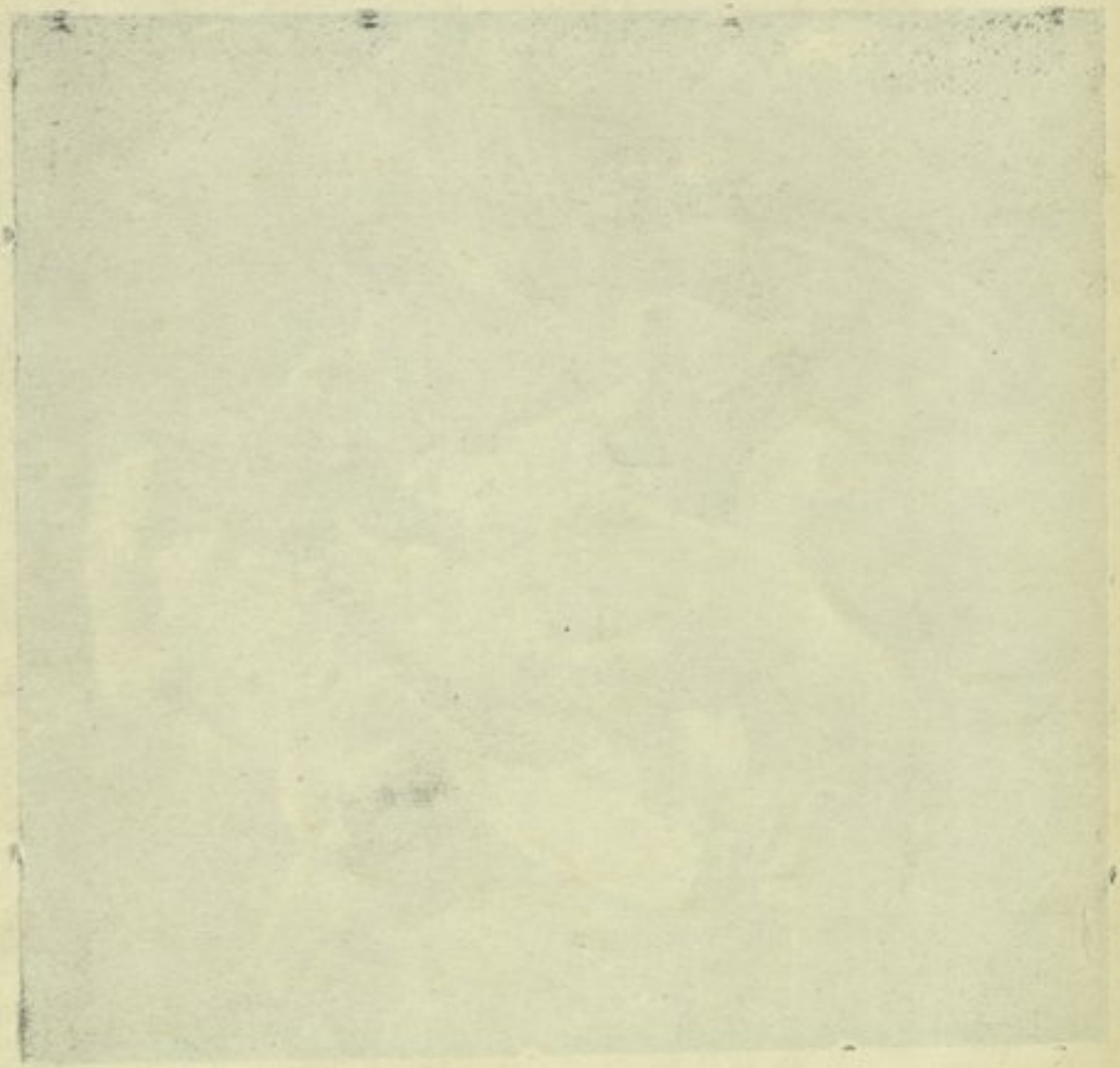
ويزعم بعض الناس أنه ما دام الأطفال لا يعرفون من أمور الحب شيئاً ، فليس في مشاهدتهم للأفلام الغرامية ضر . ولكن هذا زعم غير صحيح ، فإن الأطفال في هذه المرحلة الأولى من حياتهم الجنسية التي في دور التكوين ، يدركون هذه الأمور ويشعرون بها ولو بابهام ، غير أنهم يهربون من التفكير فيها ويتجنبون الاهتمام بها ظاهرياً ، وفي رؤيتهم لمثل هذه الظواهر تحريك لمشاعر يجب أن تبقى خامدة إلى أن يحين ميعادها .

فيجب على الآباء والامهات والمربيات أن يحسنوا الاختيار عندما يصطحبون الأطفال إلى السينما .

احمد كمال سرور



مظاهر غريزة الأمومة عند الأطفال من البنات



الطفل فى العيد

إلى الأمهات اللواتي يحسبن أن اللعب لهو والمرح لا يليق ، إلى هؤلاء أوجه سؤالي اليوم : ماذا أعددت لطفلك في العيد ؟ هل أعددت له ثياباً جديدة ولعبة جديدة ؟ إن كان هذا فقد قمت ببعض الواجب وإن لم يكن فقد قصرت في أصغر وأتفه ما يمكن أن تعمليه لطفلك في العيد . هل أعددت له يوماً سعيداً يمضيه من الصباح إلى المساء في لهو وسرور . هل أعددت له لعباً مسلياً لاذاً مفيداً . إن لم يكن هذا فقد قصرت نحو طفلك تقصيراً مشيناً .

العيد فرصة من فرص الحياة التي يفرح فيها الإنسان وينسى في فرحه كل شيء ويشاركه في فرحه كل إنسان . في هذا العيد يجب أن يذوق طفلك لذة الفرح المشترك يجب أن يفرح ويساعد على أفراح غيره . علميه كيف يتصدق في العيد على الأطفال البؤساء بما ينير نفوسهم الحزينة وينعش في صدورهم آمالاً طال عليها النوم .

الفرح هو الحياة والنفس التي لا تعرف أن الفرح جزء منها والنفس التي تحسب أن الجد هو الحياة كلها وأن الحزن سيماء العقلاء نفس بليت بشر ما يمكن أن تبلى به نفس مريضة ، لان الفرح تفاعل طبيعي لكل نفس صحيحة سليمة . ما أكثر الامهات اللواتي يحسبن أن الفرح وإعداد وسائله تافهات لا يلتفتن إليها لأنهن كبيرات عاقلات . ما أبعد هؤلاء عن حقيقة الحياة . ما أشقاهن بحياة وضعت في أيديهن ليكونها كيف شئن .

وهذا العام تجتمع في اسبوع منه ثلاثة أعياد : عيد الميلاد وعيد الفطر المبارك وعيد العام الجديد . هذا الاسبوع إذاً ياسيدتي لا بد أن يكون لك فرصة سعيدة تحبين فيها الحياة في أطفالك وتوفرين لهم كل أسباب السرور . فالطفل الذي لا يفرح في العيد كثيراً ، الطفل الذي لايود أن يفيض فرحه على الكائنات كلها حوله ، الطفل الذي لا يسعى ليشاركه الكل في فرحه ، طفل مريض يجب أن تبحثي في علاجه . والأم التي لا تعرف أن الفرح له مظاهر الحياة ، الأم التي لا تعرف كيف تفرح في العيد فرحاً قوياً ينسيها كل شيء إلا أن تشرك الغير في هذا الفرح ، أم مريضة ، أم لاتنسى نفسها لأجل اطفالها ، أم غير طبيعية لا تعرف كيف تدفن الماضي ولو اياماً معدودات في العام .

الفرح هو الذي سيبني من جيلنا الجديد جيلاً قوياً نشيطاً ، جيلاً لايعرف السأم ولا يهوى الملل ، جيلاً حياً يحبي الحياة ويقدر هبتها الثمينة .

فافرحي ياسيدتي في هذا العيد ما استطعت الفرح وفرحي أطفالك وكل من حولك بل اجعلي بيتك في هذا اليوم مسرحاً مسلياً ملهياً مفرحاً . ولا تنسي أن تفيضي من هذا الفرح ووسائله على كل من حولك ولا تنسي أن تهدي لمن لاتساعده ظروف الحياة وسائل الفرح ومسبباته .

وأخيراً لك ياسيدتي مني أماني العيد السعيدة وتحياته الفرحة .

سرير القلماوي

الطفل ضحية الاضطراب العائلي

كما أن للبدن أمراضاً كذلك للنفس علل ولا تقل أهمية الواحدة عن الأخرى فسلامة صحة النفس تحقق للإنسان غايته التي ينشدها من الحياة وهي « السعادة والمقدرة » ، ولا أقصد بالمقدرة هنا الكفاءة على العمل والنجاح فيه ولكن مقدرة الشخص على مجابهة مشاكله الشخصية مهما كان نوعها وحلها حلاً مرضياً وهذا غير متوافر للسواد الأعظم من الناس .

واهتمام الناس – خصوصاً في بلادنا – مازال إلى هذا اليوم منصرفاً إلى العناية بالصحة الجسمية دون الصحة العقلية فنرى التقدم عظيماً في تعدد وسائل تشخيص أمراض الجسم ومعالجتها وطرق الوقاية منها ومحاربة جراثيمها وتطهير الأماكن الموبوءة بها أما العناية بالصحة العقلية فتكاد تكون معدومة لشدة جهل الناس بقيمتها .

ولعل للنفس مظاهر عديدة منها ما نلاحظه في نقص أخلاق الفرد والتي بسببها تتكون أمراض الهيئة الاجتماعية ومنها ما تسبب له آلاماً شخصية شديدة في أعماق نفسه وتكدر صفو عيشته وتجعله عيالاً على المجتمع مفسدة له ، وهذه العلل عديدة متنوعة معروفة للجميع منها ضعف الإرادة والافتقار للشجاعة الادبية وعدم الشعور بالمسئولية أو الهرب منها وما يتخلف عنها كالجبن والكذب والتملق وعدم الصراحة والغش والنفاق وعدم التسامح والأنانية وحب الانتقام والظلم . وجميع هذه الصفات الخلقية الذميمة سببها أمراض في

النفس تصيبها عادة في الطفولة وجراثيمها تنمو وتعيش في جو الحياة المنزلية الموبوءة وأكثر هذه المنازل وباء هي التي يعوزها الاستقرار العائلي وضرر هذه المنازل على الانفس يعادل ضرر المستنقعات الموبوءة على صحة الجسم . ومن الضروري إيجاد وسائل فعالة لتطهيرها كما فعلنا في الأخيرة .

والوسائل التي تتبعها لعلاج هذه الأمراض هي إنماء ذكاء الفرد بتثقيفه وتعليمه ، ونقد ما به من الخلق المعيب ولونه عليه . وهذه الوسائل دون غيرها ليست كافية ، ولا يتعذر على القارئ ملاحظة ذلك إذا هو فحص عن نفسيته ملياً وتأمل في تصرفاته اليومية وأخلاقه بصراحة وبدون تحيز ورأى كيف أنه مراراً يندفع إلى عمل ما يجلب له الذم والنقد ويفشل عن أداء ما يرغب فيه ويريد فيمالق الرئيس ويجازيه رغم مخالفته له الرأي ويتعجرف على المرؤوس ويظلمه بدون مبرر ويكذب لسبب ولغير سبب ويساق إلى تأدية واجبه . ويحتد لأتفه الأسباب ويميل إلى الانتقام وهو يتصرف هكذا مع جيد معرفته أن هذا العمل وضيع لا يرضاه لنفسه فإذن لا المعرفة ولا الرغبة يعوزانه حتى ذكاءه الذي يعول عليه لا يجد منه بإزاء هذه الحالة فائدة عملية ولكنه يستعمله عادة للبحث عن مبررات لفشله المعيب .

فالطريقة الفعالة إذن لعلاج هذه الأمراض علاجاً ناجعاً هي خلاف ما نتصور وإنما لها علاجات أخرى ليس شرحها من اختصاص موضوعي هذا الذي أبحث فيه طرق الوقاية منها لتطهير الجزء الموبوء الذي فيه تنشأ وتنمو

وتثبت في أعماق النفس : جو الحياة العائلية وعلى الأخص الحياة المضطربة الغير المستقرة .

ولأطفالنا علينا واجب مقدس وهو أن نقيهم ما نشكو ونتألم منه ولكن جهل الوالدين كثيراً ما يحدو بهم إلا الإساءة إلى أطفالهم على غير قصد .

الطفل حاد الملاحظة شديد التأثر بالبيئة التي تحيط به يحس بضعفه وعجزه ولكنه يجتهد ليخلص نفسه من هذا الشعور محتاجاً في ذلك إلى ما يشعره بالطمأنينة ضد الخطر في جميع محاولاته وهو يتخذ لنفسه بين الكبار مثلاً أعلى يقتاد به ويقلده فيختار والديه كمثله الأعلى فيراقب حركاتهما وتصرفاتهما باهتمام مقلداً إياهما ما أمكن . والواقع أن جزءاً كبيراً من تشابهات الطفل الوالدية وما تنسبه إلى الوراثة هو اكتسابي نشأ فيه تقليده إياهم في طفوليته فشابههما في كبره . فإذا كان الوالدان في تصرفاتهما حول الطفل ومعه مثلاً عالياً حقاً واتبعا معه طريقة حازمة عادلة معقولة لا تناقض فيها نشأ عالي النفس صحيح العقل سعيداً خالياً من العلل الخلقية ، والأمراض النفسية وهذه حالة لا يمكن توافرها في جو عائلي مضطرب وحياة زوجية خالية من الاستقرار كالتي تؤثر في الطفل حتى قبل ولادته أحياناً .

الزوجة في حالة الحمل تكون أحوج إلى عطف زوجها أكثر منها في أي وقت آخر فإذا أعوزها ذلك تراها تتألم نفسياً من قسوة زوجها وإهماله إياها ومهما يخامرها من شكوك في سلوكه فتقضي مدة حملها في نكد وكدر وبحالة نفسية مرتبكة . وفي اعتقادي أن لهذا أثراً في خلق الطفل لما يتسرب إلى

نفسيته من نفسية أمه إبان حملها فيولد الطفل وعنده استعدادات لبعض العلل النفسية والنقائص الخلقية .

غير أن الطفل في حداثته تكون نفسيته مرنة قابلة للاصلاح إذا ما نشأ في جو عائلي سليم صحيح . أما إذا كان الأمر خلاف ذلك نما ضعيف الخلق عليل النفس .

وأما الزوجان اللذان يعوزهما الحب والثقة المتبادلة فلا يمكنهما اتباع خطة منظمة عادلة غير متناقضة في تربية طفلهما فنرى الأم عادة تكثر من العطف والحنان والأب من الشدة والقسوة فيحظر أحدهما ما يبيحه الآخر وقد يستعملانه سلاحاً لمحاربة احدهما الآخر وبينما نجد الواحد منهما يحرم على الطفل أمراً مرة يبيحه له مرة أخرى بغير سبب معقول . وهذا مما يربك عقل الطفل إذ لا يعرف بالضبط ما يجب عليه عمله وكثيراً ما يتوقف ذلك على مزاج والديه المتقلب . حالة هذا شأنها تبث في نفس الطفل صفة التردد وعدم الثبات والافتقار لشدة العزيمة .

سلطة الوالدين على الطفل التي قوامها احترامه لهما وعطفهما عليه ضرورية لتربيته وقيادته وهي بطبيعة الحال منقودة للوالدين المتنازعين وهما في نزاعهما ومحاربتهما بعضهما البعض يستعملان طرقاً دنيئة وضيعة كالغش والنفاق والكذب ولا يخفيان هذه الوسائل عنه بل كثيراً ما تجدهما يشركانه معهما في ذلك فيغريه أحدهما للدفاع عنه ضد الآخر بذات الوسائل . فينشأ معتاداً استعمالها كطريقة للدفاع في الحياة مثلما فعل والده فيغش ويكذب وينافق بحكم العادة

وفي كبره يجد من حكم هذه العوائد المتأصلة فيه قوة حائلة أو قيوداً مانعة إياه من مجابهة مشاكله بالصراحة والشجاعة كما يريد.

والطفل الذي يرى أن والديه عديما العطف بعضهما على بعض وقليلا الثقة كل منهما في الآخر وهما أحب الناس وأقربهم إليه يصعب عليه أن ينشأ حسن الظن بالناس ميالاً إلى خدمتهم او التعاون معهم والثقة بهم بل يكون أميل إلى الأنانية والانتقام وقلة التسامح وكثرة التشكك في الغير ، والأم التي في كثير من هذه الأحوال تكون مغلوبة على أمرها تركز عطفها وحنانها على الطفل مستعيضة به عما تفقده من حب زوجها فتبث فيه روح الضعف وعدم الجرأة ثم التمسك بالعواطف الكاذبة.

رأينا الآن أن أخلاق الطفل يضحي بها في الحياة العائلية المضطربة والتي نعرف مدى تأثيرها في الاجتماع والآن نرى ما ينجم عن ذلك الفرد نفسه.

قلت في صدر مقالي أن السعادة هي غاية ما ينشده الإنسان في حياته والسعادة لا تتحقق له إلا إذا كان له السلام في داخل نفسه. ولكن الانسان ترى فيه الخلق السيء لذنب لم يقترفه وتأصل فيه في طفولته فيجبره على إتيانه مراراً رغم كراهته له لا يمكن أن يكون سعيداً نظراً للنزاع المستديم في داخل نفسه بين معرفته بالخلق الحسن ورغبته في العمل به وبين القوة المانعة لذلك أو الدافعة لعمل الضد. فيتألم من ذلك آلاماً نفسية عميقة أشد كثيراً من الآلام الجسمية : ولو جردنا الناس من مظهرهم الخارجي لرأينا أن كثيرين منهم ممن نحسدهم على مالهم ونجاحهم ومرحهم الظاهري بعيدين عن السعادة لنفس السبب.

فهل يقدر الوالدون مقدار ما يجعلونه على أطفالهم في حياتهم الزوجية ؟ وهل يدركون أن الأخلاق والسعادة — أثمن شيئين في الحياة — هما ضحية عدم استقرار الحياة العائلية .

الدكتور بنيامين بهمان





الطفل الخائف



بين معلم وتلاميذه

لي احتكاك بصغار التلاميذ فأُقربهم مني دائماً وأُحدثهم محادثة الصديق للصديق ، ومتى أنس الطفل من معلمه صداقة ومحبة فإنه يطرح كلفة المدرسة والخوف من المعلم ، ويفصح له عن نواياه وما يجول في خاطره . ويجد الطفل راحة تامة حينما يرى معلمه المحبوب . وهذا ما أُحاول أن أبثه في الطفل ، أجعل منه صديقاً قبل إظهار سيطرة المعلم ... وأشجع التفكير المستقل ، وإنه لمنظر جميل أن ترى الطفل وهو يجهد نفسه في حل ما يطلب منه . وأُحاول أن أجعل للطفل شيئاً من الشخصية فأطلب رأيه في بعض الأمور وفي ذلك شيء من الصعوبة إذ يتغلب عليه حياء الأطفال ولكنه بمرور الوقت ينتصر على خجله ويصبح شجاعاً في رده ، قوياً في شخصيته . وقد حاولت أن أختبر بعض المسائل في صغار التلاميذ لأرى مقدار ما يفهمونه ، وكنت أظن أن ما أطلبه صعب المنال لحداثة عهدهم بالمدرسة والتعليم ، فقد كان الفصل الذي عالجت فيه هذه المسائل مبتدئاً ، ومع ذلك خرجت بنتائج مدهشة وحلول موفقة ، ومما أذكره أن بعض هذه الأسئلة لم يجب عليها شبان مختبرون في مثل السهولة التي أجاب بها الأطفال . فتفكير الطفل يميل دائماً إلى البساطة فلا تعقيد ولا تركيب . فإذا واجهته مشكلة من المشاكل فإنه لا يعمد إلى « الدبلوماسيات » لحلها ولكنه يجرب طريقته الخاصة ويصيب في كثير من الأحيان ويختلف عن الكبير في كونه لا يعمد إلى المنطق

والاستنتاجات التي كثيراً ما تكون خاطئة وتبعده عن الحل الموفق .... وسأذكر أمثلة ، حار بعض الكبار في حلها ، ولكنها لم تستغرق مع الطفل كثيراً ، ولم يظهر على وجهه أنه حل مسألة عويصة :

الملك وحارسه – استدعى الملك حراسه وشدد عليهم في ضرورة السهر فمن يضبط نائماً يعاقب بالموت . وفي اليوم الثاني جاءه حارس يقول بالأمس قد حلم أن أعداء الملك سوف يهاجمونه وينتقمون منه .. ولكن الملك أمر بقتله .. فهل كان الملك على حق ؟ فوقف طفل في جرأة يقول : «يستاهل مين مالّه نام » – ومن أدراك أنه نام فيجيب « علشان حلم ، هو فيه حد يحلم من غير ما ينام . »

موسى وعصاه – كنا في قصة موسى وفرعون ، وفي القصة كما هو معلوم طرح موسى عصاه أرضاً فأصبحت ثعباناً بلع ثعبانين من سحرة فرعون. واسترد موسى عصاه فرجعت كما كانت عصا جميلة ... وفي آخر القصة رفع تلميذ يده وقال : « طيب يا أفندي والعصا رجعت بعينها وإلا تخنت لما بلعت الثعابين دول . »

فلك نوح – ربنا أمر نوحاً أن يأخذ عيّنه من كل المخلوقات من الحيوانات والزحافات والطيور والفراخ والبهائم ... وكل شيء ... ولكن يا أولاد يوجد شيء لم يأخذه نوح معه في الفلك ... ما هو ؟؟ وبعد تفكير وسكون رفع أحدهم يده ، وقال « السمك علشان كان في الماء »

اللغة العربية الفصحى – أردت أن أعرف مقدار مايفهمه التلاميذ من اللغة العربية البعيدة عن العامية إذا مالقيت عليهم قصة فيها ... وما كدت

ابتدىء حتى قرأت على وجوه التلاميذ عدم الفهم ، و كأنني أتحدث إليهم في لغة أجنبية ، فوقف تلميذ شجاع مزعجاً وهو يقول : « إيه ما تتكلم بالعربي. عما تقول إيه » ؟.

الفيران والجرس — عدو الفيران مين ياأولاد — الكل ، القط يا أفندي طيب اسمعوا اجتمع الفيران وقالوا يبقى القط دائماً يأكل فينا ويقتلنا ، لازم نبحث عن طريقة تنقذنا من شره ، فوقف فأر صغير وقال : أفضل شيء أننا نعلق في رقبة القط جرس ، فلما يجيء يهاجمنا يرن الجرس فنسمعه ويدخل كل واحد منا في حجره ، إيه فكركم ياتلاميذ عال دا وإلا لأ ؟ وبعد سكوت وقف تلميذ صغير وقال : كويس خالص ، لكن الفيران ما يقدروش يعلقوا الجرس في رقبة القط . فسألته لماذا ؟ قال : « لما يمسك الفار الجرس علشان يعلقه في رقبة القط ، يروح القط وأكله » .

دين الله — جاءني تلميذ يشكو آخر وهو يقول : « يوسف بيقول أن ربنا مسلم » فضحكت من لهجته وقلت : « طيب روح هات يوسف » وذهب ليحضر رفيقه ، وبعد رجوعه بادرني بقوله : « أبداً يا افندي دا ربنا نصراني » فضحكت وحاولت أن أفهمها أن الله للجميع .

عجيان دانيال
مدرس بكلية اسيوط

كيف ينبغي أن نربي اولادنا

مقارنة بين التربية الانكليزية والتربية الافرنسية

إذا أردت الوقوف على معاملة الأمة الانكليزية لأبنائها فإليك البيان :

أولاً – لا يعتبر الرجل فيها أن الأبناء ملك له وجزء من ماله متمم لذاته كأن الأب يعيش في بنيه بعد وفاته بل ينظرون إليهم بصفتهم أفراداً مصيرهم إلى الاستقلال عنهم ، ولذلك لا همّ للآباء إلا تمجيل هـذا الإطلاق المحتم على النحو الأكمل ولا مرجع لابوتهم إلا هـذا ، فلا يحملهم حبهم لأنفسهم على ابتلاع أبنائهم وإلصاقهم بجانبهم وتعويدهم ما اعتادوا واتخاذهم حاشيـة يتلذذون بالنظر إليها ويرتاحون لطاعتها وقلة متاعبها ، أما نحن ففي ميلنا لابنائنا جزء عظيم من حب الذات وإن كان مستوراً بستر جميل فإني رأيت وكلنا رأى كثيراً من الناس رغبوا عن الزواج بعد ما رغبوا فيه لأن الزوجين لابد أن يقيما في بلاد أجنبية ، والسبب في هـذا شدة حب الوالدين ، ولعمري لست أدري إن كان يراد بهذا الحب منفعة الآباء أو مصلحة الأبناء .

ثانياً – من عادة أولئك القوم أن يعاملوا أبناءهم منذ نعومـة الأظفار كأنهم رجال كل واحد منهم قائم بذاته مستقل عمـل سواه ، وبهذه الواسطة يصير كل واحد منهم رجلاً كبيراً وذاتاً حقيقية إذ لكل امرىء من دهره ما تعود؛ أما نحن فنعامل أبناءنا كالأطفال وهم صغار وهم كبار وبعد أن يصيروا رجالاً لأننا تعودنا أن نعتبرهم أطفالاً لعلة أنهم أطفالنا .

ثالثاً – يلاحظ الآباء في التربية حاجات الأمة المستقبلة في الحياة غير ملتفتين إلى ما اقتضاه الماضي ودرج عليه الجيل المتقدم ، فلا ينصبون أنفسهم أمام أبنائهم مثالاً يمشون عليه ولا يشخصون الوسط الذي عاشوا فيه ليتبعوا خطواتهم فيه .

أما نحن فنجري في التربية على نسق إشراف السنين الأخيرة من القرن الماضي حيث كانوا في أول القرن الحالي يربون أولادهم على تقاليد الزمن القديم وعلى ما كان لهم فيه من المنزلة الممتازة والثروة التي فرت من بين أيديهم والبلاط الملوكي الذي كانوا يمرحون في جوانبه وآثار ليس فيها اليوم فائدة لكونها عفت وأصبحت خيالاً .

رابعاً – لتلك الأمم عناية كلية بصحة الأبناء وتربية قوتهم الجسمانية إلى الحد الممكن إنماء لهمتهم المادية لا كما نفعل نحن من الاقتصار على الاعتناء بالصحة ثم نضحيها في الدرس والمطالعة وننهكها بالامتحانات ولوازمها والاقامة في المدن وما يتبعها ، وهم لا يطلبون تلك القوة بالافراط في الرياضة البدنية او اجهاد الجسم بما يؤدي في الحقيقة إلى ضعفه أو التفنن في الحركات الجمنستيكية وإنما هم من ذوي الحذق في معرفة لوازم الأجسام .

على أننا اليوم نحاول طرق إدخال الرياضة الجسمية الانكليزية في مدارسنا لنعتاض بها على الجمناس المضر عندنا وليس هو إلا أثراً من آثار التفنن الجديد في التربية لا فائدة فيه وليس من حاجة صحيحة إليه ولكنا نحافظ دواماً على الوسط الذي يحدق بنا أنى وجدنا ، لانجهل أن قومنا لم ينجحوا على الدوام في

استعمال الرياضة الانكليزية عندنا لأنهم يضيفون إليها كما هي عادتهم في كل شيء كثيراً من الخلاعة والاعجاب كما لا نجهل أنهم ينظرون إليها كأنها وظيفة ادارية يشددون في تنظيمها وترتيب أوقاتها واعمالها وأن كثيراً من التلامذة يميلون إليها هرباً من الدرس والمطالعة ، غير أن هذا المثال الناقص يدل على أصله ، ومما لا شك فيه أن تلك الألعاب تلائم نمو الجسم كما ينبغي وتساعد كثيراً على تعويد النفس السكون فيصير صاحبها متمكناً من ذاته وهذا شرط لابد منه لمن طلب النجاح .

خامساً — يعود الآباء أبناءهم في تلك الامة منذ الصغر على الاشتغال بالأعمال المادية فلا يخافون أن يتركوهم وحدهم يروحون ويغدون ويكلفونهم ببعض الأعمال أو ببعض المأموريات التي تليق بسنهم ويقصدون أحياناً أنها تكون فوق ذلك ، وهي عادة يستغرب منها الفرنسيون إذا ذهبوا إلى بلاد انكلترا او الولايات المتحدة كما يستغرب الانكليز من استغرابنا إذ يرون ان الأمر الذي يدهشنا طبيعي وهو في اعتبارهم احد عوامل التربية والتعليم وان الغرض منه أولاً وبالذات تكوين الرجال لامجرد المتنورين والموظفين ، ولولا انني اخشى من أن خجل القراء عندنا لخبرتهم انهم لا يفرقون في هذه التربية بين البنين والبنات إلا قليلاً فالدواعي واحدة بالنظر إلى الفريقين ، ومع ذلك فإن تقليدهم في هذا الباب من غير أن يستعد الوسط لقبوله يضر أكثرهم مما يفيد فهو عندهم اكثر فائدة واقل ضرراً مما هو عندنا ، والمقام لا يحتمل ان أوفي البيان حقه في هذا الموضوع فربما جر الايضاح إلى أكثر مما يراد .

سادساً — يعلم الآباء عادة أبناءهم صنعة يدوية لأن تلك الأمم لا تحتقر تلك الصنائع ذلك الاحتقار العظيم الذي نجده من نفوسنا بل إنهم تخلصوا منذ زمن طويل من هذا الوهم الذي أضرّ بنا أكثر من مائة كسرة في مواقف القتال فلا يعتقدون بأن من الصنائع ما هو شريف ومنها ما هو وضيع بل يرون كما هو الأصح أن الناس رجلان كفوء وغير كفوء ، وأنهم عامل وكسول ، هكذا يصير ابن (اللورد) زراعاً أو صاحب مصنع أو تاجراً ولا ينقص مثقال ذرة من شرفه ومنزلته لأن الأمر عام في أمته ، أجل هناك صنعة يحترفونها ويعدونها أدنى من البقية ألا وهي صناعة الموظف والمشتغل بالسياسة وهم ينتقدونها من الجهتين الأولى أنها صناعة لا يربح صاحبها كثيراً إلا في الوظائف الكبرى ، والثانية أنها تفقد الرجل حريته ، ومن هنا يرى القارئ أن التربية الانكليزية السكسونية تميل قبل كل شيء بالإنسان إلى الحرية والاستقلال لذلك فلت تلك الصناعة في بلادهم وهي في بلاد انكلترا موكولة في الغالب إلى الذين من أصل (سلتي) أو إيرلندي أو إيقوسي أو من بلاد الغال ويشغلها الإرلنديون والالمانيون أصلاً في الولايات المتحدة وقد قرر صديقي موسيو (بول روسيه) هذه الحقيقة بأجلى بيان في كتابه (الحياة الأمريكية) الذي ألفه بعد زيارته للولايات المتحدة لاستطلاع أحوالها على طريقتنا .

ولشدة الميل إلى تعليم الأطفال صناعة يدوية تجدهم يتعلمون الكثير منها بالتدرب والاستعمال وذلك لا يتأتى عندنا بغير المدارس ، مثاله أن الرجل

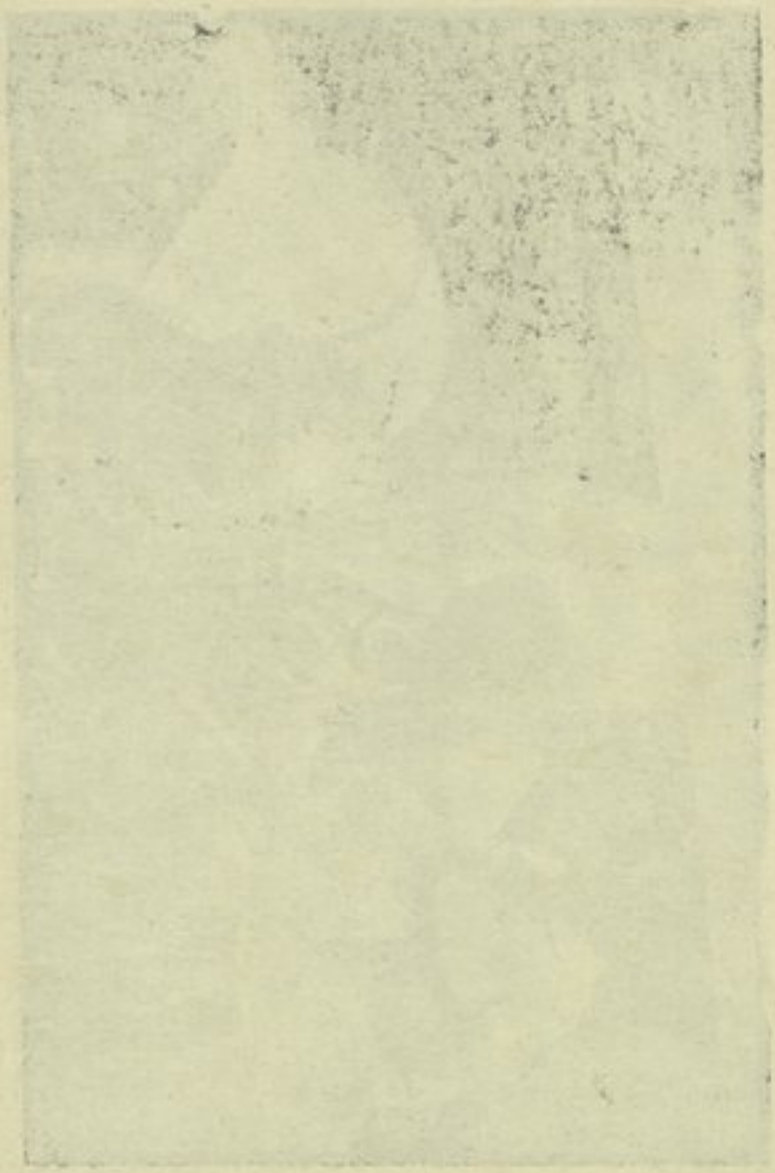
عندهم يصير مهندساً بالشغل في المصانع لا بالدرس في المدرسة وليست النظريات لديهم إلا متممة للعمل في جميع الصنائع والحرف ، ونحن على العكس من ذلك نحتقر بالعلم العمل ، ودليله أن جمعية تقدم الزراعة عندنا تقيم في مدينة باريس وهي من ذلك لايتخرج منها إلا موظفو نظارة الزراعة وإن من المتمنيات أن تنتقل أيضاً مدرسة البحرية في تلك المدينة .

سابعاً – يسبق الآباء أبناءهم على الدوام في معرفة جميع البدئيات النافعة شأن الأمة التي تهتم دائماً بالمستقبل وتهمل الماضي وتلتفت إلى الصنائع الجارية التي يتقدم التفنن فيها كل يوم لا إلى الوظائف الإدارية التي لا تغيير فيها ولا تبديل وتبني آمالها في النجاح على قوتها الذاتية لا على الوسط بأنواعه وهذا هو الاستعداد الذي ولد في الانكليزي السكسوني اشتغاله المستديم بملاحظة الوقائع المادية بعد تحقيقها تحقيقاً صحيحياً ، وقد يرتبها كما ينبغي وإنما غرضه أن يجتمع إليه منها ما عساه يحتاج إليه في كل شأن من شؤونه ، وهذا هو الذي يطلبه من قراءة جرائده التي تشبه جرائدنا كما يشبه النهار الليل . لأن الغرض من جرائدنا تسلية النفس كما يقولون والجريدة منها تتوخى إثارة النزعات السياسية وهي طريقة أخرى للتسلية والنتيجة واحدة هي قتل الوقت بلا جدوى ، أما جرائدهم فإنها تقصد الافادة مع الاختصار والاجادة ، وهي قليلة الخوض في النظريات والاكثار من العموميات ، وكلها محشوة وقائع تحكي ووقائع تخبر عن وقائع .

ولو لم يكن لدينا من المعلومات ما عليه الصحافة في الأمتين لكفى ذلك موضحاً للفرق بينهما .



أطفال في دور الحضانة للبنات في مصر يتخذن غرس الأزهار
« وسيلة للتعلم »



إذا علمت هذا علمت من غير دهشة إلى محادثة الرجل لابنه تدور عندهم على الأمور الحقيقية النافعة فلا يقضون وقتهم في ذكر من يتحرى الجديد في لباسه وزيه وإعادة ما ملئت به المجالس الباريسية وتكرار حوادث الزمن القديم زمن الهناء والصفاء ، بل حديثهم التزاحم في الحياة وقدرة كل فرد على كفاية حاجاته لنفسه .

ثامناً — لايستعمل أولئك الآباء سلطتهم على أبنائهم في الظاهر إلا قليلاً بل يدخرونها للأحوال العظيمة الاستثنائية ، ذلك لأنهم يعتبرونهم مستقلين عنهم كأنهم رجال كما قدمنا ولا يتأتى أن يربى الرجل مقهوراً على الدوام تحت سلطة غيره ولو كانت السلطة أبوية ، وعليه فإنهم يرون أن التربية الحقيقية المثمرة هي التي تكون بالتدريب والتدريج .

لذلك تراهم يستعملون الإيماء والنصح أكثر مما يستعملون القسر والأمر مظهرين في إيمائهم ونصحهم أنهم مجردين عن المنفعة ولا يجعلون إمرتهم باعثاً إلى العمل بمقتضاهما بل يتركون الولد يفكر فيهما ويتدبرهما حتى يعتقد أنهما صواب فيجري عليهما .

تاسعاً — وهو أهم الوسائط وأنجحها وقد اخترناه ختاماً : علم الأبناء بأن الآباء لا يتحملون نفقتهم بعد تربيتهم ، أما الفرنساويون فكل يسأل صاحبه ماذا تريد أن يكون ولدك فيجيبه سأجعله قاضياً أو موظفاً إدارياً وهكذا وما هذا إلا لاعتقاده أنه يكون والداً حقيراً إذا لم يتدبر مستقبل ابنه ويهتم باستنباط الحرفة التي يحترف بها على حسب ما يراه صواباً نافعاً ثم يبالغ في

حنوه فيتجرد عن قسم من ماله ليمهر أولاده ، لكن الآباء من الانكليز والامريكان لايهلون أبناءهم بل على كل جيل أن يحصل حاجات نفسه بنفسه ، وعلى العكس منهم يجب على كل جيل سابق عندنا أن يوجد أسباب الرزق الذي يليه وإليك ما يترتب على ذلك من النتائج .

لزيد من الناس ثلاثة أولاد أو أربعة أو خمسة فيجب عليه أن يهيئ ثلاثة أموال أو أربعة أو خمسة بخلاف ثروته الخصوصية قبل أن يبلغ الأولاد رشدهم أعني في مدى عشرين سنة حتى لا يهزأ به الناس ولا يسقط الأبناء عن درجتهم في الهيئة الاجتماعية وإلا لما وجد سبيلاً لزواجهم فإنهم لايتزوجون إلا بأموالهم ، وهو في عمله هذا يشبه أهل الليمانات الذين يعملون في الاشغال الشاقة أو كمن يقدم الذنب قبل الرأس ، وليس من يجهل أن الآباء الفرنساويين قد أهملوا الرأس والذنب معاً وعد الواحد منهم نفسه من السعداء بولد واحد أو اثنين .

كنت أقرأ أخيراً رسائل فرانكلان فوجدته في خطاب لوالدته يتكلم عن أحد أولاده وكونه غير متهم بتحصيل ما يقوم برزقه معتمداً على ثروة أبيه فقال : « سأزيل عنه هذا الخيال وسيعلم من حالتي وما أنفقه كل يوم أنني لن أترك له شيئاً لكن الرجل منا يرتعد إذا رأى أنه لن يترك ما يرثه عنه الأبناء ويغضب رحمة وإشفاقاً وننسى أن الأب الانكليزي السكسوني الذي لا يترك شيئاً لأولاده يعطيهم في الحقيقة أكثر ما يعطي الوالد الفرنساوي لأولاده ، يعطيهم ما نهتم به نحن ولا نصل إلى تحقيقه ، يعطيهم همة في العمل

وقدرة على طلب الرزق وعزيمة يلقى بها زمانه ثابت الجأش وهو ما لو وجدناه لاشتريناه بأغلى الأثمان ومالاً يفيد المال الذي نجمعه بالكد والنصب لا لإطفائه وإماتته في نفوس أبنائنا لأننا في الحقيقة نجاهد في سبيل الاقتصاد ونعيش كالصعاليك ونتخذ العقم شعاراً لكي نسهل على أولادنا أن لا يعملوا شيئاً ولكيلا يعملوا إلا القليل ما استطاعوا ونظن بهذا أننا جعلناهم على المستقبل آمنين ، غير أننا إذا التفتنا إلى ما حولنا رأينا أن تسعة أعشار الذين يتقدمون على غيرهم ويحوزون قصب السبق في كل شيء وينجحون النجاح الحقيقي فيما يزاولون من الأعمال يخرجون من صفوف الواصلين بأنفسهم ، أولئك الذين غالبوا الزمان فغلبوه وناجزوا كل صعب حتى استظهروا عليه وانسابوا بهمتهم في المجتمع الإنساني فنالوا فيه مكاناً علياً ، وأذكر أبناء العائلات (وما سموا كذلك إلا لاعتمادهم على عائلاتهم وأموال عائلاتهم أكثر من اعتمادهم على أنفسهم وركنوا إلى مهر زوجاتهم أكثر من ركونهم إلى عملهم) تراهم يسقطون كل يوم إلى أسفل الدرجات لأنهم أقل من غيرهم في كل شيء مع أنهم تربوا (تربية جميلة) كما يقال ، وقد فقدوا في هذه البلاد ما كان لهم من النفوذ كله وفرت من بين أيديهم زعامتهم فاصبحت الملوكية لا حياة لها وأمست لارجاء في إعادتها ثم أنهم صاروا غير قادرين على نوال المنزلة واكتساب الجاه بكدهم وعملهم فباتوا يرجون البقاء من عدم وجود شريك لهم في الميراث ومن المال الذي تقدمه إليهم زوجاتهم .

أما الشبان الذين تربوا تلك التربية التي شرحناها فهم أقوياء الأجسام

متعودون على مزاولة الأعمال الحقيقية وممارسة الأشياء المادية ، تربوا على اعتبارهم رجالاً وتمرنوا على الاعتماد على أنفسهم ، يرون الحياة كحرب ونزال لذلك يقتحمون متاعبها بشبيبة متجددة وعزم أكيد بل أنهم يحبون تلك المتاعب ويشعرون بالحاجة إليها ويستظهرون عليها ولديهم من وسائل مقاومتها ما يجعلهم يرتاحون لملاقاتها ويترقون في مجاهدتها .

وعلى القارئ أن يقارن بين الاثنين ويحكم على نتيجة التربيتين أما أنا فقد كشفت له القناع عن العوامل التي تحرك تلك الأمة التي تغار اليوم على جميع الشعوب القديمة وتهدد وجودها ، أغارت تلك الأمة على الدنيا بأجمعها ومعجزتها هي تلك الغارة نفسها مع أنه لم يكن لها من سلطة الحكومات إلا النزر القليل إلا أن لديها من القوة الاجتماعية أعظمها والقوة الاجتماعية أشد بأساً وأكبر فعلاً من الحكومات المنظمة والجنود المحتشدة .

ما عدونا وما الخطر الذي نخاف منه وما البلاء الذي نخشاه بآتية لنا من جانب نهر (الرين) الثاني كما يظن قومنا لأن المغالاة في تجنيد العساكر وتقدم مذاهب الاشتراكيين والفوضويين تكفينا مؤونة ذلك العدو وليس الصبح ببعيد .

إنما العدو والخطر والبلاء آتية من الجانب الآخر من بحر المانش والجانب الثاني من المحيط الاتلانطيقي فهي توجد حيث يوجد الانكليزي السكسوني على اختلاف مسمياته وصفاته ، ذلك الرجل الذي يحتقره الناس لأنه لايفد عليهم كالألماني بجيشه الجرار وسلاحه المصقول بل يأتيهم بمفرده غير مستصحب

إلا لحرانه لكنهم جهلوا قيمة ذلك المحراث وقيمة ذلك الرجل ومتى علموا ذلك عرفوا من أين يأتيهم الخطر ووقفوا على السبيل الذي يسلكوه للخلاص منه .

عن كتاب « سر تقدم الانكليز السكسونيين »

ادمون ديمولان



الطفل ضحية الاستبداد ونتيجة الحرية

يرى كثير من الآباء في المنزل أنه المكان الذي يجب أن يمكث فيه الأطفال بدون حركة أو كلام مع أن الطفل كائن دائم الحركة إذا طلبنا منه السكون فإنما نطلب منه ما لا يتلاءم مع طبيعته بل ما يعوق نموه الجسمي والعقلي . والواجب أن يكون الطفل في منزله بحيث يسمح له بدوام الحركة وتترك له الحرية في العمل أو الراحة لتنمية مواهبه وقواه التي تعد هبة للحياة الاجتماعيـة فكما أنه من المسـ به عند الجميع أن الملابس الضيقة تضر الجسم وتعوق حركة أعضائه فكذلك مكث الطفل ساعات متوالية بدون حركة مرهق لجسمه .

يرى هؤلاء الآباء أن ما على أطفالهم إلا الطاعة والرضوخ والاستسلام لأوامرهم ونواهيهم — رضوا أو لم يرضوا — لذلك تجـاه هؤلاء الأطفال لايميلون إلى المنزل ولا يحبونه ويرحبون بفرصة التخلص من ذلك المكان الموحش فتراهم يرحبون بقضاء أوقات لعبهم خارج المنزل وما ذلك إلا لعدم منحهم فيه ما تصبو إليه نفوسهم وما تحتاج إليه طبيعتهم من الحريـة التي بدونها لا تتم تربيتهم ولا يكتمل تكوينهم .

هؤلاء الآباء يقيدون أطفالهم وبذلك يميتون فرديتهم وقوة الابتكار فيهم، ولكن التربية الحديثة بفضل اعتمادها على النفس وبحوثها العديدة تعمل على أن يسود المنزل جو من الحرية التي تشحذ من همة الطفل وتشجعه على العمل.

الحرية إذن هي اهم ما تدعوا إليه التربية الحديثة ولا ينكر أحد قيمتها من حيث استعداد الفرد وميوله الحقة ولكن المقيدين لطبيعة الطفل يرون في ذلك منحاً للطفل مجالاً للعمل المنتج في جو الحرية بل تشجيعاً له على اللعب والفوضى . على أن التجارب قد أثبتت عكس هذا وأن نظام الحرية هذا مفيد في تنمية الشخصية وخاصة الشخصية الأدبية وقوامها الشعور بالمسؤولية فالطفل الذي لا يعمل إلا ما يؤمر به في كل آن لا تتاح له فرصة الاعتماد على النفس إذ للحرية شأن كبير في تكوين الإرادة « ولا مجال لفعل الإرادة تحت حكم القهر والارهاب » كما يقول الأستاذ كلاباريد ، ويرى آخرون أن في منح الأطفال ذلك المرتع الخصيب وهذه الحرية المطلقة التي ألفوها ليس فيه إعداد للحياة إذ الحياة ملأى بالمصاعب والمشاكل وكلها نظم وقواعد وقوانين ويجب أن يعود الأطفال مواجهتها ، على أننا نرد عليهم بأن هذه الحرية ليس معناها ترك الحبل على الغارب للأطفال وعدم تدخل الآباء في أعمالهم كلية .

إنما الحرية التي ننادي بها هي التي تكفل للأطفال استقلالهم وتشجعهم على الاعتماد على النفس وتعطيهم قدراً من الطمأنينة ومن الفرصة للتعبير عما في أنفسهم تعبيراً يلائم ما يلقونه من أطوار نموهم .

إن معنى الحياة في الوقت الحاضر هو الديموقراطية ومعنى الديموقراطية حرية الفكر وتطور العقل البشري للقيام بأعباء الحياة ، أو هي « حكم الشعب بواسطة الشعب لمصلحة الشعب » وعلى ذلك فكل فرد في مجتمع ديموقراطي

يتحمل جزءاً من المسؤولية فيما يتعلق بسلوك الجماعة ويجب أن يعد الآباء أطفالهم للاضطلاع بهذه المسؤولية ، يقول جون ديوى : « إذا دربنا أطفالنا على تلقي الأوامر وعمل الأشياء لمجرد أنهم أمروا بعملها وفشلنا في إعطائهم الثقة ليعملوا ويفكروا بأنفسهم فإننا نضع حاجزاً في طريق تدعيم المثل العليا » . وهكذا نرى أن تدريب الآباء أبناءهم على تلقي الاوامر يسلبهم معنى الحياة .

ومن حق الأطفال أن يندمجوا في البيئة وأن تكون مصارفهم نتيجة ملاحظاتهم وتجاريبهم واكتشافاتهم الشخصية ، يقول روسو : « في أي شيء تنتظره أن يفكر إذا كنت تفكر له في كل شيء فغاية التربية هي تعليم الأطفال كيف يحصلون على الحياة بأنفسهم كلما أمكن ذلك » .

يجب إذاً أن يكتسب الطفل بنفسه معارفه أي عن طريق العمل لا عن طريق أوامر ونواهي والديه وبهذا وحده نستطيع أن ندخل الحياة في المنزل بصورة جديدة وبهذه الطريقة يصبح الطفل عاملاً بنفسه لا واقعاً تحت تأثير غيره يتلقى من آبائه الأوامر دون أن يبحثها ويجربها فالطفل لا يتعلم شيئاً ما لم يعمله .

كذلك لايمكننا أن نربي عاطفة أو فضيلة أو فكرة حسنة في نفوسنا ما لم نأت أعمالاً تستوجب هذه العاطفة او هذه الفضيلة او هذه الفكرة .

وعلى هذا يجب على الآباء أن يعودوا أطفالهم التعلم من الحياة نفسها فلا يروموا من التربية شيئاً سوى الحياة . وهذه الحقيقة هي تدمج الاطفال في الحياة الاجتماعية إدماجاً يجعلهم يتذوقون معناها ويقدرون على حل معضلاتها .

اذكر اني شاهدت يوماً احد الأطفال يزرع في حديقة منزله بعض الازهار فما كان من والدته إلا ان قلعت له هذه الأزهار من الحديقة وحجتها أن ذلك يسبب اتساخ ملابسه ولم تدر أن ملاحظة الطفل بنفسه هذه الازهار في أطوار نموها فضلاً عما يكسبه من فضيلة المثابرة في العناية بهذه النباتات مدة طويلة هو من خير الوسائل لتكوين بعض ميول الطفل وإظهارها كما أنه يفيد من الجهتين الخلقية والاجتماعية فهي تبعثه على حب العمل ؛ ومن أخرى فمشاهدة الاطفال للظواهر الطبيعية من نبات وحيوان والعناية بنموهما لابد انهما يشعران الطفل بأن حياة النبات والحيوان متوقفة على العوامل الطبيعية ويحفز انه إلى الاعتقاد بأنه لولا عنايته هو واهتمامه لهلك النبات وجف ومات الحيوان من الجوع والعطش . وشعور الطفل بهذا كله يبعثه على ان يهتم ويحرص كل الحرص على حياة النبات والحيوان ويجعله يقدر ويحب الطبيعة ويجلها ثم إن قيام الطفل بهذا كله يفيد من الجهة البيولوجية في نمو جسمه وتقوية عضلاته والطفل على الخصوص في حاجته إلى تحريك عضلاته واستخدامها لتكون أعظم قوة وأكثر مرونة .

يجب أن يأخذ الأب أطفاله إلى الحقول والحدائق ليشاهد النبات والحيوان بأنفسهم وأن يجيبهم على أسئلتهم لإيضاح ما يشهدونه لا أن يحتقرها ولا يجيبهم عليها وبهذه الطريقة يتعرف الأبناء الفروق الموجودة بين النبات في جذوعها وأوراقها وأزهارها ويشاهدون أنواع النبات ويعرفون أسماءها وخصائصها .

على أننا نرى أن كثيراً من الآباء ينظرون إلى المستقبل ولا يفكرون في

حياة الطفل الراهنة وإنما ينظرون إلى الرجل من أنواع المعرفة التي لا يهتم لها الصغير ولا يريد أن يتعرفهـا فهم كما يقول روكسو : « يضحون بالحاضر لاجل مستقبل غير مؤكد وقد لايعيش الطفل ليدركه » . ويجب ألا تعلم الطفل إلا ما يحتاج إليه وما يتفق مع غرائزه وطبيعتـه ويجب كذلك ألا نتعجل الطبيعة في عملها فالطبيعة هي التي تعد الطفل ليكون رجلاً . وما علينا إلا أن نساعدها في الإعداد .

يجب أن يذكر الآباء أن الطفولة ليست كما أسلفنا طريقة للرجولة فقط بل حياة مستقلة لها مميزاتها وصفتها الخاصة . لها كل ما لأنواع الحياة من القيمة والقدر .

لذلك ينبغي أن تتاح للأطفال الفرصة في المنزل لكي ينمو نمواً جسمياً وعقلياً واجتماعياً وخلقياً ويستمتعوا بالحياة استمتاع الأحياء بها . فالمنزل مكان للنمو ذلك النمو الذي يجب أن يتناول من جميع نواحيه إذ يقول بعض العلماء أن مهمة المنزل هي إعداد الطفل ليحيا .

إذن فالطفولة طور خاص له ميوله واستعداداته الخاصة ولا معدى من أن يراعي الآباء ذلك في معاملتهم لأطفالهم وفي هذا يقول روسو : « عامل ابنك حسب سنه » . ويقول « احترموا طبيعة الطفل » و « الطبيعة تريد الأطفال أن يكونوا أطفالاً قبل أن يكون رجالاً » . وبذلك أنصف الطفل لأول مرة في التاريخ والفضل في هذا الأنصاف يرجع إلى روسو .

وهذا يجب أن تكون طبيعة الطفل مركز اهتمام الآباء وموضع عنايتهم

واحترامهم إذ لا سبيل إلى السيطرة على الطبيعة ، كما يقول بيكون – إلا بالخضوع لها – كما أن غرائز الطفل وميوله واستعداداته هي إلى حد كبير ، المادة التي يجب أن يعامل الآباء أبناءهم بمقتضاها .

على محمد فهمى



الاهم فى تربية الفتاة

لا زالت تربية البنات عندنا من أهم مشاكلنا الاجتماعية . فقد تعددت الآراء حول هذه التربية وكثر القول . وإلى الآن لم نر توجيهاً صالحاً أو نظاماً صحيحاً لهذه التربية سواء أكان في المنزل أم في المدرسة .

ولعل صعوبه هذه المشكلة ترجع إلى اختلاف النظر في تقدير وظيفة المرأة. هي التي يجب أن تفهم واجبها في الحياة ووظيفتها الاولى حتى افهم حتى تكون هي النواة الاولى الصالحة التي يمكن أن يبنى عليها إصلاح البنات في المستقبل.

أهم ما تلقى الفتاة في منزلها من تربية هو إعدادها لأن تكون زوجة صالحة . ولو قد فهمت السيدات والامهات حقيقة وظيفة الزوجة لما وجدن إعداد الفتاة لها شيئاً سهلاً إلى هذا الحد . فيكفي الأم مثلاً أن تكون ابنتها طاهية ماهرة وخائطة أمهر وخادماً تشتغل في المنزل على أحسن وجه لتكون زوجة صالحة . والعجيب أن الرجال أيضاً يرون هذا النظر . فانظر إلى هذا الذي يتقدم إلى فتاة يطلبها للزواج فإذا قيل له : لا . إنها لا تعرف من أمور المنزل شيئاً إنها لا تعرف كيف تطهي صنفاً واحداً ولا تعرف حتى كيف تخيط قميصاً ، إذا سمع هذا فر من وجه الفتاة . ولم لا ؟ أليس يطلب خادماً؟

والواقع أن الطهي والخياطة وما شاكلها من الضروريات التي يجب أن تعرفها كل فتاة لا لأنها ستكون طاهية وخادما وخياطة في بيتها ولا لأنه قد يخرج الخادم أو الطاهي فماذا يكون موقفها . كلا ، فكل هذه أمور لها من

يقوم بها ، وما أسرع ما تدبر نفسها السيدة العاقلة ، ولكن يجب أن تعرف كل هذه الاشياء لتستطيع بذلك أن تكون لنفسها جنة من دارها . ليكون لها ذوق وعلم ودراية تساعد بها الخادم الجديد في تفهم ذوقها وذوق زوجها في هذه الامور .

ولكن هذه الامور عندي وإن كانت مهمة إلا أنها في الدرجة الثانية يكفي لكل هذا شيء من المران حتى تتعود الفتاة هذه الاعمال . انا لاانكر ان الطهي فن وان الخياطة فن وان خدمة المنزل فن ولكن انكر ان تكون هذه الفنون هي الاولى التي تعنى بها الفتاة .

أهم ما يجب ان تعد إليه نفسها الفتاة هو فن ترتيب الدار فليس يكفي ان يكون البلاط والخشب لامعاً والأدوات نظيفة نقية وإنما يجب ان يكون في ترتيب الغرف ، فن في وضع هذا الكرسي وهذه الطاولة بجانبه ، فن في ترتيب المائدة ، فن وذوق يتجليان في كل وضع لكل شيء في البيت هذا من عمل السيدة . واما المسح والكنس واما التلميع والتنظيف فهذا عمل آلي كل خادم تستطيع أن تقوم به بعد تمرين قد يطول وهو غالباً قصير .

واهم من ذلك ان تعد الفتاة نفسها لأن تربي الطفل فهذه مهمة الزوجة الاساسية . وتربية الطفل تستغرق اعواماً لتفهم ما وصل إليه العلم الحديث فيه . ليس يكفي ان تقرأ كتاباً أو اثنين وإنما هو فن وعلم له اصوله وقواعده . وفي مصر محاولات لتجربة تلك النظريات الحديثة فلا اقل من ان تزور امكنة هذه التجارب لترى بنفسها وتلمس النتائج . كذلك لا بأس من ان تحضر دروساً في هذا العلم تجريبية في رياض الاطفال .

ولا يقل أهمية عن كل هذا إعداد الفتاة نفسها لأن تكون سيدة مثقفة واسعة الاطلاع فقد قضي العهد أو كاد هذا الذي كانت السيدة فيه سجينة الدار. والآن وقد خرجت في الاجتماعات فليس أدعى لاحتقارها من أن تكون جاهلة لا تعرف عن الدنيا حولها شيئاً . وليس أشرف لها وأدعى لاحترامها من أن تكون دراسة للاحوال حولها تعرف عن وطنها كل قديمة وجديدة وتعرف عن الدنيا أهم ما يجب أن تعرف .

كذلك أحب أن تتقن الفتاة فناً من الفنون كالرسم او الغناء او الموسيقى او الادب فليس ادعي لتهذيب طبيعة الانسان من ان يشغف بفن ويحاول ان يتقنه . إن في هذا بروزاً لشخصيته وارتفاعاً لسعرها .

هذا ما يجب أن تتعلمه الفتاة اولاً في دارها او في المدرسة والدار معاً. فهل يا ترى إذا عارت هذه الاشياء ما يجب لها من عناية تجد متسعاً من الوقت لأن تتقن الطبخ والمسح والكنس والخياطة إتقان المحترف ؟ لست ادري؟

سهير القلماوي

ملكية الطفل

طبيعة في الانسان ميله إلى امتلاك الأشياء . وهذه الطبيعة تظهر واضحة في الطفل كسائر الطبائع الإنسانية الأخرى . فهو يحب أن يأخذ من إخوته ما بأيديهم . وهو إذا ملك شيئاً حرس عليه فلا يسمح لأحد أن يأخذه منه، قد يتلفه وقد يكسره ولكنه يأبى إباء تاماً أن يمسه غيره .

وتلك الطبيعة في الواقع من ضروريات الحياة ، ولكنها يجب أن تهذب حتى لا تنقلب طمعاً وجشعاً ، وحتى لا تنقلب مساعداً فعالاً في نمو أنانية الفرد . وتظن بعض الأمهات أن من وسائل تربية هذه الطبيعة أن يسلب الطفل كل ما يملك ، وألا يكون له ملك خاص فتمحى تلك الطبيعة فيه محواً تاماً . ولكن هذا خطر جداً على الطفل ، فقد يقوده هذا إلى الثورة وإلى عكس ما كانت ترجوه الأم تماماً .

ليست وظيفة الأم أن تميت غرائز الطفل فهذا مما لاتستطيعه أية قوة ، وإنما وظيفتها أن توجه تلك الغرائز وجهات حسنة قدر المستطاع . ففي هذا الباب مثلاً تعود الطفل أن يحترم الملكيات ، أي أن يحترم ملكية غيره ، ويعدها كملكيته ، نفس الحقوق . فإن أغار على ملك غيره أغير على ملكه وإن احترم ملك الغير احترم ملكه .

فهذه مثلاً عروس تلعب بها الطفلة ، وهي جد حريصة على حقوق امتلاكها، لا تسمح لأحد ان يمسها او يلعب بها غيرها ، فهذا حقها يجب أن يحترم ،

وتلك ملكيتها يجب أن تصان . ولكن لابد للأم من أن تحرص كل الحرص على أن هذه الطفلة لا تأخذ عجلة أخيها لتلعب بها دون رضاه ، فالعجلة ملك الغير يجب أن يحترم . وهكذا متى تعودت الطفلة أن تشعر بأن ملكها محترم استطاعت أن تحترم ملك الغير ، وأحست في نفسها شعوراً مطمئناً بالعدل ، وأحست في الوقت نفسه أنها تملك شيئاً لها عليه كل الحقوق ، وفي هذا ما يقوي الشخصية ويشعرها بالنفوذ والاستقلال .



رعاية الطفولة في الاسلام

درج أكثر الناس في قياس مجد الأمم وحضارتها بمقاييس شتى أهمها النبوغ في الفنون والعلوم ، أو ارتقاء النظم والقوانين ، أو التفوق الحربي ووفرة الغنى واتساع الملك .

وقلما جعلوا رقي الأمة الوجداني وتغلغل مبادئ الرحمة والإحسان فيها من أول مقاييس الرقي الهامة . وما دامت هذه الناحية لاتلقى من الدراسة والعناية مايرجح كفتها ، ويرفع قيمتها ، لتكون الحجر الأساسي في بناء الحضارة ، فسيظل العالم ولا شك بعيداً عن روح السلام والوئام .

ولقد كان للحضارة الإسلامية أوفر الحظ من مبادئ العطف والإنسانية التي تجلت في نواح عدة من الحياة ، فظهرت مثلاً في معاملة المسلمين لسكان البلاد التي خضعت لسلطانهم مما أنسام عدة أجيال مذلة الفتح ، كما ظهرت في معاملة الرقيق والمرأة ، وتجلت في الرعاية العظيمة التي كان يعامل بها الأطفال . على أن تلك الناحية الخطيرة التي يجب أن تعتبر بحق المقياس الأول للرقي ، لم تنل كل ما تستحق من الاهتمام ، فلم تأخذ مكانة المقاييس الأخرى بعد . وعلى ذلك فليس أنسب من أن ننتهز فرصة حلول العام الهجري الجديد لندرس ناحية من نواحي الرقي الوجداني عند المسلمين في العصور الماضية ، فنتعرف اهتمامهم بشؤون الأطفال ، وتربيتهم للنشء ، لنسبر غور مبادئ الرحمة فيهم .

لم يكن الاهتمام بشؤون الأطفال مقصوراً على الدين الذي حرم قتل الأبناء خشية الإملاق ، وصان حقوق اليتامى وأموالهم ، ووضع القوانين

للحضانة ، وقيد سلطة الأب على أبنائه ، ورفع مكانة الأمة إذا أنجبت ولداً لسيدها فأصبحت بسبب وليدها في مأمن من البيع والشراء ، بل إن موضوع تربية الطفل ووجوب تعهده بالرفق والعناية لاقى أكبر الاهتمام من كتاب المسلمين ومفكريهم . وإن روح الرفق لتبدو واضحة قوية في كل ما كتبوا . والواقع أن الشاعر العربي الرقيق العاطفة لم يكن هو وحده الذي عبر بوضوح عن هذه النزعة الإنسانية إذ قال :

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

بل إن الفيلسوف والمربي عالجا الموضوع بنفس الروح . فلقد اهتم بهذه الناحية نفر من أشهر مفكري الإسلام مثل ابن سينا والغزالي والعبدري وابن خلدون . وسنشير إلى بعض آرائهم تسجيلاً لناحية من نواحي الرقي الوجداني الذي تمتاز به الحضارة الإسلامية كما سبقها من الحضارات كالحضارتين الإغريقية والرومانية .

فابن سينا يجعل أساس التربية مراعاة ميول الأطفال واستعدادهم ، حتى لايرهق الأطفال بأعمال يصعب عليهم أداؤها لأنها لاتجري مع رغباتهم . وعلى ذلك فابن سينا يحترم الميول مهما كانت متواضعة . كذلك عالج هذا الفيلسوف مشاكل التأديب بطريقة يتجلى فيها الحزم الممزوج بالرفق ، فرأى أن يجنب الصبي معايب الأخلاق بالترهيب والترغيب ، والإيناس والإيحاش ، والإعراض والإقبال ، وبالحمد مرة وبالتوبيخ مرة أخرى ، ما كان كافياً ؛ فإن احتاج للاستعانة باليد لم يحجم عنها . وليكن أول الضرب قليلاً موجعاً كما أشار به الحكماء من قبل ، بعد الإرهاب وبعد إعداد الشفعاء . وهكذا

لا يجعل ابن سينا القسوة والضرب أول وسيلة للتأديب ، بل هو لا يلجأ إلى الضرب إلا إذا فشلت الوسائل الأخرى . ولقد حدد علماء المسلمين عدد الضربات التي توقع على الطفل بثلاث ، كما عينوا المواضع التي يحدث فيها الضرب حتى لا يتعرض الطفل للأذى .

والغزالي الذي يعتبر حجة الإسلام ، والذي كان لآرائه أكبر الأثر في تفكير المسلمين في العصور التالية ، يتكلم عن الطفولة بعطف ورقة لاحد لهما . فهو يصف الطفل بأنه « أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ... » ومن ثَمَّ يجب على ولي أمر الطفل أن يقوم بإرشاده بأمانة وإخلاص . وهو يوجب مراعاة شعور الطفل فيقول : « إن الطفل المستحي لاينبغي أن يهمل ، بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه » ، كما يرى : « ألا يؤخذ الطفل بأول هفوة ، بل يتغافل عنه ولا يهتك سره ، ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه » ، كما ينصح للمربي : أن ينظر في مرض المريض وفي حال سنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة ويبني على ذلك رياضته » .

والعبدري الذي عاش بمصر في القرن الثامن للهجرة يحمل حملة شعواء في كتابه (مدخل الشرع الشريف) على مؤدبي عصره ، وينعي على أولياء أمور الأطفال أنهم يقسون على الصبيان فيضربونهم بعصا اللوز اليابس وبالجريد . ويصر على أن يأخذ المعلم الأطفال بالرفق ما أمكن . ولكن إذا اضطر المربي إلى أن يضرب الصبي على تركه الصلاة متى بلغ السن التي تجيز ذلك ، فلا بأس أن يضربه ضرباً غير مبرح ، ولا يزيد عن ثلاث أصوات شيئاً إلا

في حالات نادرة جداً. وهنا يحدد عدد الأصوات بعشرة ، وهو الحد الأقصى. ولا ينسى العبدري أن يذكر المربي بتفاصيل عدة لا يخرج مرماها عن مراعاة المسلمين لشعور الأطفال . فهو ينصح المؤدب مثلاً أن يسمح للتلاميذ أن يحضروا غداءهم معهم إلى المكتب ، أو يحملوا نقوداً لشراء ما يرغبون من الطعام ، حتى لا يتألم الطفل الفقير الذى لا يمكنه مجاراة الموسرين في مظاهر يسرهم . وعلى ذلك فهو يفضل أن يرجع الأطفال أجمعون إلى منازلهم للغداء .

ويرى العبدري أيضاً أن يلعب الأطفال لعباً جميلاً بعد انصرافهم من المكتب حتى تذهب عنهم آثار التعب والملل ، وحتى يستأنفوا دروسهم بشوق واهتمام .

ولقد عقد ابن خلدون في مقدمته الشهيرة فصلاً في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم ، ولا سيما في أصاغر الولد . وذكر أن كل من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو الخدم سطا به القهر ، وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمل على الخبث والكذب ، وفسدت معاني الإنسانية فيه ... وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف .

كذلك لم تكن رعاية الأطفال مقصورة على المفكرين والمشتغلين بالتربية ، بل قام المحسنون بإنشاء المعاهد الخيرية لتعليمهم وحمايتهم ؛ وكثير من الكتب الإسلامية تفيض بذكر الكتاتيب التي بنيت لتعليم اليتامى والمساكين وإطعامهم وكسوتهم . ولقد ساهمت المرأة المسلمة بقسط وافر في هذا الميدان ، إذ يذكر المقريزي في كتابه الخطط أسماء كثير من النساء اللاتي قمن ببناء

الكتاتيب وحبس عليها الأموال والأملاك لتعليم أبناء الفقراء كتاب الله . وكثيراً ما كان يبنى الكتّاب بجانب المدرسة والبيمارستان مما سهل بطبيعة الحال حصول الأطفال على العلم والعلاج .

وبلغ من عناية المسلمين بأمر الأطفال أن كلف رئيس الشرطة بتفقد أحوال الكتاتيب لمنع تعليم البنات الصغار أشعار الغرام والمجون مما قد يكون له الأثر السيء في أخلاقهن ، ولحماية الأطفال مما قد يصيبهم من قسوة المعلمين . وهكذا لم تقف الدولة موقفاً سلبياً في أمر تربية الأطفال .

من كل ما تقدم يتبين لنا مقدار تغلغل مبادئ العطف والانسانية في ناحية من أهم نواحي الحياة الإسلامية . على أن تقديرنا لمبادئ هذه الرحمة المتجلية في الاهتمام بالأطفال لا يجعلنا نغض الطرف عن أن المسلمين لم يتخذوا الوسائل الكافية لحماية الطفولة ولسد حاجاتها في النواحي المختلفة ، فلم يكن لديهم مثلاً قوانين تحمي الأطفال من مزاولة بعض الأعمال التي قد تعوق نموهم ، وتحدد السن التي لا ينبغي تشغيل الأطفال قبل بلوغهم إياها ؛ كما لم يحددوا سناً لبدء الزواج ، فكانت الفتاة تتزوج في سن مبكرة ، وترهق بواجبات الأمومة والزوجية وهي لم تزل بعد طفلة . كذلك لم تتوفر المنشآت الخيرية التي تكفي لسد حاجات الفقراء وذوي العاهات . على أن ذلك النقص في وسائل العلاج لا يقلل من قيمة مبادئ العطف والإنسانية التي بني عليها الإسلام ، ولا تخفي روح الإحسان التي تفيض بها الحضارة الإسلامية ، والتي ظهرت في ميدان الرفق بالأطفال .

وإذا كان الغرض الأول من دراسة نواحي الحضارات الغابرة هو تفهم

حياتنا الراهنة والوقوف على مقدار تقدمنا أو قصورنا ، فإنا لا نتمالك أن نشعر بالخزي من أنفسنا عند ما نستعرض أعمال السلف ونقارنها بمجهودنا الضئيل على رغم ما لدينا من وسائل وتجارب ومعرفة . وعلى الرغم من مرور هاتيك السنين لم نتقدم غير خطوات قليلة في ميدان الرفق بالأطفال . فثلاثة أرباع أطفالنا إما مصابون بداء الجهل والأمية وهو أصل كل شقاء ، وإما جياع حفاة عراة تموج بهم الطرقات ، وإما مرضى بأدواء شتى بسبب إهمالهم وحرمانهم حتى من ماء الشرب النقي . وأخشى كثيراً أن نظهر في مؤخرة الأمم في الحضارة والرقي إذا اعتبرنا مقياس التقدم الحقيقي هو مبلغ تغلغل مبادئ العطف والإنسانية التي تقل مظاهرها لدينا لسوء الحظ .

وفي ضوء هذه المآسي ، ولشعورنا بما قدمنا وما أخرنا ، يبدو لنا الماضي عظيماً حقاً ، فنتجه إليه بإعجاب وخشوع ، ونتحدث عن آثاره حيناً من الدهر نشعر بعده بشيء من راحة المعترف بالفضل المقر بالذنب .

أسماء فهمي



السعادة عند الطفل

العقبات والعوائق التي يصطدم بها جسم وعقل وقلب الطفل في هـذه الحياة ، تخال لغارته تخبطاً منكراً لايحتمل ، وهذا دلالة على شعوره العميق ، واقتناعه بمتاع النعيم ، وبجبوحة العيش ، وبتميزه هـذا يتمشى الطفل مع منطق الفطرة .

فواجب الأب أن يعجل بتلطيف هذا الإقتناع بإقناع مقابل ، وهو أن الإرادة والحرية قد تتقيدان . وقد يتحتم تقيدهما ضرورة ، والراحة في هذه الدنيا ، استثناء ، ونادرة زائلة !

إنا صورنا لك الطفل في الثالثة من عمره ، وقلنا إن أول إلمام يجب أن يحيط به عند إدراكه بعد وجوده ـ سبحانه وتعالى ـ الشعور بالفرح العميق وشكر الجميل على مافيه من نعماء لايمتع بها كثيرون .

لندخل فعلا في فكر الطفل ، ولنجهد حتى نكون مع إحساسه لنحس مثله ، أو نحدث نفسه لتشعر بالانفعال المحرك لروحه الصغيرة !

ولكن مامقدار السعادة الذي تعطيه هـذه الدنيا . وما عيار مناقضاتها ، وعدد محنها وأحزانها ، وصعوباتهـا التي تعترض إرادتنـا وآمالنا في هذا العالم الفاني ؟

كل هذا يجهله الطفل ، ولا يستطيع التنبؤ به ، ولو على التقريب هو لايعلم شيئاً ، أو أنه لايعلم إلا شيئاً واحداً : لا يجب أن يتألم ويقاسي ، وبعد هذا العلم ، لايقدر الكائنات . والأحياء ، والحادثات إلا بالتربية .

إن التجربة - وهي العامل المفيد في تقدم البشر - لاتجديه إلا مؤخراً ، وعند تهيئة عقل الطفل بالمؤثرات الأولى . لاترسخ في ذهنه ولذا فقد قلنا كل الحقيقة : إن الطفل المغمور في النعيم الغارق في بحر العواطف الأهلية المحفوظة بعناية الخدم - قد يظن أنه أتعس ، بل أشد تعاسة من أي خاسر آخر . إذا لم يطع هواه في أتفه الأمور التي يعلق عليها شأناً خطيراً ، ولا سيما بروح المعارضة والعناد .

لاتتعب نفسك في تعويضه هواه بأنفس منه ، لايقدر عملك ، ويرفض هديتك ، غاضباً بلا اكتراث ، لقد جسد السعادة كلها في الذي اشتهى فلا يرضى به بديلا أبدا .

والحقيقة أن الولد يرغب في الخضوع الأبوي أكثر من الفرح بالشيء المطلوب ، حتى إذا خضع الأب ، سكن ورضي ، ولها عن مطلوبه ، وخف إلى شيء آخر ونسيه !

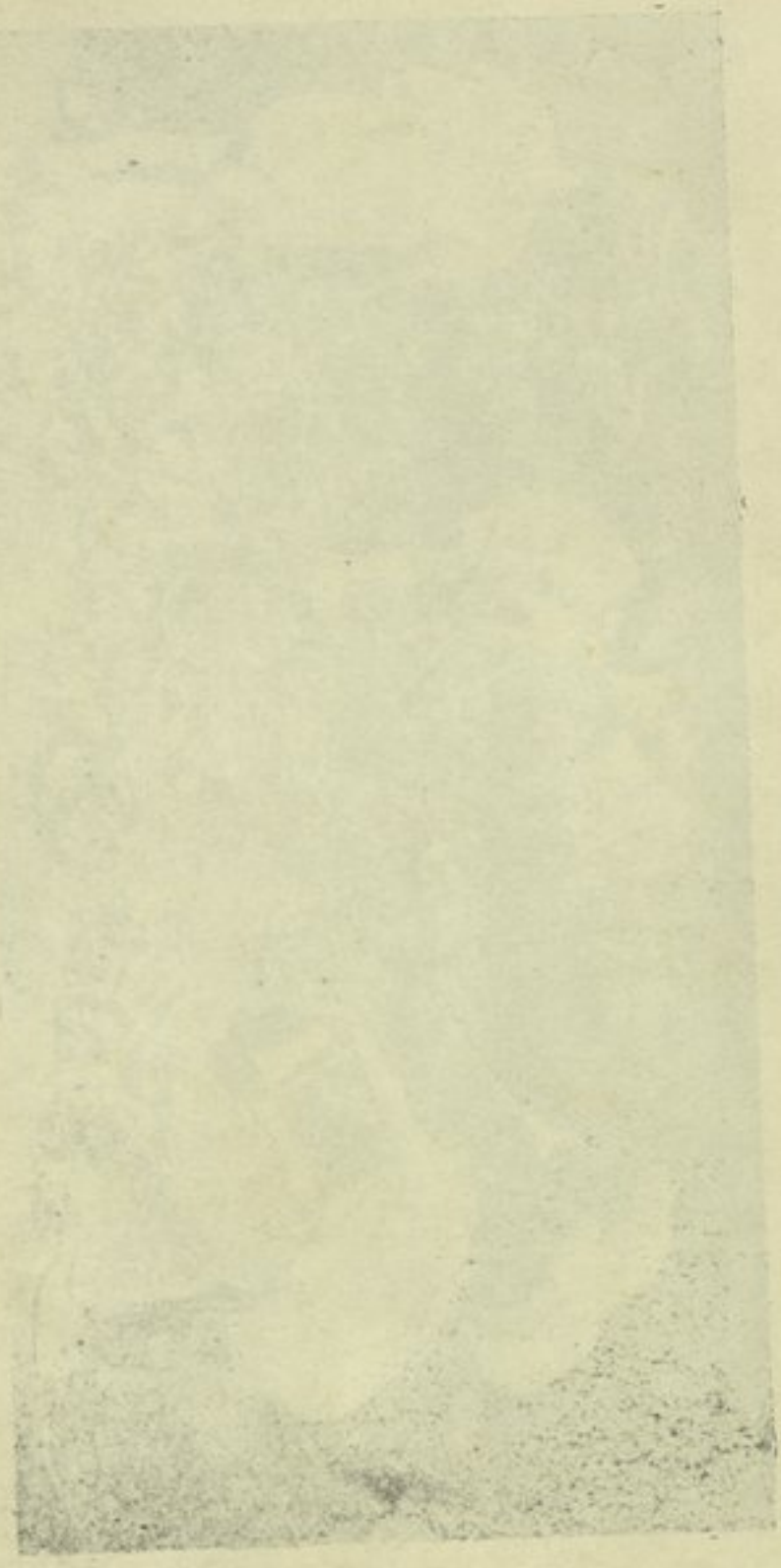
إن الولد يتصرف في هذا تصرف الفيلسوف ، حقاً إن الحادث تافه في الظاهر ، على أنه ذو شأن كبير ، إذ أنه قد عرّف أباه من له الكلمة الأخيرة النافذة . التي لاترد ، والولد يشعر - ولا شك - أنه إذا ردت كلمته ، فقد ضاعت عليه أشياء كثيرة .

إذاً الطفل ليس بسخيف . إذا تشبث بتافه الأشياء ! وإنما يبرهن بذلك على عقل وإدراك عملي عميق جداً في غاية من الخطورة . المسألة . مسألة مبدأ متنازع عليه ، يعلق عليه أمراً عظيماً ، والطلب ، اللعبة علة وسبب !!

فيظهر لك من هذا أنه يجب التبكير بإلقاء بعض الحقائق العامة في روعه ،



تعنى الحكومات الأوربية بالأطفال ، فتهيئ لهم مدارس في الهواء الطلق ، حيث الشمس والجو الصحو ، فيلهون ويتعلمون وترى في الصورة بعض الاطفال يعنون بفلاحة حديقة المدرسة »



ليعرف نفسه ، وما يجب أن يكون عليه ، وما ينتظر منه ، لقد يسهل الأمر إذا اتبع في مناسبة ، وبقدر المستطاع يومياً ، بتعليم الولد : أن الدنيا دار محنة لادار متاع ، وأحظى الناس فيها أقلهم عذاباً ، ولا سعادة بلا شوب ، والفضيلة ينطوي تحتها الفضل ، ولا فضل بلا شظف ! والتضحية ضرورة ، والجلاد محتم ، والعمل بالنية والخاتمة ، والإنسان يأتي الدنيا قهراً ! ويخرج منها قسراً ، والفوز فيها نادر ، والكنود شائع ، والإنفاق بالفضل فرض ، والإحسان من البر والعمل سنة الوجود ، وكل حارث وهمام ، وفي كل مال حق معلوم للسائل والمحروم ، وأن لايحسد فقيرٌ ذا نعمة ، وأن لايبطل محسن حسنته بالمن وأن تفرح اليد العليا بالإعطاء ، كما تفرح اليد السفلى بالعطاء !

وينبغي أن يكون الإنسان رحيما بالمذنب ، غير متسامح في الخطيئة وبعبارة أخرى : إن دائرة المبادئ الحديدية ، ينبغي أن تلبس بأنواع الحرير المسماة : بالرعاية والطيبة والإحسان ... ويتعلم الولد أن الهياج والاضطراب ليسا النشاط والهمة ، والقسوة ليست الوقار ، والفهم حباب العقل ، وأنه ليس من الحكمة ولا الحق طلب التمتع بكل اللذات ، لأننا قادرون عليها إن هذا مجلبة للأثرة المقسية للقلب ، والعجب المفسد للعقل ، والرخاوة المضعفة للجسد . وذكره ، فقد تنفعه الذكرى ، ولا تقتصر على القول الثقيل عليه فإنك لاتقنعه . بل أشفعه بتطبيقه قدوة وأسوة !!

فإذا دبدب ولدك ، ودب فيه اليأس ، من بلوغه مراده ، فادعه ليعينك على زحزحة الحائط العائق لك . الذي عزمت على قلعه ، وادفع معه ، ثم أثبت له أن كثيراً من الرغبات يستحيل تحقيقها رغم الصياح ، والغضب والحدة

فذلك البرهان ومثله من جنسه درس مفيد . يوجب التفكير والتدبير !!

وإذا دعت الحال أن تعجل بخلع ضرس الولد ، فالأولى أن تزكي فيه جرأته ، وتسأله أن يبرهن على رجولته وإقدامه ، وأن تعرفه أن تحمل الألم والصبر ، من شيم الرجولة الكريمة ، وأما إذا استعنت بالوعد بالنقود فماذا يحصل ؟ إن وعدت بخمس قطع مكافأة ، وكان الولد جباناً أكثر منه شرهاً فقد تزيد عليها عشراً ...؟ ولا عائدة وفي النهاية يؤخذ بحيلة أو يسلم قهراً إلى الطبيب .

لقد أقمنا سوقا للطفل وهو حر في رفض الشراء ، وكان الأجدر والأفيد أن يقنع بهاتين الضرورتين : الصبر والطاعة !!

حسن نبيه المصري

أطفالنا

مما يؤسف له أننا في تربيتنا المنزلية ما زلنا عند الحد الذي تركتنا عنده العصور الوسطى ، نعتقد أن الطفل مختصر رجل أو امرأة ، ونتخذ هذا الاعتقاد أساساً للخطة التي نسلكها في تربيته ، فنقيس أعماله بالمقياس الذي نقيس به أعمال البالغين ، ونحكم على ما يأتيه بالخير والشر طبقاً للقانون الذي سنه المجتمع للراشدين ، ولا شك أن هذا النمط من التربية يضر بعقل الطفل وخلقه ضرراً بليغاً ، ويجلب من المضايقات لوالديه ما يخرجهما في كثير من الأحيان عن جادة الصواب . ذلك لأنهما يجهلان طبيعة الطفل فيكلفانه ما ليس من شأنه ويكرهانه على أن يكون رجلاً أو امرأة قبل الأوان .

ولقد استمر رجال التربية في العصور الوسطى يجهلون حقيقة الطفل كما يجهلها معظم الوالدين عندنا في الوقت الحاضر ، إلى أن لفت روسو الأنظار بكتابه « أميل » إلى ذلك المخلوق الغريب . وتابعه العلماء من بعده في دراسة الطفل وتفهم أطواره المختلفة ، فوصلوا إلى نظريات كان لها أكبر الأثر في قلب نظم التربية رأساً على عقب . وما زال العلماء يوالون بحثهم ، ويشجعهم على المضي فيه تقدم علم الحياة وعلم النفس وعلم وظائف الأعضاء وغيرها ، حتى أصبح لدينا علم مستقل بنفسه هو علم « دراسة الطفل » . الذي هو اليوم أكبر معين للمدرسين على أداء مهمتهم الشاقة . على أنه إن كان قد أفاد المدرسين وأنار لهم سبلهم ، فهو ما زال مجهولاً للعامة بعيداً عن متناول يدهم . وهذا نقص يجب أن نعمل على تلافيه لأن للبيت أثراً في التربية يتضاءل بجواره كل أثر آخر لا سيما في تهذيب النفس وتقويمها . ولن يستطيع أحد أن ينكر أن ما

يفسده البيت في نفس الطفل لا تستطيع أية قوة أخرى مهما عظمت أن تصلحه ، ولو بذل في ذلك من الجهد شيء عظيم .

لذلك كان جديراً بنا أن نفهم الوالدين حقيقة ذلك المخلوق الذي عهد إليهما بتربيته ليستطيعا أن يكونا على بينة من أمره فلا يفسدان أخلاقه بجهلهما ولا ينغصان عليه عيشه في المستقبل بما يزرعانه في نفسه ، وهو صغير ، من العادات السيئة . وإذا نحن علمنا أن الطفل في الخمس السنوات الأولى يكون بين يدي والديه كالعجينة الرخوة تتشكل حسب إرادتهما وأنه في هذا الدور من عمره يتعلم من الأشياء ما يكاد يوازي كل ما سيتعلمه في أي مرحلة من مراحل حياته المستقلة ، أدركنا أهمية التربية المنزلية ومنحناها من عنايتنا نصيباً وفيراً ، وعلمنا جهدنا في تزويد الآباء والأمهات بأكبر قسط من قواعدها بكل وسيلة ممكنة ليستطيعوا أن يحسنوا القيام بتلك المسؤولية الخطيرة التي ألقتها الطبيعة على عاتقهم فيخرجوا للأمة رجالاً ونساء يسيرون بها إلى الأمام .

ولا يصح أن يمنعنا عن المضي في هذا السبيل ما قد يعترض به البعض من أن أجدادنا قد اعتمدوا في تربية أبنائهم على الغريزة وحدها ومع ذلك فقد استطاعوا أن ينشئوا لنا رجالاً عاملين ونساء عاملات ، فقد يكون هذا الاعتراض وجيهاً لو أن الحياة بقيت كما تركها أجدادنا بسيطة محدودة المطالب . ولكن الواقع غير هذا فقد تعقدت الحياة بل هي تزداد تعقداً كلما ازددنا رقياً . ولذلك فالغريزة وحدها لا يمكن أن تعين الانسان على تربية نسله وإعداده للمغامرة في هذه الحياة ، بل لا بد له من مرشد يمده بتجارب الآخرين ويبصره بمواقع الخطأ ، ومواطن الصواب في تربية أطفاله .

محمد عبد العزيز

الرسول والاطفال

كان رسول الله ﷺ شديد العناية بالأطفال ، كثير الحب لهم ، وإذا مر بهم ألقى عليهم السلام إكراماً لهم وتنمية لشخصيتهم حتى يحسوا بأنهم ليسوا أقل درجة من الرجال . وقد حدث جابر بن سمرة : « إن النبي رأى صبية يتسابقون ، فجرى معهم » وكان يلقى الصبي في الطريق ، فيركبه ناقته ، ولا يزال يداعبه حتى يدخل السرور إلى قلبه . وقال أنس « إنه لا يعلم رجلاً أبر بأهله وولده من محمد » . وكان القوم الذين لم يعرفوا قيمة للطفل قبل النبي يعجبون لعمله ، فقد جاء أعرابي إلى الرسول فرآه يقبل الحسين ، فاستغرب هذه الشفقة غير المألوفة وقال : أتقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم . قال النبي : أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟

وقد أعطى الرسول عليه الصلاة والسلام دروساً قيمة في التربية إلى أصحابه حتى أصبح قساة القلوب منهم في منتهى الرحمة والحب . هذا عمر بن الخطاب، الذي وأد ابنته في الجاهلية ، حكى عنه أنه استعمل رجلاً من بني أسد على عمل ، فجاء يأخذ عهده ، فأتى عمر ببعض ولده فقبله ، فقال الأسدي : أتقبل هذا يا أمير المؤمنين ؟ والله ما قبلت ولداً قط ! قال عمر : فأنت بالناس أقل رحمة . هات عهدنا ، لاتعمل لي عملاً . وقد كان من أهم وصايا أبي بكر إلى قواد المسلمين عدم قتل الأطفال .

قال أسامة بن زيد بن حارثة (مولى) النبي ﷺ : كان رسول الله يأخذني فيقعدني على فخذه ، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ، ثم يضمهما

ويقول : اللهم ارحمها . ولم تكن هذه الرحمة لتقتصر على البشر والأنس ، فقد كان يسكب الدمع إذا أصيب طفل بمكروه . مات لإحدى بناته ولد، فلما رفع إليه ، فاضت عيناه ، فقال سعد بن عباده : يارسول الله ما هذا ؟ قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء . ولما مات ولده إبراهيم بكى عليه وقال : « إن العين لتدمع وإن القلب ليجزع وإنا بعدك يا إبراهيم لمحزونون » . وقد جاء الحسن والحسين مرة إلى المسجد يعثران في قميصين أحمرين فقطع كلامه ونزل عن المنبر فحملهما ثم عاد إلى منبره.

وكانت رحمته تفيض على الأطفال جميعاً حتى أبناء المشركين منهم . فقد بلغه ، في إحدى الوقعات مقتل بعض الأولاد بين الصفوف فحزن عليهم حزناً شديداً ، فقال بعضهم : ما يحزنك يا رسول الله ، وهم صبية للمشركين؟ فغضب النبي وقال ما معناه : إن هؤلاء خير منكم ، إنهم على الفطرة ، فإياكم وقتل الأطفال ، إياكم وقتل الأطفال .

وكان رسول الله يهتم اهتماماً عظيماً بأمر تثقيف الأطفال فإنه طلب من أسرى بدر الذين لم يستطيعوا أن يفتدوا أنفسهم أن يعلم كل منهم عدداً من الأولاد القراءة والكتابة . وإن من أحسن مبادئ التربية والتعليم قوله عليه السلام : علموا ولا تعنفوا .

ولم ينس الرسول الأعظم ؛ الخدم المعذبين في ذلك الزمان ، وفي كل زمان ، بل كان يأكل معهم ويعاملهم معاملة حسنة . قال أنس : « خدمت رسول الله عشر سنين ، فما قال لي أف قط » . وروى أبو هريرة أن النبي قال : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلس معه فليناوله لقمة أو

لقمتين » . وقد كان لهذه الدروس أثرها الحسن ، فغدا الأغنياء يعطفون على خدمهم عطفاً لا مزيد عليه . يقول المعرور بن سويد : رأيت أبا ذر ، وعليه حلة ، وعلى غلامه مثلها ، فسألته عن ذلك ، فقال : سمعت رسول الله يقول: هم إخوانكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ، فأعينوهم عليه . وعن أبي مسعود قال : ضربت غلاماً لي بالسوط ، فسمعت صوتاً من خلفي ، فإذا برسول الله يقول : إعلم يا أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام .

قال عبدالله بن عامر : جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا ، وأنا صبي صغير ، فذهبت لألعب ، فقالت أمي : يا عبدالله ، تعال حتى أعطيك ، فقال ﷺ : وما أردت أن تعطيه ؟ قالت تمراً ، فقال : « أما إنك لو تفعلي لكتبت عليك كذبة » . لينتبه إلى هذا النوع العالي من التربية الأخلاقية الآباء الذين يظنون أنهم في حل من ارتكاب مثل هذه الكذبة تجاه أولادهم .

وأهم ما يجب أن نشير إليه في مقالنا أن أغلب علماء التربية كانوا يعتقدون إلى وقت قريب : أن الطفل شرير ، ويقتضي فن التربية محاربة جميع غرائزه ، وقد قاسى الطفل أنواع التعذيب من جراء هذا الاعتقاد ، الفاسد الذي بطل اليوم . وكم كان جديراً بهؤلاء العلماء أن يطلعوا على أقوال المربي الأعظم سيدنا محمد ﷺ ، فقد أعلن قبل ١٣٠٠ عام رأيه في الطفل فقال : كل مولود يولد على الفطرة ، أي أن كل طفل يولد بريئاً من الشر ، بريئاً من الفساد وإنما يفسد إذا فسد بعد ذلك من جراء سوء سلوك أبويه اللذين ينقشان فيه الشر عن قصد أو غير قصد .

وقبل أن أختتم هذه الكلمة أحببت أن أسوق للقارئ بعض الأحاديث من أقواله ﷺ في الطفولة والأطفال ، وكم أتمنى لو يتاح لي من الوقت لأتخذ كلاً منها عنواناً لمقال ، ولعلي أوفق إلى ذلك في المستقبل إن شاء الله تعالى .

« إتقوا الله واعدلوا في أولادكم» .

« أحب بيوتكم إليّ ، بيت فيه يتيم مكرم » .

« إذا عرف الغلام يمينه من يساره فأمروه بالصلاة » .

« إن لكل شجرة ثمرة ، وثمرة القلب الولد» .

« بيت لا أطفال فيه لا بركة فيه » .

« التراب ربيع الصبيان » .

« تزوجوا في الحجر الصالح ، فإن العرق دساس » .

« ريح الولد من ريح الجنة » .

« شر بيت في المسلمين ، بيت فيه يتيم يساء إليه » .

« من كان له صبي فليتصابى له » .

« علموا أولادكم السباحة والرمي » .

« لا يَعِد الرجل صبيه ، ولا يفي له » .

محمود مهدي

« تم الكتاب »

الفهرس

نضع مع هذا الفهرس أصحاب المقالات . ويمكن الرجوع اليه لمعرفة الكتاب الذين سهي عن ذكرهم ، مع بيان أغلب المصادر التي أخذنا عنها آثارهم .

الصفحة		
أ	المقدمة	محمود مهدي
د	فاتحة الكتاب	الدكتور كامل عياد
١	الطفل	اللن كي
٢	عصر الطفل	ساطع الحصري
٤	الطفل والأمة	الدكتور فاضل الجمالي
٩	الطفل الحائر	حرم الدكتور القوصي
١٥	حب الملك فاروق للأطفال	(مجلة المصور)
٢٠	وحي الطفولة	إبراهيم المصري
٢٣	الطفل في بلاد النور	واصف بارودي
٣٠	المدرسة للطفل	الدكتور دوكرولي
٣٨	الطفل ملك صغير	عبد العزيز البشري
٤١	طفلك أثرك الخالد	سهير القلماوي
٤٥	كيف نعد الجيل الجديد	خالد الهاشمي
٥٠	الطفل النابغ	أحمد عطية الله (علم النفس)
٥٣	الطفل الموهوب	مجلة الكلية العربية
٥٨	الطفل العظيم	ميخائيل بشاره (العظماء)
٦١	عناية نساء الغرب بالطفولة	ابنة الشاطىء
٦٦	نشأة الزعيم	عباس محمود العقاد
٦٨	كيف نقيس ذكاء الأطفال	

الصفحة		
٧٢	الطفل والطفلة	حامد عبد القادر (علم النفس)
٨٢	شخصية الطفل	أمير بقطر
٩١	دراسة الأطفال	أمين مرسى قنديل (أصول علم النفس)
٩٨	في سبيل الطفل	اسماعيل القباني (ضحايانا الأطفال)
١٠١	الطفل والمدرسة	الدكتور محمد عبد الحميد (التعليم والصحة)
١٠٨	من ذكريات الصبا	أناتول فرانس (السياسة الاسبوعية)
١١٣	التلميذ والمعلم	الدكتور كامل عياد (مجلة المعلمين)
١٢٠	مركز الطفل في الأسرة	يعقوب فام
١٢٥	الطفل وغريزة حب الاستطلاع	زكية عزيز
١٣٠	تأثير البيئة في الناشئين	الدكتور كامل عياد
١٤٠	التعاون في تربية الطفل	محمد عطية الابراشي
١٤٦	طبيعة الطفولة	انصاف سري (روضة الأطفال)
١٥٢	الطفل يستقبل الحياة	عبد الرحمن صدقي
١٥٩	الايمان عند الأطفال	السياسة الاسبوعية
١٦٣	مملكة الطفل	(من كتاب التربية في العائلة)
١٦٩	الأطفال يقومون بأعمال الرجال	السياسة الاسبوعية
١٧١	اللعب عند الأطفال	(من كتاب علم النفس)
١٧٦	الصغار والكبار	إبراهيم عبد القادر المازني
١٨٥	كيف نصادق أطفالنا	الدكتور زكي مبارك (وحي بغداد)
١٩٣	الحيرة في تعليم الناشئة	محمد حسين هيكل (السياسة)
٢٠٠	أدبيات الأطفال	ساطع الحصري (قلب الطفل)
٢٠٦	التربية والطفل الحديث	محمد حسين المخزنجي
٢٠٩	ماذا يقرأ الأطفال	أمير بقطر
٢١٤	قصص الأطفال	انصاف سري

الصفحة

٢١٧	لغة الأطفال	ذكي المهندس
٢٢٤	الغرض من قص الحكايات على الأطفال	انصاف سري
٢٢٨	الطفل والمدرسة	
٣٣٢	أغاني الأطفال	الفيلسوف طاغور
٢٤٠	أطفالنا وماذا أعددنا لحمايتهم	الدكتور حافظ عفيفي
٢٥١	التشجيع والتثبيط	محمد مظهر سعيد
٢٥٧	غرفة الطفل	سهير القلماوي
٢٦٠	حماية الطفل	حسين جمالي
٢٦٨	ملكية الطفل	سمر
٢٧٠	السينما والأطفال	أحمد كمال سرور
٢٧٣	الطفل في العيد	سهير القلماوي
٢٧٥	الطفل ضحية الاضطراب العائلي	الدكتور بنيامين بهمان (كتاب تربية الطفل)
٢٨١	بين معلم وتلاميذه	عجبان دانيال
٢٨٤	كيف ينبغي أن نربي أولادنا	أدمون ديمولان (سر تقدم الإنكليز)
٢٩٤	الطفل ضحية الاستبداد	علي محمد فهمي (تربية الطفل وعلاجه)
٣٠٠	الأم في تربية الفتاة	سهير القلماوى
٣٠٣	ملكية الطفل	سمر
٣٠٥	رعاية الطفولة في الاسلام	أسماء فهمي
٣١١	السعادة عند الطفل	حسن نبيه المصري
٣١٥	أطفالنا	محمد عبد العزيز
٣١٧	الرسول والاطفال	محمود مهدي

136.7:M21A:c.1
مهدى ،محمود
اطفالنا ضحايانا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
010°1593

